خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية

د. عزالدين البوشيخي(*)

-الإطار العام

لعله غدا مسلما به الإقرار بأن من أهم نتائج الثورة اللسانية الحديثة تحول عناية اللسانيين من دراسة السلوك اللغوي العقلي إلى دراسة نسق المعرفة الذي يكمن خلف هذا السلوك. ومما يعنيه هذا التحول الانتقال من دراسة اللغة باعتبارها موضوعاً خارجياً إلى دراسة نسق المعرفة اللغوية الممثلة في عقل المتكلم. وإذا كان من الممكن وصف هذا التحول بأنه انقلاب على معظم الدراسات اللغوية التقليدية كما على اللسانيات البنيوية التي حصرت موضوع بحثها في استقراء الوقائع اللغوية ووصفها وتصنيفها لاغير، فإنه من الممكن أيضاً وصف هذا التحول بأنه انتصار لصالح الواقعية الذهنية التي تستهدف اكتشاف واقع ذهني يكمن خلف سلوك فعلي. يعرف "الواقع الذهني" -في ميدان اللسانيات - بأنه القدرة أو الملكة اللغوية ، ورَهْنُ تحديد الخصائص البيولوجية المحددة وراثيا والخاصة بالنوع البشري ببناء نحوٍ كلي يمكن من التمييز بين ما هو لغة وما ليس كذلك.

ما يشكل قاعدة هذا التصور يتجلى في فكرة فحواها أنه حيثما أمكن للمخلوقات البشرية أن تبني معرفة غنية ومعقدة، دونما تفاوت نوعي فيما بينها، وانطلاقا من معطيات محدودة وناقلة وفي مدة وجيزة؛ فثمة نواة فطرية هي المسؤولة عن إنتاج هذه المعرفة شرط تفاعلها مع تجربة ملائمة، وهي المسؤولة أيضاً عن تحديد أنساق المعارف التي يمكن اكتسابها. إذ لو انعدمت الضغوط البيولوجية على مجال المعرفة البشرية لتراكمت المعارف بصورة تفوق الخيال ولفقدت بذلك كل قيمة.

ففي حال اللغة مثلا، لو لم تكن هناك ضغوط بيولوجية لما أمكن تحديد ماهية اللغة، ولما أمكن التحكم في تنوعها. فلو تصورنا أن كل احتمالات التأليف ممكنة، في لغة معطاة، بين الفونيمات أو بين الكلمات أو حتى بين الجمل لتعذر قيام لغة إطلاقا؛ إذ بفضل الضغوط البيولوجية التي تحد من كل الاحتمالات تكتسب اللغة خصائصها الجوهرية التي تجعل منها لغة طبيعية.

في ظل التحول النوعي الذي شهدته اللسانيات الحديثة بصفة عامة، يمكن، وليس ثمة إمكان آخر- أن نتحدث عن خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وعن أهدافها.

(*) أستاذ بكلية الآداب- مكناس (المغرب)

– خصائص البحث المعجمي الحديث:

من أبرز خصائص البحث المعجمي الحديث خاصية "الواقعية الذهنية"، ومضمون هذه الخاصية – في هذا المجال– هو التقيد بنتائج الدراسات النفسية واللسانيات النفسية والدراسات المعنية ببناء نماذج الإدراك وغيرها مثلها في بناء المعجم. إذ إن موضوع البحث المعجمي الحديث هو "المعجم الذهني" الذي يكتسبه متكلم فطري أيا كانت اللغة الطبيعية التي تشكل مادة هذا المعجم. وهذا يعني أن الباحث المعجمي ليس حرا في تصور المعجم كما يشاء؛ بل إنه موجه –في وضع تصور للمعجم– بأهم النتائج التي تسلط الأضواء على المعجم كما هو ممثل في دماغ المتكلم أو عقله.

من هذه النتائج التي توجه تصور الباحث للمعجم الذهني وتحدده نذكر ما يلي:

– تبين– وليس من العسير إدراك ذلك– أن المتكلم، بأية لغة طبيعية كانت، يتوفر على معجم منظم تنظيما دقيقا، من مظاهر هذا النظام قدرته الفائقة على تذكر الكلمات التي يريد استعمالها لتحقيق أغراضه التواصلية المتعددة. ولو كان المتكلم يتبع، في بحثه عن الكلمات، الأسلوب ذاته الذي ترتب به المعاجم الصناعية الوحدات اللغوية لتطلب إنتاج العبارة اللغوية الواحدة وقتا طويلا إذ سيكون ملزما في هذه الحالة، بالبحث عن كل كلمة يريدها في الباب الذي توجد فيه. ولنتذكر كم يلزم من الوقت للبحث عن كلمات ما في لسان العرب أو تاج العروس أو غيرهما. ومن مظاهر هذا النظام قدرة المتكلم الفائقة على استذكار ما تم تخزينه من مفردات في معجمه الذهني، إذ ان عملية تخزين المفردات لا يمكن أن تكون ناجحة إلا إذا توافر لها شرطان على الأقل:

– أن تخزن كل كلمة في مكان مناسب حيث يمكن استذكارها بسهولة.

– وأن تكون الطريقة التي يتم بها تخزين الكلمات في "المخزن" طريقة موحدة.

وبالنظر إلى ما يعرف عن التداعي في مجال علم النفس والتحليل النفسي، يستنتج أن المفردات التي يتم تخزينها في الذاكرة المعجمية يراعى في تخزينها ما يجمعها بغيرها من المفردات من ترابطات دلالية.

ومن التجارب التي تثبت بعض ما ذكرناه التجربة التي قام بها كولورس (1966 Kolores)،وانتهت إلى أن مزدوجي اللغة يتذكرون الكلمات التي خزنوها بنفس السرعة التي يتذكر بها متكلمو لغة واحدة هذه الكلمات، مما يعني أن الكلمات، أو المعلومات يتم تخزينها في ذاكرة واحدة وبطريقة موحدة.

ومن هذه التجارب أيضا التجربة التي قام بها ويجل وبرويش (Weigl and Berwich -1970) و التجربة التي قام بها رينرت ورويتيكر1970 (Rinnert and Whitaker) حيث تبين أن المتكلم الذي يعاني من اضطراب في قدرته المعجمية كعدم استطاعته تذكر الكلمة المناسبة لتعيين شيء ما، عادة ما يلجأ إلى استبدالها بكلمة من الحقل الدلالي للكلمة المطلوبة، أو بكلمة تربطها علاقة دلالية بالكلمة المطلوبة.(انظر التفاصيل في 19 Blumstein -221).

نخلص من ذلك إلى أن تصور المعجم محكوم بما هو عليه المعجم الذهني فعلا.

ومن أهم خصائص البحث المعجمي الحديث الواقعية العلمية، يعود مضمون هذه الخاصية إلى

التشبث بالنهج العلمي سواء في تحديد مادة المعجم أو صورته أو طبيعته أو وظيفته. ويقتضي ذلك جملة أمور، نذكر منها ما يلي:

–من اقتضاءات النهج العلمي تحديد موضوع البحث المعجمي بدقة، وتحديد الإطار النظري الذي سيُعالج فيه، وتحديد الوسائل الصورية التي تمكن من تمثيل الموضوع. فإذا كان موضوع البحث المعجمي الحديث قد حُدِّد في وصف " القدرة المعجمية" ، فإن اختيار الإطار النظري يقتضي تحديد موقع هذه القدرة ضمن باقي المكونات التي تشكل "القدرة اللغوية" ككل، وتحديد مضمونها باتخاذ قرات نظرية تُعيّن مُكونات "المعجم الذهني"، كما تعين المواد التي تنتمي إليه والمواد التي لا تنتمي. وبفضل تحديد الوسائل الصورية يتم تعيين طريقة مضبوطة لتمثيل المعلومات داخل المعجم، ونمذجة المعرفة المعجمية.

وعلى هذا الأساس، فإن بناء معجم إحدى اللغات يندرج في إطار أعم هو وصف "القدرة المعجمية" أو "المعجم الذهني" الذي يتوافر عليه المتكلم استناداً إلى معطيات لغة محددة كالعربية أو الإنجليزية أو اليابانية أو غيرها. ويعني ذلك بناء نموذج للمعرفة المعجمية وفق محددات تصورية ونظرية وتجريبية.

–ومن اقتضاءات المنهج العلمي الانفتاح على كل مجالات المعرفة التي يمكن أن تفيد في الكشف عن جوانب الموضوع. وينجم عن هذا الانفتاح اعتبار النتائج المحرزة في مجال اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية واللسانيات الإكلنيكية وغيرها في صوغ وروز الافتراضات المتعلقة بتحديد مكونات "المعجم الذهني" ومادته وكيفية تمثيل المعلومات داخله إلى غير ذلك.

ولضمان تطور البحث في هذا المجال يجب التخلي عن أي افتراض تثبت التجارب والدراسات ضعفه، والتحول عنه لصالح افتراض بديل.

– أهداف البحث المعجمي الحديث:

يمكن تركيز أهداف البحث المعجمي الحديث في هدفين أساسيين: أولهما علمي وثانيهما تكنولوجي. أما الهدف العلمي فيتجلى في السعي إلى بناء نظرية علمية للعقل البشري في جانب استعماله اللغة. ذلك أن بناء نظرية للملكة اللغوية هو جزء من مشروع بناء نظرية علمية عامة لكل ملكات العقل البشري. وبما أن البحث المعجمي الحديث مَعْني بوصف مكوّن من مكونات الملكة اللغوية أي القدرة المعجمية؛ فإنه منخرط بموجب موضوعه في هذا المشروع الأعم.

وأما الهدف التكنولوجي فيتجلى في السعي إلى حوسبة المعجم، ذلك أن النجاح في بناء حاسوبي قادر على الترجمة من لغة إلى أخرى، أو على توليد الكلام وتحليله، أو على القيام بإنتاج النصوص وإقامة الاستدلالات وغيرها متوقف في جزء منه على النجاح في حوسبة المعجم. وهذا ما يفسر ارتباط الأهداف العلمية عموما بالأهداف التكنولوجية انسجاما مع التصور المعاصر الذي يرهن قيمة النظريات العلمية بمدى مالها من إسقاطات تكنولوجية.

– البحث المعجمي الحديث وبناء المعجم العربي:

لعله أصبح واضحا، بناء على ما سبق ذكره ، أننا في أمس الحاجة إلى معجم عربي رغم ما يزخر به تراثنا القديم والحديث من معاجم للغة العربية. فلم يعد من

الوارد -إذا شئنا أن نواكب التحولات العلميـة- أن نحصر هدف البحث المعجمي في:

- تجميع الوحدات اللغوية من متـون الكتب وغيرها،

-وترتيبها ترتيبا صناعيا بمراعاة الأبجدية أو غيرها،

- وإرفاق كل وحدة لغويـة بمعلومـات عنـها تتضمن معناها أو معانيها بما يتيسر وكيفما تيسر.

فقد بيَّن عدد من الدراسات (الفاسي الفـهري (1985)و(1986) و(1997) و (1996) وغـاليم (1987) الأخطاء التصورية والنظرية التي تطبع هذا النـهج في العمل، كما بيَّن حدود المعاجم التي أقيمـت علـى أساس هذا النهج(السغروشـي 1996) ولا تسـنح الفرصة هنا للحديث عن مضامين هذه الدراسات.

إن ثمة عدداً من المسائل العالقة يجب البدء بـالبت فيها، منها -وأهمها- تحديد مصدر المعطيات اللغويـة التي تشكل مادة المعجم. فإذا كان الهدف هـو بنـاء معجم ذهني للمتكلم العربي، فإن من الأولويات تحديد المقصود بـ " المتكلم العربي" لما سيترتب على هـذا التحديد من نتائج. إذ يفترض في كل متكلـم بلغـة طبيعية أن يكون قادراً على التمييز بوضوح بـين مـا ينتمي إلى لغته من المفردات المعجمية وبين ما لا ينتمي إليها، استناداً إلى حدسه المعجمي الذي تكوَّن لـه في هذه اللغة. ومن شأن هذا التحديد أن يسلط الأضـواء على المواد اللغوية العربية التي يجب أن تمثَّل في المعجـم العربي، ويقصي غيرها مما امتلأت به المعاجم الصناعية؛ حيث " تفاجئنا هذه المعاجم بحصيلة نجد فيها كلمـات لا ترتبط بقواعد اللغة العربية في ميدان التأليف، مثل: جنقه أي رماه بالمنجنيق....

ونجد بناء طريفا وهو جَوْقَل بمعنى "نقله بالجو" كذلك نجد "انمعط الحبل" وهـي أيضـاً كلمـة شوهاء لأن ما يمكن أن تقبله اللغة العربية هو"امّعـط" (السغروشني 1996: 39) ومثلها انرمى وانحنى وانملـق وانمج وانمحق وانمرع وانمرق وغيرها.

وهذا يُضعِّف الرأي الذي يزعم أن جمـع المـادة المعجمية أمر يسير، إذ يكفي سـلوك طرائـق الاستقراء لتحصيلها ثم ترتيبها إلى غير ذلك.

ثم بعد ذلك يجب أن يتجه النظر إلى البت في المواد اللغوية التي تُعد أصولاً والمواد التي تُعد مشتقة بفضـل قواعد الاشتقاق مع تحديد هذه القواعد. إذ لا تـدل الدلائل على أن المعجم الذهني يتضمن هذا الكم الهائل من المفردات من أفعال وتصاريفها وأسماء ومشـتقاتها وصفات وظروف وحـروف وضمـائر ولواصـق وعلامات إعراب وغيرها؛ بل يضم عدداً محدوداً منـها وتتكفل بإنتاج المواد الأخرى قواعد معجمية خاصة.

ومن الجدير التذكير هنا بعدد من الدراسات الـتي تتفق -أوتكاد- على أن الجذور هي ما يشكل مـادة المعجم العربي، وأن باقي المشتقات تنتجـها قواعـد خاصة. (المتوكل (1989) و (1995)، الفاسي الفـهري (1997)، الشغروشني (1996).

ثم بعد ذلك يجب البث في النظرية التي تمنح أوفـر حظوظ النجاح لبناء هذا المعجم بمـا توفـره مـن إمكانات ووسائل تمثيلية وغيرها؛ فتُتخذ إطاراً للعمـل يحدد صورة المدخل المعجمي وكيفية تمثيل معنـاه أو معانيه، وكيفية تحديد علاقته بغـيره مـن المداخـل المعجمية المتصلة به: نوع الاتصال، وما إلى ذلك.

نقدم فيما يلي نموذجاً عن كيفية تمثيل للعلومات داخـل

للمعجم في إطار نظرية حديثة هي نظرية النحو الوظيفي.

– المعجم في نظرية النحو الوظيفي:

يمثّل للوحدات اللغوية في صورة مداخل معجمية أو أطر حملية مصحوبة بمعانيها التعريفية. حيث يتضمن الإطار الحملي المعلومات الآتية:

– صورة المحمول المجردة (أي جذره) ووزنه الصرفي.

– ومقولته (فعل أو اسم أو صفة).

– ومحلات موضوعاته (س^{1} ، س ^{2} ، س ^{3})

– وقيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته (<إنسان>، <حسي> ،< مجرد>...)

– والوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستقبل...)

ويُصاغ التعريف في صورة إطار حملي آخر، ويقوم على فكرة مفادها تأليف كلمات أبسط من الكلمة المراد تعريفها إلى حين بلوغ مرحلة لا يمكن تعيين معنى هذه الكلمات بالطريقة ذاتها.

إذا أردنا أن نمثّل في المعجم لفعل (قَبّل)، فسنمثِل له في صورة إطار حملي كالآتي:

– ق.بـــ.ل { فَعَّل} ف

(س^{1} :< إنسان > (س^{1}) منف

(س^{2} : < حسي > (س^{2})) متق

وسنُرْفِق هذا الإطار الحملي بتعريف مصوغ أيضا في صورة إطار حملي كالآتي:

– ل.م.س { فَعَل} ف

(س ^{1} : <إنسان> (س^{1})) منف

(س^{2} : < حسي > (س^{2})) متق

(ع ث ^{2} س^{3} : شفة (س^{3})) أد

(ع ذ ^{1} س ^{4} :[ع.بـــ.ر{فَعَّل} ف(س^{1})منف

(س^{5} : عطف س (س^{5}) (س^{2}) متق] (س^{4})) هد

حيث يعود القول إن (س^{1}) قَبّل (س^{2}) إلى القول إن(س^{1}) لَمَس (س^{2}) شفة (س^{3}) التي خصصت بالتعريف (ع) والتأنيث (ث) والتّثنية (2) وأسندت إليها الوظيفة الدلالية الأداة (أد). والهدف (هد) الذي يمثله (س^{4}) يتجلى في تعبير المنفذ (منف) (س^{1}) عن العطف (س^{5}) اتجاه المتقبل (متق) (س^{2}).

على هذا الأساس يقدم المدخل المعجمي معلومات غنية عن خصائص المحمول الصورية والدلالية، وعن علاقته بمحمولات أخرى.

يتبيّن بهذا المثال أن المعجم، الذي يشكل جزءاً من القدرة اللغوية لكل متكلم بلغة طبيعية، نسق من العلاقات التركيبية والصرفية والدلالية القائمة بين الوحدات المعجمية التي يتضمنها، وأنه مبني بطريقة توحي بأن ثمة مبادئ عامة تحكم كيفية تنظيم مواده وبناء علائق نسقية بينها. إن معجما بهذه المواصفات لأقرب من أن يعكس قدرة المتكلم المعجمية، ومن ثمة فهو جدير بأن يوصف "بالمعجم الذهني".

– موقع المصطلح من المعجم الحديث:

بحكم أن المصطلح وحدة معجمية انتقلت من وضع الكلمة إلى وضع المصطلح بخصائص معلومة، وانتقلت- تبعاً لذلك – من المعجم العام إلى المعجم الخاص؛ فإن البحث المصطلحي، الذي يُعنى أساسا بتحديد طرق وشروط بناء المصطلحات وتوحيد استعمالها، بحث في المعجم.

وعلى الرغم من أن البحث المعجمي شهد تطوراً كبيراً نتيجة ما حققته اللسانيات من نتائج، فإن البحث المصطلحي ظل بمنأى عن هذا التطور كما ظل يحتفظ بالتصور القديم عن المعجم باعتباره قائمة من

الكلمات مصحوبة بمعانيها ومرتبة بطريقة ما. بمقتضى هذا التصور اجتهد في بناء عدة معاجم مصطلحية لقطاعات معرفية متنوعة كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها.

إن المعجم حسب هذا التصور معجم صناعي لا ذهني.

ومن أهم المسائل التي يجب أن يعالجها البحث المصطلحي الحديث مسألة موقع المصطلح من المعجم. وبعبارة، أين يُمثّل للكلمة الواردة في المعجم حينما تنتقل إلى وضع المصطلح. هل نمثل لها في المعجم بجانب بمدخلين إثنين: مدخل يحدد معنى الوحدة المعجمية باعتبارها كلمة، ومدخل آخر يحدد مفهوم الوحدة المعجمية ذاتها باعتبارها مصطلحا؟

أم إن التمثيل للمصطلحات يكون في حصيلة ما تنتجه القواعد المنتجة؟

وفي هذه الحالة يجب أن تصاغ القواعد التي تمكن من نقل الكلمة إلى وضع المصطلح وهي لاشك قواعد دلالية وعلى هذا الأساس ستُعد المصطلحات مُفردات مشتقة اشتقاقا دلاليا من كلمات أصول.

لقد بيّنا في مناسبة سابقة أن بناء للصطلحات واستعمالها بحنكة ومهارة وإبداع ليس أمراً موقوفا على الباحثين والعلماء، كما قد يُظن، وإنما هو ظاهرة كلية لا تتميز بها فئة عن فئة ولا شعب عن شعب ولا أمة عن أمة. ودلالة ذلك أن بناء للصطلحات جزء من قدرتنا المعجمية لذلك يجب أن يُعنى الباحثون بالآليات الذهنية التي تمكّن البشر من نقل الكلمات إلى مصطلحات، وكيفية تمثيلها ليتسنى بعد ذلك حوسبتها واستخدام هذه الحوسبة في مجالات تطبيقية متعددة.

الحاسوب والصناعة المعجماتية

د. عبد الغني أبو العزم (*)

أصبح استخدام الحاسوب في مجال الصناعة المعجماتية ضرورة علمية لا محيد عنها لأي مشتغل بتأليف المعاجم، وقد فرض نفسه في مجال البحث اللساني والمعجمي والمعجماتي، محدثا بذلك تحولا جذريا في مفهوم المعجم وصناعته وأدوات تحضيره وإنجازه.

ما هي الخصائص الآلية التي أصبحت تتوفر عليها الأداة الحاسوبية؟

يمكن أن نجمل هذه الخصائص في ميزتين أساسيتين:

I- تخزين النصوص وبرمجتها.

II- ترتيب المفردات ورسم الألفاظ وجذورها، لتصبح معالجتها معالجة آلية بعد إدخالها في أنظمة دقيقة مما يسمح بالتطبيق العلمي المباشر لاستعمالاتها المتعددة.

تعد هاتان الميزتان الأساسيتان من التطبيقات العلمية للأداة الحاسوبية في مجال الصناعة المعجماتية، وترتبطان ارتباطا عضويا بتنظيم بنوك المعطيات، وما تقدمه من معلومات ضخمة، لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها في الإنجاز المعجمي والمعجماتي. وقد أصبح من العبث أن يستخدم المعجماتي الأساليب العتيقة في إنجاز معاجم لغوية أو معاجم متخصصة في زمن تحكم سيره الآلات الحاسوبية كأداة لها فعالية حاسمة سرعة وإتقانا.

إن ما أصبح يوفره الحاسوب في مجال المعجماتية يمكن تحديده في النقاط التالية:

-إنجاز معاجم متنوعة ومتخصصة وبدقة متناهية وبأقصى ما يمكن من السرعة.

- توفير الإرهاق والتعب

- ربح مصاريف باهظة.

ولإيضاح القدرة الهائلة والفائقة التي أصبح يتوفر عليها الحاسوب، يمكن الإشارة هنا إلى واجهتين بارزتين:

1- واجهة التخزين

2- واجهة استحضار المعلومات.

1- لقد استطاع التطور التكنولوجي في مجال المعلوماتية أن يحقق تراكما في مادة التخزين، إذ أصبح بإمكان الحاسوب أن يخزن ما يزيد على 470 مليارا من الحروف، وعلى هذا الأساس يمكن أن يستوعب مليون كتاب (أي بمعدل مائتي صفحة لكل كتاب).(1)

2- لقد ارتبط هذا التخزين بتطور مواز، أي

(*) أستاذ بكلية الآداب بجامعة الحسن الثاني (عين الشق) المغرب

التمكن من التحليل الآلي للنصوص، مما يسمح بإمكان استحضار أكبر عدد ممكن من المعلومات، وهي تقدر بالملايين وفي دقائق معدودة، وأصبح من السهل إيجاد الجملة المطلوبة والمحددة من بين جمل المليون كتاب المخزنة في أقل من عشرين ثانية. وللمزيد من الإيضاح، يمكن أن أضيف في مجال التخزين أن ذاكرات الحاسوب وحسب طاقاتها الاستيعابية قادرة على تسجيل كل كتب دار الكتب المصرية زائد كتب الخزانة العامة بالمغرب. ولا يقف الأمر فقط عند التخزين كما أشرت، إذ أن مؤلفا من 80.000 كلمة إذا كان مسجلا في الذاكرة يمكن أن نحصل على كلماته مباشرة بأي شكل نريده، في تصاريفها أو استعمالاتها المختلفة، منسقة ومرتبة ترتيبا ألفبائيا مع فهرس تواترها، كما يمكن أن نحصل على رقم الصفحة والسطر والفقرة الواردة فيها.

ولقد شرعت بعض المؤسسات العربية وبنوك المعلومات منذ أواخر الثمانينات وبداية التسعينات في الاستفادة من هذه التقنية الحديثة، حيث تم وضع برمجيات دقيقة، من بينها: نظام تصحيح الأخطاء الإملائية والشكلية مع إمكان تغيير مواقع الجمل والكلمات،وإلغاء الفقرات، بالإضافة إلى تغيير أجزاء الكلمات والجمل، وبذلك قد تم التغلب على العديد من الصعاب التي كانت ترهق كواهل المعجماتيين بفضل تقنية الحاسوب.

وما زالت الجهود العلمية تتواصل وذلك من أجل:

- حصر وضبط وتسجيل مختلف المعطيات
- إنجاز برامج إلكترونية.
- طبع ونشر النتائج.

وتبقى المشكلة الأولى أعلاه هي حجر الزاوية، ومن المفيد هنا أن نعرض لبعض المصطلحات والقضايا المعجمية التي أصبحت ترتبط بالإنجاز المعجماتي الآلي مما يساعدنا على فهم آلية اشتغال الحاسوب أو ما يعرف بالمكنز- حسب تسمية الشركة العالمية بالقاهرة- وحدود ما يقدمه من خدمات.

المعجمية النصية

يعد مصطلح المعجمية النصية من بين المصطلحات الحديثة التي ظهرت مع تطور الحاسوب واتساع قدرته على استيعاب أكبر عدد من النصوص.

ترتكز المعجمية النصية في إنجازاتها على ما يقدمه الحاسوب وتستفيد منه على مستويين:

المستوى الكمي، يتحدد في إطار توفير ومعالجة الأعداد الهائلة من الجذاذات، أي ما يقدمه محلل المداخل من معان وحصرها، وينتج عن هذا الحصر، حصران:حصر المتداول، وحصر المهمل.

يتحول الحاسوب في هذا الصدد إلى وعاء ضخم، سواء في تعامله مع الجرد الموسع للألفاظ، أو في تعامله مع كل الاستعمالات في مجموع النصوص الموثقة بداخله، وهو في هذه الحالة يقدم لمستعمله مادة ضخمة منسقة وشبه منسجمة ومرتبة ترتيبا ألفبائيا، وفي هذه الحالة لم يعد المعجماتي بحاجة إلى أن يمر بكل المراحل التقليدية التي اعتاد على اجتيازها.

يتعامل الحاسوب بطبيعة الحال مع كل النصوص التي زودناه بها، مما يعني أن اختيارها يبقى مرهونا بالأهداف المتوخاة. ومادامت الطاقة الاستيعابية للحاسوب ذات اتساع غير محدود، فمن المفروض أن

يضم بالإضافة إلى ما يختزنه من نصوص ومعاجم أعمال المجامع اللغوية، والمؤسسات العلمية، ومكتب تنسيق التعريب والأعمال الفردية المتوفرة. إن إدخال وتخزين كل هذه الأعمال يجعلنا متأكدين أننا نملك على أقل تقدير 95% من مجموع الألفاظ والمصطلحات المتداولة في السوق اللغوية العربية.

يسمح هذا الإنجاز بامتلاك المعرفة والمادة، وللتمكن منهما لا بد من تكاتف جهود اللسانيين والمعجماتيين ورجال المعلوماتية، والمهندسين والمخترعين لمختلف الأجهزة وما يوفرونه من أنظمة وبرامج.

تعتمد المعجمية النصية على مدى طاقة الحاسوب الاستيعابية، وهو ما تم التغلب عليه بفضل التقدم الهائل الذي حقق اتساع ذاكرته والإمكانات التي يوفرها في تعامله مع النصوص، وهو ما يؤسس لأربع مجالات أساسية:

I- أساسيات المعطيات Les Bases de données

II- أساسيات المعطيات النصية Les bases de données textuelles

III- أساسيات المعطيات المعجماتية Les bases de données lexicographiques

IV- أساسيات المعطيات القاموساتية Les bases de données dictionnairiques

ماذا يقصد بهذه الأساسيات الأربع؟ وما هي أهميتها في الإنجازات المعجماتية؟ هذا ما سنحاول إيضاحه اعتمادا على العديد من الدراسات التي أنجزت في هذا الصدد(2).

1- أساسيات المعطيات: وفرت النتائج الحالية للتطور التكنولوجي في ضوء ما سبقت الإشارة إليه مجالا واسعا ورحبا للدراسات والأبحاث المعجمية والمعجماتية، وبذلك اكتست أساسيات المعطيات أهمية قصوى حيث تهم كل المتخصصين في شتى المجالات وأصبح بإمكانهم استغلال أقصى ما يمكن من الوثائق بفعالية كبيرة. وهنا يجب التمييز بين أساسيات المعطيات، وبنوك المعطيات، مع العلم أن هذا المصطلح الأخير حسب برنادر كيمادا قد صار تداوله لغويا يحمل قيمة خصوصية، ولإزالة الالتباس يعطي تعريفين إجرائيين لمصطلح أساسيات المعطيات، يحدد التعريف الأول في كونه يعني نصا مُحَوْسَباً مكونا بارتباط مع مجموع المعطيات، وقائع أو معلومات لها طبيعة مشتركة مسجلة على الحاسوب حسب قواعد نظامية يمكن الوصول إليها، وتخضع لبرنامج أو برامج للتحليل ومهيأة للتساؤل ومكيفة بالخصوص في ضوء تلك القواعد.

بينما بنك المعطيات له بعد إضافي، ويناسب مؤسسة وثائقية معلوماتية(Institution documenataire informatisée) تدير وتستغل نصا أو عدة نصوص من نموذج الأساس لصالح جماعة المستعملين، و له أيضا أهداف نوعية منها جمع تشكيلات من المعلومات التراكمية، وبما يمكن من الشمولية والاستقصاء تستجيب لما يطلب منه، وهو بهذا الشكل عليه أن يساهم في حل مشاكل التسيير الإداري والقانوني (3).

وفي هذه الحالة وكما يلاحظ أيضاً برنارد كيملدا تبدو فكرة قاعدة المعطيات تافهة في مبدئها إلا أنها بالنسبة للمعجماتي تشكل وظيفة أساسية في الإنجازات المعجمية والمعجماتية المنتظرة لما توفره من مواد مزدوجة الأهداف، فمن جهة هناك المدونة

(نصوص أو عناصر نصية معيارية أو نصوص طبيعية أو موضوعات مداخل المعجم) حيث يرتبط تسجيلها أو تهييئها بالاستعمالات اللاحقة، ومن جهة أخرى فإن مجموعة الخورزمات الموضوعة للتساؤل (برامج، معاجم آلية، أنظمة وثائقية) قد تصبح ممكنة انطلاقا من الاستشارات والتحاليل التلقائية للمدونات، مع العلم أن درجتها المعقدة هي التي تحدد باستمرار قيمتها، ومستوى التعامل مع كل النتائج المحصل عليها.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن هذه التحاليل في الأعمال المعجماتية يمكن أن تكون ذات اتجاهين:

1- النمط التعاقبي، ويعد هذا النمط من الأنماط الأكثر بساطة، إذ يسمح بالكشف عن المتواليات أو عن صلة ترابط المفردات حسب نظام الخطاب (توزيعات وتوافقات ثنائية).

2- النمط العلائقي: وهو ما يسمح بإيجاد العناصر المنتمية إلى أقسام أو خانات أو إلى جذور معجمية.

لقد انتقلت هذه الإجراءات العملية التي كان يقوم بها المعجماتي يدويا إلى التطبيق الآلي، ويتمثل الفرق بداهة في مستوى الأداء والإتقان والضبط والسرعة، وهذا تطور آخر نوعي يدخل في سياق مجمل مراحل التاريخ الطويل لتطور المعجمية والمعجماتية (4).

وقبل أن نختم الحديث عن أساسيات المعطيات وإجراءاتها، وفي ضوء التمييز الذي أشرنا إليه فيما يخص بنك المعطيات، نود هنا أن نبرز ماهية ووظائف ما يعرف ببنك النصوص، وبنك الكلمات وتحديد أدوارهما على قاعدة أساسيات المعطيات، وهذا التحديد ضروري لتمييز عمل الأجهزة المعلوماتية والوثائقية المختلفة.

1- **بنك النصوص:** تختلف وظيفة بنك النصوص حسب الأهداف الموضوعة، وهو يقوم أساسا حسب تعريف كيمادا بتجميع نصوص تتضمن كل أنواع وأشكال الوثائق المكتوبة أو المنقولة، وتخضع للتعيين والتسجيل حسب معايير مكيفة في ضوء حاجات مستعمليها. وبما أن إشكالية بنك النصوص تتجاوز الكفاءات والاهتمامات النوعية للمعجميين والمعجماتيين فإن طبيعة الوظائف التي يؤديها تمس كل التخصصات، وقد أصبحت متعددة مما يفرض وضع اختيارات علمية ومنهجية وتقنية بمجرد ما يتم تكوين المدونات على مستوى اختيارات النشر والتنسيق والضبط وتنظيم أسس العمل. إن المستفيد الأكبر من بنك النصوص، هو المعجماتي إذا ما تم توسيع نطاق مخزونه. لهذا يشكل بنك النصوص بالنسبة إليه أداة عملية تجعله محيطا بدقة بشتى النصوص التي يود الرجوع إليها عند الطلب والحاجة، وعندما يضع خطة لإنجاز أي عمل معجماتي.

وعلى سبيل المثال وفي ضوء بنك النصوص يمكن إنجاز:

- المعجم العربي الشامل الذي يضم كل مفردات اللغة العربية ومصطلحاتها قديما وحديثا.
- المعجم التاريخي.
- إنجاز معاجم متخصصة في شتى المجالات.
- معاجم جغرافية وتاريخية وفنية.

هذا بالإضافة إلى معاجم المترادفات والأضداد.

وإذا كان بنك النصوص يقدم للمعجماتي خدمات

هائلة، ويضع بين يديه مختلف السياقات في شتى العلوم والفنون فإن النصوص التي يخزنها تحتاج إلى تحليل ومعالجة ليتأكد من صحتها ودقة تعابيرها، وهذا ما تقدمه أساسيات المعطيات النصية وفق البرامج المعدة لهذا الغرض، وبالتحديد ما يتعلق بالإنجاز المعجماتي، مع الأخذ بعين الاعتبار كل التطورات التكنولوجية، وما أسفرت عنه من نتائج تقنية أدت إلى تطوير أنظمة وبرامج خاصة ببناء أساسيات المعطيات النصية. ومن بين هذه البرامج نشير إلى:

-القراءة الضوئية،وهي ما يعرف حاليا بالتمييز الضوئي للحروف Optical character Recognition (OCR)

لقد أحدثت القراءة الضوئية انقلابا جذريا في بناء أساسيات المعطيات النصية، وهي تعد من أهم المنجزات الإلكترونية حيث تم تجاوز عمليات الإدخال اليدوي للمعطيات من خلال لوحات المفاتيح.

إن أهم ما تقدمه القراءة الضوئية هو إمكان إحداث نظام البحث والاسترجاع للنصوص مع قدرتها المتميزة في معالجة اللغات، مما سيفتح مجالا رحبا لمعالجة النصوص بدقة متناهية وبأقل التكاليف.

وبالإضافة إلى ذلك، يمكن هذا النظام من إدخال عدد لانهائي من محتويات النصوص في وقت وجيز بواسطة المصور الضوئي، أي ما يعرف الآن بـ (Scanner) مما يمكن أي برنامج تنسيق للتعامل معها ومعالجتها بسهولة تامة كأي نص تم إدخاله من خلال لوحة المفاتيح.

تشتغل القراءة الضوئية في بيئة النوافذ مما يسهل عملها حيث تتمكن من التشغيل بسهولة مع إمكان الاتصال بتطبيقات اللغات الأجنبية.

ونشير هنا إلى أن مؤسسة (العالمية للإلكترونيات) التي وقفت شخصيا على إنجازاتها بالقاهرة استطاعت أن تطور برنامج القراءة الضوئية تطويرا هائلا حيث أصبحت "تتعامل مع الطبيعة الخاصة للغة العربية المتميزة بصعوباتها المتمثلة في انحناءات الحروف واختلاف شكل الحرف،وبالتالي ضرورة تقسيم الكلمة إلى حروف أولا وتمييزها ثم قراءتها، وهما عمليتان في مقابل العملية الأخيرة فقط في اللغات اللاتينية، وقد اقتضى هذا نوعا خاصا من المعالجة لقراءة جميع أنواع الخطوط وأحجامها باستخدام تقنية(Contour Analysis) فأصبح البرنامج قادرا على قراءة جميع أنواع الخطوط العربية المتاحة في الأسواق"(5).

وبالإضافة إلى هذا كله يتضمن البرنامج ملفات عمل آلية لخطوط معينة تفيد المستخدم عندما يرغب في إدخال عدد هائل من الوثائق، أو النصوص، بعدد قليل من الخطوط. وهذا ما يسمح أيضا بتصحيح الأخطاء، أي إتاحة وضع مجموعة كبيرة من الوثائق، تفيد المستخدم عندما يرغب في إدخال عدد هائل من الوثائق أو النصوص، أو وضعها في المصور الضوئي (Scanner) وهذا يسمح أيضا بتصحيح الأخطاء، مع العلم أن النصوص المصورة بالمصور الضوئي يقوم البرنامج بقراءتها مباشرة دون تدخل خارجي.

– تحليل النصوص: يخضع ما تم تخزينه من نصوص لعمليات تحليلية لجميع المفردات الواردة فيها تحليلا صرفيا كاملا (اشتقاقيا وتصريفيا) حيث يتم الحصول على بدائلها الصرفية، وهذا النظام يعرف بـ (المحلل

الصرفي). حيث يتولى تحليل أي مفردة تحليلا صرفيا ويقدم لك جذرها كما يردها إلى استعمالاتها الصرفية الممكنة بسوابقها ولواحقها مع إبراز موازينها وصيغها الصرفية ومشتقاتها المختلفة، وما يلحقها من تغيير في حالة الإفراد والتثنية والجمع.

وحسب ما وقفت عليه شخصيا في مقر الشركة العالمية للإلكترونيات بالقاهرة أن هناك تقدما هائلا تم تسجيله فيما يخص التحليل الصرفي واستراتيجية التصحيح، ولأعطي مثالين عن ذلك:

1- في حالة إدخال مفردة مجردة عن النص مثل (قال) إلى النظام الآلي للتحليل الصرفي، فإنه يقدم كل بدائلها الصرفية.

2- وفي حالة إدخال مفردة واردة في نص ما مثل " أحدث" إلى النظام الآلي للتحليل الصرفي، فإنه يقدم كل بدائلها الصرفية.

وتكمن أهمية هذا الإنجاز في تمكينه من استيعاب مجمل الكلمات القديمة والمهجورة عندما يتم رصدها وتخزينها ليتمكن من تحليلها تحليلا صرفيا، هذا بالإضافة إلى استيعاب كلمات أجنبية سواء كانت ألفاظا ومصطلحات معربة، أو أماكن وأعلاما، مثل رأسمالية وماركسية وبنيوية واستراتيجية واستقراطية، وروما و واشنطن و موسكو. كل هذه الكلمات يمكن تصنيفها تحت خانة الكلمات غير قابلة للاشتقاق وهذه الخانة تتفرع إلى خانات منها:

1- الكلمات التي لا جذر لها وتؤخذ منها المشتقات المختلفة كالمبنيات من الحروف والأسماء مثل حروف الجر وأسماء الإشارة وأسماء الحروف والأفعال الجامدة مثل ليس وعسى والألفاظ المنحوتة، مثل البسملة والحمدلة وتضاف بمجمل الكلمات التي لا تحلل تحليلا صرفيا مثل لفظ الجلالة (الله).

2- الأعلام العربية، لأن تخزينها يسمح بتصنيفها مما يجعل إمكان البحث أمرا ميسورا، وتمكن الباحث من الوقوف على معلومات إضافية.

3- الأعلام الأجنبية: وتصنف بدورها في خانة مع معلومات إضافية عنها.

4- الأعلام المجهولة: وهي بدورها يتم تصنيفها سواء كانت متداولة ولا يعرف أصلها اللغوي أو عامية.

5- الأخطاء الشائعة: إن من بين ما يقدمه التخزين القائم على التصنيف أنه يمدك بالمفردة المبحوث عنها في استعمالاتها الصحيحة والسليمة وينبه إليها، مثال على ذلك:

أ- المصادر الخماسية والسداسية- يتم التنبيه إلى أنها لا تكتب بهمزة قطع.

ب- إنشاء الله - يتم التنبيه إلى أن (إن) حرف الشرط لا تكتب متصلة.

ج- وفي حالة ورود كلمة في بيت شعري خضع للضرورة الشعرية، يتم أيضا التنبيه إلى ذلك، مثل: القائمينا) (الفضا).

د- وفي حالة ورود كلمة عامية تتم الإشارة إلى ذلك.

تخرج كل المفردات المشار إليها آنفا عن نطاق النظام الآلي للتحليل، لأنها لا تخضع للقواعد القياسية المزودة بها، لهذا وضعت في إطار ملف يقدمها البرنامج موافقة لأغراض كاتبيها.

هـ- وفي حالة ما إذا تم عرض مصطلحات مركبة

من كلمتين مثل (الاجتماعي- الثقافي) أو(الحوار الأوروبي- العربي) على النظام الآلي للتحليل الصوفي، فإنه لا يقبلها لكونه لا يحلل كلمتين معا في آن واحد. ولمعالجة هذا الإشكال تم تخصيص ملف لهذا النوع من المصطلحات بحيث يمكن للباحث أو المعجماتي أن يقف بسهولة تامة على تركيبها ودلالتها في ملفها وحسب برمجتها.

وهناك جانب أساسي يتميز به النظام الآلي للتحليل الصرفي يتجلى في قدرته على التصحيح، فهو يتقبل مجمل النصوص عند إجراء عملية التخزين،إلا أنه بإمكانه أن يميز كل الكلمات الخاطئة سواء أكانت أخطاء إملائية أم لغوية أم طباعية، وسواء تعلق الأمر بمفردة بها خطأ أو أكثر مثل (إقتصاد)(إجل)(كتابت) أو كلمة متشابكة عندما يتم إسقاط المسافات التي ينبغي أن تكون بينها مثل (منذز من بعيد) (الر باط) نيو يورك) أو كلمة منفصلة، أي انفصال أجزائها أثناء إدخال النصوص بسبب إقامة المسافات، إذ من المفترض فيها الاتصال (علا مات مصا در فيد يو كهرو مغناطيسي).

ويمكن القول في هذا الصدد إن هناك استراتيجية دقيقة وضعت بدقة متناهية لمعالجة هذا النوع من الأخطاء وجعل النصوص المخزنة تخلو من الأخطاء مهما كان مصدرها إملائية أو لغوية أو طباعية.

2- بنك الكلمات:

يوجد إلى جانب بنوك النصوص حلقة رئيسية بل محورية تتجلى في بنوك الكلمات، إذ أنها تكتسي أرضية خصبة لأي مشروع معجماتي، وأصبحت هذه البنوك متداولة بين أكبر عدد ممكن من الناس وتضع بين يدي السائل ما يطلبه وفي أقصر وقت ممكن، مع العلم أن مهمة بنوك الكلمات لا تنحصر في مجرد التخزين أو الاستشارة فحسب، بل لها وظيفة تقنية واضحة تتحدد في استخدام أو معالجة وتدبير معجم أو معاجم ممعلمة. وقد تأسست هذه البنوك في عدد كبير من البلدان وأغلبها كان يهتم بموضوع المصطلحات منذ أواخر الستينات وبداية السبعينات، إلا أنها مع تطور الطاقة الاستيعابية للحاسوب وسعت نطاق اهتمامها لتشمل أيضا المفردات اللغوية، ومن بين هذه البنوك(6):

- بنك المصطلحات في مجال الترجمة أوتاوا.
- (تيرميوم) Termium
- نورماتيرم بباريس Normaterm
- بنك المصطلحات التابع لشركة سيمنز.
- بنك المعلومات المنمطة بألمانيا.
- يوروديكاتوم بلوكسمبورغ Eurodicautom.
- باسم بالمملكة العربية السعودية.
- مكنز الشركة العالمية للإلكترونيات بالقاهرة.
- المعربي Lexar بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط .

وهي تؤدي وظيفتها بشكل عادي ولا تنحصر فقط في إطار العمل المعجمي والمعجماتي، بل تمس كافة التخصصات حيث تزود المؤسسات العلمية والمعاهد ومراكز الأبحاث والشركات بما يحتاجه من كلمات ومصطلحات في كل المجالات، وعلى سبيل المثال، إذا ما طلب السائل مفردات متعلقة بالزراعة فإن البنك يمده بها.

وفيما يخص العمل المعجماتي فهو جزء مستقل في

إطار ارتباطه العام ببنوك الكلمات، لهذا ينبغي أن يخضع لمعايير محددة انطلاقا منها، مما يدعو إلى:

– إيجاد الرصيد اللغوي الأساسي للغة العربية الذي يخضع إنجازه للبحث.

– إيجاد الرصيد اللغوي لمعجم الطفل، المعجم النواة.

– إيجاد أرصدة لغوية مرحلية أي لكل سنة من سنوات التعليم الأساسي.

– إيجاد الرصيد اللغوي الوظيفي للتعليم الأساسي.

إن هذه الأرصدة بهذا المفهوم وفي اعتمادها على بنوك الكلمات هو ما يجنّب السقوط في الخطإ، ونحن نضع مثلا مشروع المعجم العربي الحديث. إلى جانب هذه الأهمية فإن الأرصدة اللغوية المنجزة في ضوء مجمل النصوص المدرسية هي مادة خام لمؤلفي الكتب المدرسية والمعاهد التربوية.

وبهذه الصورة سيتمكن الحاسوب أو ما يعرف بالمكنز من تأدية خدمة هائلة وسيصبح مرجعاً أساسيا ليستجيب لأي تساؤل. وهذه المهمة مطروحة على الباحثين واستقصاء أعمال المجامع اللغوية والمعاهد العلمية التي تشتغل في مجال المصطلحات والمفردات الحديثة، ولكي يصبح بنك الكلمات مزودا بأقصى ما يمكن من الكلمات.

بعدما أوضحنا الإمكانات التي أصبح يتوفر عليها الحاسوب والطاقة الاستيعابية الكبيرة التي تؤهله للاستجابة لأي تساؤل، فإن ما هو أساسي للتلاؤم معه هو تخزين المادة اللغوية الوثائقية والنصوص الأدبية والعلمية حتى يتمكن أي باحث معجماتي من أن يجد ضالته وفق استراتيجية مشاريعه المعجماتية لإنجاز معاجم في مستوى المرحلة، وبموازاة مع التطورات التكنولوجية في مجال الصناعة المعجماتية الحديثة من جهة، والأنظمة الآلية التحليلية وأجهزتها المعلوماتية من جهة أخرى على قاعدة ما حاولنا إيضاحه فيما يخص أساسيات المعطيات التي تؤدي إلى تحديد نوعي لماهية بنك النصوص (La Banque textuelle) هذا بالإضافة إلى ما سنورده عن أساسيات المعطيات النصية وأساسيات المعطيات المعجماتية وأساسيات المعطيات القاموساتية، والهدف من هذا التحديد هو تمييز الأجهزة المعلوماتية أو الوثائقية المختلفة، وضبط وظائفها في أفق الإنجاز المعجماتي على اختلاف مشاريعه.

II– أساسيات المعطيات النصية

يعد النظام الآلي للتحليل الصرفي الذي ساهمت في إنجازه الشركة العالمية للإلكترونيات بالقاهرة قاعدة أساسية للتعامل مع مختلف النصوص. من هنا تحتل أساسيات المعطيات النصية مكانة متميزة، إذ تقدم ما يتم تخزينه ومعلمته(Informatisé) ويكون جاهزاً للإجابة عن كل التحاليل المتعلقة بعناصر الملفوظات شكلا ومضمونا (المكتوبة أو المسجلة) إذ أن مجمل النصوص التي يراد إخضاعها للتحاليل المعلوماتية تتطلب إعداداً وتهيئة وفق برامج مهيأة لهذا الغرض. وإذا كان لبنوك النصوص توجه ينحصر في تدبير النسخ بحياد تام، فإن أساسيات المعطيات النصية، حسب ما أوضح ذلك كيمادا، تستفيد من مصادر موسومة بالتوجهات العلمية للباحثين الذين خططوا لها وأنجزوها في أفق أبحاثهم الخاصة.(7)

إن كل نص بمجرد ما يصبح قابلا للاستخدام آليا بواسطة ما تم تهيئته من برامج وفق الغايات المحددة له،

وحسب معايير معينة، يشكل أساس المعطيات النصية، وفي هذه الحالة عندما يتوفر الباحث المعجماتي على نص أو نصوص ممعلمة (Informatisés) بواسطة بنك النصوص فإن عليه أن يتولى إيجاد الافتراضات النظرية ليتمكن من إنجاز ما يصبو إليه حسب القواعد والتجهيزات التي يملكها، ووفق الأهداف المتوخاة التي يريد الوصول إليها وتحقيقها. وأعتقد أن برامج الشركة العالمية للإلكترونيات قد تمكنت من تحديد العديد من هذه الأهداف، وما هو مطلوب منها الآن هو تقوية أساسيات المعطيات النصية من أجل تكوين قاعدة عامة تحتوي على مدونة مجهزة بالإشارات ومتوفرة على الرموز التحليلية ومتضمنة برامج عيارية قابلة للتطبيق والمعالجة.

ينبغي الإشارة هنا إلى أن أساسيات المعطيات النصية لا تخص فقط البحث المعجماتي لأن طبيعتها تجعلها منفتحة على كل التخصصات العلمية وقابلة للاستثمار في شتى المجالات، وبإمكان أي باحث في مجال تخصصه استغلال، بأقصى ما يمكن من الفعالية، وثائق ضخمة ومعقدة تتضمن وقائع ومعلومات، إذ أن هذه الوثائق قد تم تسجيلها حسب قواعد نظامية، فهي بالضرورة تستجيب لكل تساؤل وحسب طبيعة التخصص. لذا فإن كل تخصص مدعو ليزود أساسيات المعطيات النصية بكل الوثائق النصية لتكون ذات طبيعة شمولية وفي مستوى المهام المطلوب إنجازها. وطبيعي أن هناك علاقة وطيدة بين بنك النصوص وأساسيات المعطيات النصية، وعلى سبيل المثال فإن الباحث المعجماتي يضطر إلى اللجوء إلى بنك النصوص لإغناء خطة عمله، وتفادي أي نقص ممكن حسب توجهات ما يريد القيام به، سواء تعلق الأمر بمعجم وسيط، أو معجم شامل، أو معجم تاريخي.

وإذا ما تم ربط وحبك العلاقة بين بنك النصوص وأساسيات المعطيات النصية، فإن ذلك من شأنه أن يوفر لنا إمكانات ضخمة، لإنجاز أهم المشاريع المعجماتية، وبأسرع ما يمكن، وجعل القارئ العربي يتوفر على معاجم مختلفة ومتخصصة هو بأمس الحاجة إليها، ويمكن الإشارة هنا إلى بعضها:

- معجم عربي شامل.
- معجم عربي حديث.
- معجم المترادفات.
- معجم الأضداد.
- معجم حياة الحيوان، وهذا المعجم يمكن أن تتفرع منه معاجم كمعجم الطيور ومعجم الحشرات ومعجم الضواري ومعجم الزواحف ومعجم الأسماك الخ...
- معجم النباتات بكل تفرعاتها.
- معاجم المصطلحات في كل التخصصات.

هذا بالإضافة إلى أن بنك النصوص، وأساسيات المعطيات النصية ، إذا ما تم توسيع نطاق التخزين، يسمحان بإنجاز مشاريع هائلة تتعلق بالتاريخ العام والتاريخ القومي، وتاريخ الفن العام والخاص بكل فروعه.

III– أساسيات المعطيات المعجماتية

يعرف برنارد كيمادا أساسيات المعطيات المعجماتية بأنها من الأسس النصية المتخصصة وهي

مهيأة ومجهزة لتحاليل نمط المعجمية، وتكمن مهمتها في الإجابة عن كل التساؤلات المتعلقة بالمفردات داخل سياقاتها. وكما يشير كيمادا ، فإنه يمكن أن نلاحظ أن التجهيزات من نمط "النصية" ضمنت بالأساس إلى حد الآن أداءات من نمط (المفرداتية) مما يعني أن الكلمات واستعمالاتها وسياقاتها هي التي تجسد أساسيات المعطيات النصية الخاضعة لمعالجة حاسوبية وفق منهجية دقيقة ومكثفة وذات مردودية عالية.(8)

إن أهم إشكال يمكن أن يواجه المعجماتي أمام هذه التقنية العالية والدقيقة، فيما يقدمه من مواد ومعلومات، هو أنه عندما يطلب مثلا كلمة « بيت » أو "مدينة" أو "حديقة" أو "أخرج" يجد نفسه أمام مئات من الأمثلة والاستعمالات والسياقات، إما منفردة، وإما مكررة، مما يفرض عليه دقة الاختيار. ويرتبط الاختيار هنا بطبيعة ما يريد إنجازه من معاجم وحسب مستوياتها وأهدافها، وهذه من المهام الملقاة على عاتقه وحده ولا يمكن للحاسوب أن يقوم بها.

هناك إذا التقنية الآلية التي تترك للمعجماتي مجالا للاختيار الخاضع للذوق والتوجهات والتحليل المعجمي، مع العلم أن إشكالية الاختيار يمكن التغلب عليها، وكما يقول كيمادا إن ذلك رهين بإيجاد المعجم الآلي (Le dictionnaire de Machine) الذي لا غنى عنه مستقبلا لكي يوضح ويبين العناصر المفرداتية، ويعرف الرتب النحوية، ووظائف الجمل النحوية، وحيث يتم اختيار الاستشهادات مسبقا، وهناك اجتهادات متواصلة في أوروبا لإيجاد حلول عملية لهذا النوع من الإشكالات.

IV– أساسيات المعطيات القاموساتية

يتحدد مضمون أساسيات المعطيات القاموساتية حسب برنارد كيمادا في طبيعة المعطيات المقترحة للتساؤل (عناصر مواد المعاجم) وفي دقتها حيث تمد مؤلفي الفهارس والباحثين والمعجماتيين بمنفذ سريع ومتعدد التوجهات للوصول إلى مختلف المضامين القاموساتية، إذ أن كل معجم له خصوصيته وتنوعه وسياقه الخاص الخاضع لبنية تنظيم أجزائه. ولكي تؤدي أساسيات المعطيات القاموساتية وظائفها عند المساءلة يجب أن تخضع للتصنيف وتقوية معالجتها وهي بهذا التوجه تتطور، كما أورد ذلك كيمادا،(9) كالتالي:

يتضمن تسجيل وتخزين المعاجم الموجودة (المنشورة أو التي تم تحريرها) على الحاسوب وبفضل شفرات تحليلية خاصة تكمل عملية النقل، لأن النص المنقول يعالج بطريقة المدونة الوثائقية، مما يعني أن جمع نظام الإشارة المنطقي (Système d'indication logique) مع لغة التساؤل الملائمة تجعل بالإمكان الوصول إلى مختلف المضامين والتعرف عليها والوقوف على التباين أو التشابه ما بين معجمين والمقارنة بينهما، مما يسمح بالإضافة أو الحذف. والمعاجم التي يتم إدخالها وتخزينها حسب هذا النظام تسمح بتحاليل متعددة من بينها تحليل ميكنزمات أساليب المعالجة النهائية. وإذا ما تطور هذا الأسلوب واستخدم في مجال اللغة العربية يمكن أن يقدم خدمات وفوائد لا حصر لها، منها أنه يسمح بمراجعة انتقائية للنسخة الأولى بواسطة أسلوب المقارنة لكل المداخل لتكملتها أو لحذف ما هو متنافر وشاذ ومتجاوز أو غير ملائم شكلا

ومضمونا، وتجاوز الثغرات والهفوات، ولكي تصير متجانسة ومعيارية حسب التوجه العام لخطة المعجم المرغوب في إنجازه. ومن دون أدنى شك أن هذه الإجراءات التطبيقية تسهل عملية التصحيح والتنقيح بواسطة التحليل الآلي الصرفي ومصادر المعالجة للنص المعلم(Infomatisé) وهذا يساعد على:

- تسهيل وضع معاجم في نسخ تامة ومضبوطة.
- تهيئة طبعات جديدة.
- إمكان إعادة الطبع مباشرة دون اللجوء إلى إعادة التصحيح بالطريقة التقليدية.
- الاستفادة من المصاريف المكلفة التي كان يتطلبها إنجاز معجم جاد.
- إمكان طبع معاجم مختصرة أو خاصة بمرحلة تعليمية معينة، أو معاجم متخصصة، أو معاجم مزدوجة اللغة.

ولجعل هذه الأعمال متوفرة فمن الضروري تخزين كل المعاجم العربية قديما وحديثا وإخضاعها لهذا الغرض، أي إيجاد كتلة هامة من المعاجم على اختلاف أنواعها سواء على مستوى تعددها واتساعها، أو على مستوى طبيعتها ومضامينها لتصبح مادة معجم ما أو معاجم متنوعة، ولأنها بهذه الصورة تشكل مجموع المعطيات والمعلومات التي تقف عليها لتستغل استغلالا مزدوجا أو متعدد الأبعاد وحسب وظيفة الحاجات الضرورية لكل نوع من الإنجازات المعجماتية سواء تعلق الأمر بمعاجم أحادية أو ثنائية اللغة، وكيفما كان مضمونها لغويا أو موسوعيا،أو متخصصا. وما يرسخ هذا التوجه من الإنجاز المعجماتي يعود إلى ما يتوفر عليه الحاسوب من طاقة استيعابية وبرامج وأنظمة آلية ذات أبعاد متعددة الجوانب على مستوى الجذور والمشتقات والتعابير، أو على مستوى القضايا الصرفية والنحوية، أو على مستوى الترادف والأضداد، أو على مستوى الشواهد.

وبذلك فإن المخزون في هذه الحالة بإمكانه أن يمد الباحث في مجاله بما يحتاجه، وتلبية رغباته بالسرعة المطلوبة.

في إطار هذه المنظومة المتكاملة المعطيات، التي تعتبر أساس الاشتغال والتعامل مع اللغة، يتم التحكم في ضبط الكلمات والتراكيب وفي ضوء أنظمة قائمة على قواعد منهجية مما يسمح بالإنجاز السريع من جهة والدقة التامة، لا فيما يخص المداخل المعجمية والاشتقاقات فقط، بل وفي مجال تنوع التراكيب مما يعطي لأي معجم ينجز في ظل هذه الشروط قيمة علمية دقيقة.

الهـــوامـــش:

أنظر :

(1) René Moreau et Isabell warmesson: ordinateur et lexicographie (lexique) 2/le dictionnaire, 1983, P.U.L.p. 121.

(2) B. Quemeda: Bases de données informatisées et dictionnaires (lexique) 2/le dictionnaire 1983, P.U.L. p 101-120.

نشير هنا أيضا إلى مجموعة من الأبحاث قدمـــت في إطار ندوات علمية منها:

- عبد الفتاح أبو السيدة، الحاســب الآلي والترجمــة، اللسان العربي، ع28، ص95، 1987.

- السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنيــة المعلومات، ندوة عقدت في الفترة من 8 إلى 12 ذي القعدة 1412هـــ الموافق 10-14 مايو 1992، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض 1414/1993م.

- المؤتمر الدولي الثاني، اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، أعمال المناظرة ، الدار البيضاء 8،9 دجنبر 1993، مؤسسة الملك عبـــد العزيـــز آل ســـعود للدراسات الإسلامية والعلـــوم الإنســـانية الـــدار البيضاء.

(3) B. Quemada p. 106.

(4) نفس المرجع السابق.

(5) من وثائق الشركة العالميـــة للإلكترونيـــات، " القـــارئ الضوئي العربي خطوة على طريـــق تقنيـــة معلومـــات عربية " ص.3.

(6) فيما يتعلق ببنوك المصطلحات والمعطيات وما كتب عنها من الناحية التقنية في بداية اشتغالها انظـــــر: د. علـــي القاسمي نحو تطوير بنوك المصطلحات، اللسان العـــربي، ع28، ص77.

- د. ليلى المسعودي، بنوك المعطيات، اللسان العـــربي ع28، 1987.

قاعدة المعطيات المعجمية: المعربي، اللسان العـــربي، ع25، ص91، 1985.

- عامر إبراهيم قنديلجي، بنوك وشبكات المعلومـــات الآلية، مكوناتها، ومستلزماتها نماذج عربية وأجنبيـــة، اللسان العربي ، ع25، ص109، 1985.

- محمد محمد أمان بنوك المعلومات، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1983.

وفيما يتعلق ببنك الكلمات انظر مجلة:

La banque des mots, revue de terminologie française publiée par le conseil international de la langue française.

(7) B. Quemada, p.110.111-

(8) نفس المرجع السابق ص112-111.

(9) نفس المرجع السابق، ص115.

الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريب
(في ضوء النظريات المصطلحية الحديثة)

ذ. جواد حسني سماعنه(*)

[1] توطئــــة

عجلت مرحلة الستينيات المتقلبة من هذا القرن في ولادة مكتب تنسيق التعريب (1961) الذي أنشئ بتكليف رسمي من حكومات الدول العربية للنهوض بأعباء المسألة المصطلحية، التي برزت في وقت كانت العلوم فيه تضج بآلاف المصطلحات والمفاهيم الحديثة التي أفرزها العصر الحديث. هذا ويمضي المكتب في أعماله منذ ذلك الحين في اتجاهين متوازيين، هما:

أ) الاتجاه النظري المنهجي الذي تقوم عليه أعماله المعجمية، ويتجلى فيما يصدر عن مؤتمرات المكتب وندواته وحلقاته من قرارات وتوصيات واقتراحات بخصوص العمل المصطلحي عامة.

ب) الاتجاه المعجمي العملي المكرس لإعداد معاجم المصطلحات الموحدة والتي صدر منها حتى الآن واحد وأربعون معجما تضم مئة وعشرين ألف وحدة مصطلحية ثلاثية اللغة (انجليزي، فرنسي، عربي) في موضوعات التعليم العام والجامعي والتقني. هذا إضافة الى تسعة مشروعات معجمية في طور التوحيد، تشتمل على ستين ألف وحدة مصطلحية، ومائة ألف وحدة أخرى نشرت مستقلة في معجمات وقوائم، أو على صفحات (اللسان العربي) كمادة احتياطية خام يلجأ اليها عند الحاجة.

إن دراسة الحركة المعجمية والمصطلحية في مكتب تنسيق التعريب باتجاهيها النظري والعملي، قصد وصفها ومساءلتها وتقويمها، يقتضي منا وضع هذه الحركة في سياق النظريات المصطلحية الحديثة المنبثقة عن علم المصطلح الحديث، وفي ضوء الاتجاهات المصطلحية السائدة في المؤسسات المصطلحية الدولية الحديثة.

[2] النظرية المصطلحية العامة (Terminology)

[1.2] النظرية المصطلحية العامة : ماهي؟

يعزى استعمال مصطلح النظرية في مجال البحث المصطلحي عاماً وخاصاً الى البروفيسور يوجين فوستر (E.Wuster)(1) الأستاذ بجامعة فينا ومدير مركز المعلومات الدولي للمصطلحات (INFOTERM) (سابقا) الذي أرسى معالم علم المصطلحات بمعاونة فريق من الخبراء أمثال هيلموت فيلبر وولفانج

(*) خبير بمكتب تنسيق التعريب بالرباط

نيدوبيتي وجالينسكي وغيرهم ممن ساهموا في أعمال المدرسة النمساوية. فالنظرية العامة لعلم المصطلحات وفقا لمقاربات هذه المدرسة هي: ذلك الفرع من علم المصطلحات الذي يعنى بما يلي(2):

* المفاهيم من حيث طبيعتها وخصائصها وأنظمتها والعلاقات فيما بينها.
* تسمية ووصف المفاهيم تعريفا وشرحا (مبادئ التسمية)
* مكونات المصطلحات وتراكيبها واختصاراتها
* العلامات اللغوية للمصطلحات من حيث التخصيص
* التقييس والتوحيد المصطلحيان

يحدد هيلموت فيلبر ثلاث مقاربات تجسد النظرية العامة لعلم المصطلحات، هي:

[1.1.2] **المقاربة المفاهيمية** : وتتجلى في النظر الى المفهوم (concept) في علاقته بالمفاهيم المجاورة، وفي مطابقته لعناصر حقله، وتعيين المصطلحات وفقا لنظام المفاهيم الذي تندرج فيه(3)

[2.1.2] **المقاربة الفلسفية** : تلتقي هذه المقاربة مع المقاربة المفاهيمية وتستندان معا الى نفس المرجع المنطقي مع فارق واحد هو أن المقاربة الفلسفية ترتكز على التصنيف، الذي يعد أساسا مكينا في النظرية العامة لعلم المصطلحات في توجهه الفلسفي.(4)

[3.1.2] **المقاربة اللسانية** : التي تعتبر الوحدات المصطلحية مجموعات فرعية من المعجم العام، ولغات خاصة متفرعة عن اللغة العامة. تبحث هذه المقاربة في المظاهر اللسانية للظاهرة المصطلحية، ومن ضمنها الصناعة المعجمية(5).

وقد ساهمت المنظمة الدولية للتقييس (ISO) في تكريس النظرية المصطلحية العامة بجملة من الأدلة تشتمل على مقاييس ومواصفات، اقترحتها للتطبيق في المؤسسات المصطلحية الدولية عامة، منها:(6)

* دليل مبادئ التسمية (1968 – R 704)
* دليل التوحيد الدولي للتصورات (المفاهيم) والمصطلحات وتعريفاها (1968 – R 860)
* معجم مفردات علم المصطلح (1969 – R1087)

[2.2]مظاهر النظرية المصطلحية العامة بالمكتب

يستعمل مكتب تنسيق التعريب كلمة (منهجية) وصفا واستثمارا وتعويضا لمصطلح (النظرية العامة – GTT) الذي لم يرد في مجمل وثائق العمل المصطلحي المكتبية وفي النصوص الصادرة عن ندوات ومؤتمرات التعريب. إن مفهوم المنهجية في ضوء المبادئ التي اتفق عليها لفيف من الخبراء والمتخصصين العرب في عدة مؤتمرات وندوات يعكس بلا شك بعضا من مفاهيم النظرية العامة كما تعرفناها في الوثائق الدولية، ولكنه لا يعكس أكثرها، بل الأهم فيها.

تستند نصوص منهجية المكتب إلى ما جاء أصلا في توجهات مؤتمرات التعريب وإلى ما تناثر من مبادئ مصطلحية ورشح من أفكار على مدى النقاش المصطلحي الدائر منذ بداية هذا القرن، خاصة في مجمع اللغة العربية (بالقاهرة) الذي يصدر تباعا قرارات

جيدة في موضوعات مصطلحية عديدة. ولتجسيد هذه المبادئ المصطلحية، عقد مكتب تنسيق التعريب ندوة في الرباط (18-20 فبراير/شباط 1981) تحت عنوان (ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة)(7) بمشاركة أهم المراكز العربية العاملة في مجال المصطلحات. كما عقد المكتب ندوة ثانية، امتداداً للأولى، في مجمع اللغة العربية الأردني خلال الفترة (6-9 سبتمبر/أيلول 1993)، ثم عرض نتائج وتوصيات هذه الندوة على مؤتمر التعريب السابع (الخرطوم - يناير/كانون الثاني 1994) الذي كلف لجنة علمية اختارها من بين أعضائه للنظر في تقرير الندوة(8).

تتضمن تقارير هاتين الندوتين ولجنة المؤتمر والتقارير الصادرة عن مؤتمرات التعريب مجموعة من المبادئ الأساسية هي ما يعرف بالمبادئ المنهجية المنظمة للعمل المصطلحي في المكتب وتدخل بالتالي في مجال النظرية العامة لعلم المصطلح في ميدانه العربي. تشتمل الوثيقة الصادرة عن ندوة الرباط (1981) على قسمين اثنين، الأول: المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها، والثاني: مجموعة اقتراحات، ومن دواعي الأسف ان يُجزّأ عمل واسع الأطراف متشعب كهذا الموضوع، الذي أفرد له مجمع اللغة العربية (بالقاهرة) أعدادا كثيرة من مجلته وعشرات الجلسات، في ثلاث صفحات لا غير.

تتضمن وثيقة الرباط ثمانية عشر مبدءاً وثمانية اقتراحات، تتمحور حول الجوانب الأساسية التالية(9):

* مجموعة من المبادئ الصوتية العامة (مثلا : أهمية الذائقة الصوتية في صوغ المصطلح)
* مجموعة من المبادئ الدلالية (مثلا: دلالة المصطلح على مسماه)
* مجموعة من المبادئ الصرفية والبنائية العامة (مثلا: اشتقاق المصطلح، ونحته، وتعريبه لفظيا)
* مجموعة من المبادئ السوسيوتاريخية العامة (مثلا: دور الاستعمال في شيوع المصطلح وتوحيده)

وقد اجتزأت ندوة الرباط مفاهيم مصطلحية كبرى و لم تعطها حقها من الاستقصاء، كنظرية المفهوم التي يقوم عليها علم المصطلح في مجاليه العام والخاص. أما مبادئ الترجمة والتعريب ومفاهيم النظرية الخاصة لعلم المصطلح (مثلا: مبادئ صناعة المعجم العلمي المختص)، ومفاهيم التقييس والتوحيد فقد تجاهلتها الى حد كبير، آية ذلك الاقتراح السادس الذي جاء في الوثيقة:

(التعاون مع لجنة المصطلحات التي شكلتها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس في وضع قواعد علم المصطلح تمهيداً لنشرها مواصفات عربية ووطنية)(10).

وعند النظر ملياً في نص وثيقة الندوة وربطها بنصوص الوثائق الصادرة عن المؤسسات المصطلحية الدولية، بل وبالمدونة المصطلحية العربية، نكاد نلمس ضعف الحصيلة التي انتهت إليها، إذ كان يفضل أن تُعَدَّ العدةُ وتُجمَعَ مصادرُ العمل عربية ودولية قبل انعقاد الندوة، للخروج بحصيلة أشمل وأدق.

أما ندوة عمان (1993) التي عقدت تحت

عنوان (منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته) فقد كرست ما جاء في وثيقة ندوة الرباط، على الرغم من هدف انعقادها المنصوص عليه في العنوان. فما بين العامين (1981و 1993) تطورت موضوعات علم المصطلح تطورا كبيرا نظريا وتطبيقيا وتقنيا (حاسوبيا)، مما استوجب معه النظر الى هذه المرحلة بعين الاعتبار. بيد أن ذلك لم يحدث على الوجه المطلوب، فيما نلمسه من تكرار واجترار لمبادئ الندوة الأولى، والنص على توجهات عامة لاخلاف فيها، والتلميح على استحياء الى أهمية موضوعات علم المصطلح بدلا من الغوص فيها.

[1.2.2] ملابسات النظرية العامة بالمكتب (التقييس والتوحيد المصطلحيان: مثالا)

من بين أكثر موضوعات النظرية العامة اضطرابا في أدبيات العمل المصطلحي بالمكتب، وفي العمل المصطلحي العربي عامة، مفهوم التقييس وعلاقته الإشكالية بالتوحيد المصطلحي الذي يقوم عليه الهدف من إنشاء مكتب تنسيق التعريب.

[1.1.2.2] تعريف التقييس

يرجع مفهوم التقييس في بعض أصوله الى معنى القياس في اللغة والمنطق (analogy)، فالمصطلحان من مادة (ق ي س)، نقول قاس الشئ يقيسه قياسا إذا قدره على مثاله، والقياس : تقدير الشئ بالشئ أو رد الشئ الى نظيره، والمقياس: المقدار ، وما قيس به(11).

وعند أهل الأصول، يعرفه الشريف الجرجاني (816هـ) بأنه: ما يمكن أن يذكر فيه ضابطه؛ عند وجود تلك الضابطة يوجد هو(12).

وهو عند اللغويين : منهج وضع القواعد للأعم من وسائل البناء والتصريف والتعبير والنحو...الخ من أبواب اللغة، ثم اتباعها فيما لم يسمع أو لم يستعمل. فإذا سمع أمر من هذه الأمور يخالف القاعدة فهو شاذ لا يصح اتباعه، إذا أخذ بمبدأ القياس المطلق.

من حيث المبدأ، قد يكون هذا التفسير مقبولا لغويا أما في البحث المصطلحي فقد تراكمت دلالاته، وأصبح مفهوما تقنيا وإجرائيا يمكن اختبار معطياته حاسوبيا وإحصائيا على درجة عالية من الدقة.

اشتق المصدر (standardization تقييس) والفعل (to standardize قيس) من لفظة (standard) التي تعني(13):

1) المعيار، أو المقياس، أو القاعدة، أو النمط: ومن هذه الأخيرة اشتقت لفظة (تنميط) المرادفة للتقييس، مقابلا للمصطلح الفرنسي (normalisation).

2) في حالة كونها صفة (معياري ، قاعدي، قياسي) تعني اللفظة: الشيء أو الموضوع...الخ المتصف بصفات وخصائص نوعية، تتسم بالدقة والمقبولية.

[2.1.2.2] تطور مفهوم التقييس عالميا

منذ نهايات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أصبح لزاما على الدول المصنعة والمتقدمة تكنولوجيا أن تتفق على مقاييس إنتاج محددة لتسهيل تبادل السلع وتوحيد أنظمة استغلالها بين الشعوب. وقد قاد هذا أيضا الى التفكير في منهج جديد لتسمية وضبط وتوحيد آلاف الأسماء المعبرة عما ابتكر من (أجهزة، وأدوات، وقوانين...) مما عجل في تأسيس المنظمة الدولية للتقييس (ايزو)، ولجنتها الفنية (TC 37)

لتقييس المصطلحات، وتحول مصطلح (مواصفات)، التقني أساسا، الى مجال علم المصطلح وعلوم اللسانيات.

يعرف جالينسكي (C H. Galnski)، وهو من بين العاملين في اللجنة المذكورة في المركز الدولي للمعلومات (انفوتيرم)، التقييس في المجالين اللساني والمصطلحي، بأنه: (اعتماد قواعد محددة في اختيار المصطلحات ووصفها وترجمتها سواء في لغة الصناعة أو في أي حقل آخر، واعتماد هذه القواعد المحددة في توحيد مبادئ المصطلحية ومناهجها)(14).

من أجل ذلك وضعت اللجنة الفنية مجموعة من مبادئ العمل، أساسا للتقييس والتوحيد المصطلحيين، وهي مواصفات ومقاييس يصلح تطبيقها على كل اللغات. وثمة في الحقيقة العديد من مؤسسات التقييس اللغوي القطرية كمكتب اللغة الفرنسية التابع للحكومة الكندية (OLF)، ومؤسسة التقييس البريطانية، والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، والمجامع اللغوية والعلمية العربية، ومكتب تنسيق التعريب... التي أسست لخدمة لغاتها الخاصة. بيد أن ما يميز المنظمة الدولية للتقييس هو أنها منظمة دولية تسعى الى خدمة مختلف اللغات الإنسانية، من خلال الاتفاق على وسائل عملية لتقليل أوجه الاختلاف بين هذه اللغات في وضع المصطلحات وترجمتها وتدوينها يدويا وحاسوبيا.

[3.1.2.2] أهداف التقييس

يذهب هيلموت فيلبر (H.Felber) الى أن الغرض من التقييس المصطلحي هو تخصيص المفاهيم وتحديد مسمياتها، وتوحيد أنظمتها، وتقليص حدة الاشتراك اللفظي، والتخلص من المترادفات ما أمكن، إضافة الى خلق مصطلحات جديدة عند الضرورة في ضوء المبادئ المصطلحية المتفق عليها(15).

يهدف التقييس في نظر جان سلجير (J.Sager) الى تحقيق المبادئ الأساسية التالية:

أ) **الاقتصاد اللغوي**: يتجلى هذا في تسمية المفاهيم وسك مصطلحاتها اشتقاقا أو تركيبا أو نحتا، كما يتبدى في تعريف وشرح المصطلحات(16).

ب) **دقة التعبير**: ويعتبره ساجير مقياس الصحة الذي يضبط تمثلات المعرفة ومقاصدها، (أي مضامينها). يتحدد مقياس التعبير الدقيق في مظهرين أساسين هما: دقة المرجع الذي يحيل إليه المصطلح، ودقة العلاقات التركيبية، أي الأشكال اللسانية التركيبية لمصطلح ما، مما يعني تعبير المصطلح عن مفهوم واحد، وتسمية المفهوم بعلامة لسانية واحدة(17).

جـ) **ملاءمة التعبير**: أي ملاءمة المفهوم لحقله الخاص، وقدرة المصطلح على التعبير عن المفهوم الذي يمثله، بدون ترادف أو اشتراك لفظي أو غيرهما مما يؤثر في وحدته(18).

يسري التقييس على كل مراحل العمل المصطلحي بوصفه منهجا اختباريا في ضبط الأعمال المصطلحية، فهو يدخل في مرحلة جرد المصطلحات وجمعها، وفي طرائق تسمية المفاهيم (الاشتقاق،

التركيب، النحت، التعريب، المجاز، الترجمة) وفي ربط المصطلحات بعضها ببعض وفقا لعلاقاتها بأنظمة المفاهيم، وفي تدوين المصطلحات وتوثيقها، وترتيب مداخلها في المعاجم، وفي تعريفها، والإحالة الى أضدادها وترادفاتها، وفي فهرسة المعاجم، وفي علاقات المصطلحات بالمصطلحات المكافئة في اللغات الأخرى، إذا كان العمل المصطلحي متعدد اللغات. ومن الطبيعي أن يقود هذا المنهج الى توحيد المصطلحات بالنسبة الى مسمياتها في سياق المفاهيم التي تعبر عنها، والى توحيد المصطلحات بالنسبة الى المصطلحات الأخرى المنافسة في الحقل ذاته.

[4.1.2.2] مفهوم التقييس وملابساته النظرية في المكتب

يخضع التقييس في مكتب تنسيق التعريب، الذي يختلف تماما عما شرحناه، لمفهومين متداخلين :

[1.4.1.2.2] – المنهجية العلمية: أساسها البنود المحدودة، الصادرة عن ندوتي الرباط (1981) وعمان (1993)، والتي لاتعد مقاييس عمل نهائية بوصفها مجموعة من التوصيات والمقترحات، تفتقر الى شرعية التداول والى إمكانية فرضها على واضعي المصطلحات ومعدّي المعاجم المختصة. لذلك، فإنها تمثل نبراسا باهت الضوء في مراحل معينة من العمل الاصطلاحي (ترجمة اشتقاق، تعريب...) أما في مراحله الأخرى الأكثر أهمية (جرد، جمع، تدوين، توثيق وتصنيف...) فإنها لاتفي بمتطلبات التقييس، خاصة عند اختبارها حاسوبيا.

[2.4.1.2.2] توحيد المصطلحات: غالبا ما ينوب مفهوم التوحيد المصطلحي عن التقييس المصطلحي في أدبيات التعريب في الوطن العربي، ففي مكتب تنسيق التعريب يحل مفهوم التوحيد محل التقييس، مع أنه مرحلة لاحقة للتقييس ونتيجة مطلوبة من نتائجه.

تخضع معاجم المكتب المتخصصة لمراحل عمل متعددة قصد توحيد مصطلحاتها، على النحو التالي:

أ) مرحلة إعداد المخطوط ثلاثي اللغة (انجليزي، فرنسي، عربي)، حيث تكون الإنجليزية لغة المدخل ومنطلقاً للعمل، تعقبها الفرنسية، فالعربية (لغة هدف)، وغالبا ما تكون المصطلحات بلا تعريف أو شرح؛ وعادة ما يذيل المخطوط بفهرسين (أو كشافين) بالفرنسية والعربية.

ب) إرسال المخطوط الى المؤسسات المصطلحية المختصة في الوطن العربي (جامعات، مجامع...) لإبداء الملاحظات عليه.

حـ) عقد ندوة خبراء لدراسة المخطوط في ضوء ما يتوصل المكتب به من ملاحظات، وما تراه الندوة مجديا لمراجعته.

د) رقن المخطوط بعد الالتزام بملاحظات الندوة وإرساله مجددا الى جهات الاختصاص أفرادا ومؤسسات، لتلقي الملاحظات من جديد.

هـ) عقد مؤتمر للتعريب الذي يؤلف لجانا مختصة لدراسة المعجمات المعروضة عليه على هدي من ملاحظات الدول ، ثم المصادقة عليه إذا ما ارتأت اللجان ذلك.

تراجع المعاجم في المراحل المذكورة وفقا للموضوعات التالية:

* دقة تعبير المصطلح عن مسماه.

* حذف أو زيادة مصطلحات تبعا لصلاتها بموضوع المعجم.

* محاولة الإبقاء على مقابل عربي واحد للمدخل الأجنبي، وهو ما يسمى في المكتب، عادة، بالمصطلح العربي الموحد.

وقد يقع الخبراء في تمحل ظاهر في اختيارهم المقابل العربي الواحد من بين عدة مقابلات عربية تعبيرا عن وحدة المفهوم في اللغة العربية. وهذا الاختيار مبني على وهم خطير في تصور الخبراء لمفهوم المصطلح الموحد، ذلك أن ما يفعله الخبير معد المعجم وما يقوم به خبراء اللجنة ليس أكثر من عملية تنسيق للمصطلحات الثلاثية اللغة، فما يختارونه سواء كان مقابلا واحدا أو أكثر لايعدو أن يكون مصطلحا منسقا في مسرد منسق لاموحد.

إن كلمة موحد في النظرية المصطلحية تعني تسمية المفهوم بمصطلح واحد وتعبير المصطلح عن مفهوم واحد في الميدان الواحد للغة ما. أما في المعاجم متعددة اللغات، وحتى المقيسة منها، فمن الصعب أن تكون المصطلحات كلها موحدة. فحيثما وضعنا معجما متخصصا متعدد اللغات، يكون الأساس في تخصيص المفاهيم عائدا إلى لغة المدخل، وهي الإنجليزية في معجمات المكتب (الموحدة)، فهي اللغة المصدر، وما عداها لغات هدف، لاتقتضي بالضرورة أن تعبر عن مفهوم المدخل الإنجليزي بعلامة لسانية واحدة، وهذا ما يفسر مطالبة بعض المصطلحيين مكتب تنسيق التعريب بالقيام بعملية قلب للمعجم تصبح فيه المداخل بالعربية تلبية لمفهومي التوحيد والتقييس. يقول في هذا جان ساجير:

" إن مصطلحات أي معجم ينبغي أن تكون بالضرورة معرفة وجلية بوضوح تام، فالمصطلحات المقيسة هي دائما متماثلة، معبرة عن مراجعها (مسمياتها) بنفس العلامات اللسانية الواصفة وبدون مرادفات. في الوقت ذاته فإن المصطلحات الموحدة ، والتي تكون عادة نتيجة من نتائج التقييس المصطلحي، قد يتعذر اطرادها بين اللغات المختلفة، الا أنها ممكنة في اللغات الوطنية أي في اللغة الواحدة الخاصة بكل أمة، وفقط في علاقتها بالاستعمال الخاص، أي بميدان المعجم الذي وردت فيه هذه المصطلحات، وفي الدولة التي تتبناه"(19).

لذلك نرى أن مفهوم التوحيد في معجمات مكتب تنسيق التعريب ليس أكثر من عملية توفيق وتنسيق ومواءمة بين لغتين متعارضتين أصلا احداهما هي اللغة المصدر (اللغة المنتجة) التي تحدد دقة دلالة المصطلح على مسماه ، وثانيتهما اللغة الهدف (اللغة المستهلكة)، اللغة التي تحاول أن تطابق نفسها قسرا على لغة ليست من نسيجها، ومن الطبيعي جدا هنا، ان يحصل الترادف والإشتراك وبعض مظاهر الخلل المعجمي المعروفة.

وقد تنبه أحد الباحثين المصطلحيين العرب هو الاستاذ محمد رشاد الحمزاوي الى خطورة هذا الموضوع في كتابه (المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها) أوضح فيه ضرورة التمييز بين مفهومي التقييس والتوحيد في العمل المصطلحي، في سياق منهجية أعدها لهذا الغرض. وكانت (ندوة

تطوير منهجية وضع المصطلح العــربي) المنعقــدة في عمان (1993) قد أخذت برأيه في هـــذا الموضــوع وأوصت بما يلي:

" اقتراح منهجية لتوحيد المصطلحات تقــوم على أربعة عناصر هي(20):

1) الاطراد والشيوع
2) يسر التداول (قلة حروف الكلمة الواحدة)
3) الملاءمة (تفرع المصطلح الى ميادين مختلفة)
4) التوليد (كثرة الاشتقاق من المصطلح)."

وقد دعم الباحث المنهجية، التي تأثر بها الى حـد كبير بالمنهجيات المتبعة في المؤسســات المصطلحيـة الدولية وبالتوجهات التي لمسناها عند جـان سـاجير وهلموت فيلبر، بطرائق إحصائية وحاسوبية مكنته من الوصول الى نتائج جيدة، في مجال التقييس والتوحيـد المصطلحيين.

[3] النظريــة المصطلحيــة الخاصــة (Terminography)

[1.3] النظرية المصطلحية الخاصة : ماهي؟

تعرف النظرية الخاصة لعلم المصطلحات بأنهـا: النشاط المصطلحي الذي يهدف الى تدوين المفـاهيم المصطلحية، بما في ذلك مواقع المفاهيم في أنظمتـها، وتدوين البيانات المصطلحية التي تقدم وصفا مختصـرا لمفهوم ما أو لمجموعة من العلاقات التي تربـط بـين المفهوم والمفاهيم الأخرى. وتتجسد النظرية الخاصـة لعلم المصطلحات فيما يسمى بمحمل البيانات، كيفمـا كان هذا المحمل: بجذة أو قائمة مصطلحات أو معجما أو قاموسا أو بنكا للمصطلحات أوغير ذلك إن وجـد بكل ما تتطلبه المحامل المصطلحية من مقتضيات الجـود والجمع والتدوين والتعريـف والتوثيـق والـترتيب والتصنيف، والخزن والمعالجة والاستخراج ... الخ الـتي هي قوام العمل المصطلحي الحديث(21). وسـنعرض هنا لشكلين من الأشكال المعجميـة المتداولـة(22)، يطغى عليهما الخلاف في التسمية والمفـهوم، وهمـا المعجم والقاموس المختصان:

[2.3] تعريف القاموس والمعجم المختصين

يعرف « القاموس » (Dictionary) في المعجـم الانجليزي، بأنه:(23)

أ) كتاب يعرض قائمة من الكلمـات، بنظـام ألفبائي، مقرونة بتعريفاتها وبطرائق تلفظها، نحو (webster dictionary).

ب) قواميس الترجمة ذات اللغتين أو أكـثر (أي قاموس بالأنجليزية والألمانية، مثلا).

حـ) كتاب يعنى بالكلمات والتراكيب المتعلقـة بموضوع خاص (أي قاموس بالمصطلحـات الكيميائية، أو المصطلحات الجغرافية).

يقابل القاموس ما نسميه معجما مختصـا (vocabulary) وهو:(24)

أ) قائمة المفردات المتحققة لدى شـخص مـا (الرصيد اللفظي لهذا الشخص)

ب) مجموعة خاصة من الكلمات تعبر عن ميـدان خاص (تجارة ، فيزياء،...الخ).

حـ) قائمة كلمات، غالبـا مـاتكون ألفبائيـة الترتيب مقرونة بشروح وتعريفات، أقل ممـا

هي في القاموس.

يحيل هيلموت فيلبر الى أهمية المعجم المختص أي الـ (vocabulary) في مجال النظرية الخاصة لعلم المصطلحات، باعتبار ان النوع الثاني (أي القواميس) مكيفة مصطلحيا وليس مفهوميا، ومرتبة ألفبائيا، مما جعله يحكم عليها بأنها قواميس ترجمة (translation dictionary)(25). مقابل ذلك فإن المعجم المختص خليق بالعمل المصطلحي لأن مصطلحاته مكيفة مفهوميا، وتتبع نظاما مصنفا وفقا لمنظومات من المفاهيم المعرفة والمعبرة عن مجمل وحدات الحقل العلمي الخاص(26).

أما من حيث أنواع المعاجم فقد يكون المعجم المختص بلغة واحدة أو أكثر، أو يكون بعلم معين أو بقطاع منه، كما يمكن أن يكون ورقيا (مطبوعا) أو (مخطوطا)، أويكون محوسبا موسوما بعدد مصطلحاته وبنوع وحجم بياناته المصطلحية. أخيرا وليس آخرا، قد يكون المعجم ألفبائي الترتيب بدون تصنيف موضوعاتي، أويكون مصنفا وفقا لمنظومات من المفاهيم، وهو أفضل أنواع التأليف المعجمي المختص.

هل ينطبق أي من هذين النمطين على أعمال المكتب المصطلحية شكلا ومضمونا؟ كلا، ذلك أن هذه الأعمال ليست أكثر من مسارد ألفبائية منسقة لاموحدة، لم يتبع مؤلفوها في إعدادها أهم أسس التأليف المعجمي، مما جعلها تفتقر الى العديد من سمات العمل المعجمي المختص.

[3.3] الجمع والتدوين (مثالا) في أعمال المكتب الموحدة

من بين أهم إشكالات معاجم المكتب الموحدة: الجمع العشوائي، الذي يقوم عادة على خطة غير منهجية لاتأخذ في الحسبان جملة حقول الموضوع ومفاهيمها الأساسية والفرعية. إن عدم الاقتداء بالجمع المفاهيمي يؤدي الى طغيان مجال على مجال في متن المعجم، وإلى تداخل حقول الموضوع وتهدم وحدته العلمية، وبروز العديد من المشكلات المصطلحية كالإشتراك والترادف وتشتت المفاهيم. فمن غير المألوف في العمل المصطلحي الحديث أن يقوم فريق العمل بجمع المصطلحات دون صنافة مفاهيم أولية (conceptual nomenclature) تغني أولا بأول على امتداد مراحل العمل، لمعرفة علاقات المفاهيم فيما بينها من حيث قربها أو بعدها عن مجال الموضوع. إن جمع المصطلحات وفقا لنسق مفاهيمها شرط أساسي من شروط الجمع والتدوين المعجميين، كما أنه خطوة أساسية في عملية التقييس المصطلحي التي تقود الى ضبط المصطلحات في مواقعها ويؤدي تاليا الى توحيدها.

إن خاصية الاتساق الداخلي (internal cohesion) لمختلف ميادين المعجم، وخاصية الترابط المفهومي (conceptual coherence) داخل المعجم، أفقيا وعموديا، شرطان أساسيان من شروط الجمع والتأليف، بهما تصان وحدة المعجم الموضوعية ويحفظ تماسك شبكته المصطلحية(27).

ونظرا لضيق الوقت، سنحاول هنا تقفي خاصية الترابط المفهومي في (المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة) الذي أعده مكتب تنسيق التعريب، ويعرضه اليوم على ندوتكم الموقرة للاطلاع والمناقشة. وقد اخترنا لذلك عينة طالعتنا

مصادفة في الصفحات الأولى من المعجم، تخص مفهوم التأمين (assurance، insurance)، لا تختلف عنها النماذج الأخرى في المعجم المذكور.

يعد مفهوم التأمين من المفاهيم العريضة في النظام الاقتصادي الحديث الذي يتسع لمئات المصطلحات، ويتفرع الى مفاهيم عديدة رئيسية وفرعية ، مما لا يلمس كما ونوعا في المعجم الموحد. ذلك أن وحدات المفهوم المصطلحية في المعجم الموحد تفتقر الى الحد الأدنى من مفهوم المنظومة المصطلحية ومعيار النسق، حيث تتوزع هذه الوحدات (50 وحدة) في ثلاثة مواقع من المعجم، على النحو التالي:

- ثلاثة مصطلحات وردت تحت المفهوم (assurance) وتحمل الارقام (538) (539) (540).

- ثلاثة عشر مصطلحا تحت المفهوم (insurance) وهي على التتابع: (4319) الى (4332).

"يمكن ملاحظة الترادف في هذين الموقعين بين (assurance، insurance) مما سبب تكرارا في موقعي المفهوم في مثل :(assurance policy و insurance policy) و assurance company و insurance company) ...الخ

- أربعة وثلاثون مصطلحا تناثرت أشلاؤها المفهومية تحت معظم حروف المعجم: (7034)، (3166)، (7663)، (2951)، (5350)، (4466)، (3332)، (3185)، (3693)، (8415)، (5151)، (5064)، (370) + (1733) + (8757) ← (ترادف في لغة المدخل) (3972)، (8527)، (3433)، (66) + (1343) ← (ترادف في لغة المدخل)، (2567)، (8258)، (7589)، (4790)، (2462)، (5377)، (1516)، (5)، (8048)، (2457)، (6168) ← (ترادف عربي)، (349)، (3507).

يضاف الى هذا التخلخل في وحدات حقل المفهوم، عدم اشتمال الحقل على مصطلحات هامة جدا ووجود مصطلحات أقل أهمية، إذ لو أن معدي المعجم اتبعوا الطريقة المألوفة في العمل المصطلحي بوضع صنافة أولية بالمفاهيم الأساسية، مع إغنائها تدريجيا بالمفاهيم المطلوبة حسب الحاجة والأهداف والمرامي المتوخاة في إعداد المعجم لتمكنوا من تلافي مثل هذه الأخطاء المنهجية.

وإذا ما وضعنا معجمنا الموحد الذي يتضمن (8846 مصطلحا ثلاثي اللغة) وهو عدد ضخم بلاريب في مقارنة مع معجم آخر للدكتور أحمد زكي بدوي (معجم المصطلحات التجارية والتعاونية) (1481 مصطلحا ثلاثي اللغة)(28) أقل بكثير من مصطلحات المعجم الموحد، تبين لدينا أن هذا المعجم المنسوب الى شخص واحد لا الى مؤسسة، يتمتع بمزايا معجمية أفضل من نظيره الموحد. ومن الميزات التي يتمتع بها معجم الدكتور بدوي ولعله الأهم: جمع المصطلحات وتدوينها بحسب أنظمتها المفاهيمية، مما جعل المعجم يتسم بخاصيتي الاتساق والترابط المفهوميين. في هذا الضوء وتطبيقا على مفهوم (التأمين) الذي استعرضناه في المعجم الموحد، ترد مصطلحات المفهوم (الثلاثون) في ثلاثة مواقع من المعجم، على النحو التالي:

- مصطلحان اثنان ينتميان الى المفهوم assurance تحت الحرف (A)

- خمسة وعشرون مصطلحا تنتمي الى المفهوم (insurance) وردت اتساقا وعلى التتابع بتقديم المركب (insurance) على ما سواه من المركبات المصطلحية تحت الحرف (I)

(مصطلحات هذا المفهوم تناثرت في المعجم الموحد تحت حروفه كلها تقريبا).

- ثلاث مصطلحات فقط (بمجال التشتت) وردت تحت الحرفين (M , C)

يتمتع معجم بدوي كذلك بميزة التعريف المصطلحي التي يخلو منها المعجم الموحد، كما يمتاز بنظام الإحالة، في حالة الترادف في لغة المدخل، وبنظام الترتيب المفاهيمي، الى حد كبير، مما لا يتوافر عليه المعجم الموحد.

[4.3] المبادئ المنهجية المطلوب مراعاتها في أعمال المكتب المصطلحية

تأسيسا على ما ورد من إشكالات، وعلى اتجاهات العمل المصطلحي في المؤسسات الدولية الحديثة، يمكن القول بأن العمل المصطلحي في مكتب تنسيق التعريب يفتقر الى المعايير الوطنية، ومثيلتها الدولية المتبعة في تلك المؤسسات، والتي تعد من بين أهم تمظهرات علم المصطلح الحديث. وقد دفعنا الاطلاع على خطط العمل في بعض المؤسسات المصطلحية الدولية (مكتب اللغة الفرنسية (OLF) التابع للحكومة الكندية بكيبيك، مثالا)(29) الى وضع خطاطة أولية نقترح فيها اتباع المبادئ المنهجية التالية في العمل المصطلحي بالمكتب:

[1.4.3] مبادئ عامة

[1.1.4.3] اختيار موضوع المعجم

ضرورة أن يكون اختيار موضوع المعجم نابعا من خطة محددة ومقيدة زمانا واختصاصا، ذلك أن أسلوب اختيار الموضوعات المعجمية الذي يتبعه المكتب والمقيد، في أغلب الأحوال، بتحقيق رغبات قطرية، دون دراسة ميدانية شاملة لأولويات الاختيار... لا يحقق الرؤية الاستراتيجية المطلوبة في وضع برامج المكتب وأعماله المصطلحية من منظور قومي.

[2.1.4.3] مؤهلات فريق العمل

يعني هذا، أهمية اشتمال فريق العمل المعجمي على خبرات متنوعة في صناعة المعجم وعلم المصطلح الحديث والحاسوبية... ذلك أن انفراد المختصين وحدهم بإعداد المعجم لايكفل لهذا العمل النجاح المطلوب.

[3.1.4.3] أدوات العمل

أي تسلح فريق العمل بالأدوات الكافية والمناسبة للشروع في العمل المعجمي، ومن ذلك: المصادر المطلوبة، ومعايير العمل المناسبة كالأدلة الصادرة عن المنظمة الدولية للتقييس، نحو التوصية رقم (1149) الخاصة بتصميم المعاجم المصنفة المتعددة اللغات، والتوصية رقم (919) في تحضير المعاجم المصنفة، والتوصية المتعلقة بالرموز المستعملة في المعاجم المصنفة.

[2.4.3] مبادئ خاصة

[1.2.4.3] نظام التشجير

يتطلب هذا وضع تصور أولي لموضوعات المعجم الفرعية وفق شجرة الميدان، وعمل صنافة مفاهيم تستكمل تدريجيا خلال مراحل العمل. في هذا الصدد، تجدر الإشارة الى نص توصية (ايزو) على أن لا يزيد عدد مفاهيم المعجم المختص عن (1000) مفهوم، وفي حالة التوسع في عدد المفاهيم يجري

تقسيم الموضوع الى فروع وفق نظام للتشجير، وتحضير المعجم ونشره في شكل مجلدات منفصلة(30). لذلك يصبح وضع صنافة بمفاهيم موضوع المعجم أمرا لا مفر منه إزاء متطلبات الاتساق والتماسك مفاهيميا.

[2.2.4.3] متطلبات الجرد المصطلحي

وهي مرحلة البحث والإنجاز واستقصاء المصطلحات ومعطيات المصطلحات، مما يقتضي تحديد الوحدات المصطلحية وملء المنازل الشاغرة في صنافة المفاهيم التي تغنى وتعدل بحسب تشعب الموضوع وتقدم العمل فيه. يجري العمل في هذه المرحلة في ضوء مقاييس العمل المصطلحي وهي نوعان: مقاييس لسانية وأخرى غير لسانية. وبعد تحديد الوحدات المصطلحية، يقوم فريق العمل بتحديد السمات المفهومية، ويقتضي الأمر هنا المطابقة بين المصطلحات والمفاهيم التي تندرج تحتها لخلق أفضل وضع ممكن من الانسجام بين المفاهيم ومصطلحاتها.

[3.2.4.3] معالجة البيانات المصطلحية

ينبغي أن تخضع هذه المرحلة للخطوات التالية:

أ) الدراسة المفهومية: أي إقامة الروابط بين المفاهيم واستنباط نقاط الالتقاء والاختلاف فيما بينها لتحديد مواقعها من التسلسل بحسب التفريع المطلوب من العام الى الخاص فالأخص، بحيث ينتهي فريق العمل بهذه الخطوة الى تحديد المفاهيم وتعيين مصطلحات كل مفهوم مع تعريفاتها بلغات العمل المطلوبة، أو على الأقل بالعربية منها.

ب) الدراسة اللسانية: وتشمل :

* إقامة الروابط بين مختلف الوحدات المصطلحية (الألفاظ والمفاهيم) والحكم على مدى التلاؤم بينها تقنيا ولسانيا.

* اختيار الوحدات المصطلحية والتأكد من مدى التطابق بينها وبين المفاهيم التي تندرج تحتها. يتطلب اختيار الوحدات الركون الى معايير قبول لسانية، ومصطلحية، ومعايير أخرى سوسيولسانية.

ومن بين معايير القبول اللسانية: تطابق الوحدات مع النظام اللغوي، والقدرة الدلالية للوحدة المصطلحية، وعدم التداخل مع الوحدات. ومن معايير القبول المصطلحية: مطابقة الوحدة للقواعد المصطلحية العلمية والتقنية، ودرجة شيوع الوحدة، واطراد الوحدات في مصادرها. ومن المعايير السوسيولسانية : واضع المصطلح وقوة المصطلح التداولية، ومجال استعماله.

وقد يضطر فريق العمل في هذه المرحلة الى توليد المصطلحات، بابتكار تسمية للمفهوم إما بالاشتقاق من مادة موجودة أصلا، أو بالتركيب، أوبالمجاز أو بالترجمة.

تتوج هذه المرحلة بدمج جذاذات العمل التي كانت بثلاث لغات منفصلة نظريا (في العمل الثلاثي اللغة)، في جذاذة واحدة، مما يستدعي الملاحظة والتدقيق.

[4.2.4.3] تدوين المعطيات المصطلحية

بعد مرحلة المعالجة، يتم تدوين المعطيات المصطلحية وفقا لأهداف محددة، منها: استخراج

المعاجم والقوائم والقواميس، أو دفعها الى الحاسوب كجزء من بنك المصطلحات. ولهذا العمل بطاقة بيانات خاصة معروفة تشتمل على لائحة بالعناصر والمعطيات المصطلحية تكثر أو تقل تبعا للغاية من العمل: قوائم، معاجم، مكانز، بنوك مصطلحات...الخ.

[5.2.4.3] إحالة ملفات العمل على ندوة الخبراء

تقوم هذه اللجنة بمراجعة العمل وتدقيقه، في ضوء مقاييس العمل المطلوبة، وهي المرحلة الأخيرة من التدقيق والتقييس قبل عرض المعجم على مؤتمر للتعريب للمصادقة عليه.

[4] خلاصة وتقويم

استعرضنا على امتداد الصفحات السابقة بعضا من أهم المفاهيم المصطلحية النظرية والتطبيقية، فعرفنا بالسائد من موضوعاتها الأساسية وبتقنياتها الإجرائية الخاصة فيما يدعى (بالتيرمينوغرافيا) في أصولها الدولية الحديثة، وفي تجلياتها وإشكالاتها في العمل المصطلحي بمكتب تنسيق التعريب. وقد أسفرت جملة القضايا التي أثرناها والمواقف التي ساءلناها، والبدائل النموذجية التي اقترحناها عن أوجه عديدة من الاضطراب والخصاص تكتنف العمل المصطلحي بالمكتب. وقد قادنا هذا الى الاعتقاد بأن المعاجم الموحدة التي أعدها المكتب والمسلك المنهجي المتعثر الذي يمضي فيه، بحاجة الى إعادة نظر جذرية تقوم على أسس منهجية حديثة. يقتضي هذا التغيير بلاشك، مد يد العون الفعلية الى مكتب تنسيق التعريب ماليا وعلميا واعتباريا، لكي يتمكن من القيام برسالته القومية على أفضل وجه ممكن. في الوقت ذاته، فإن أحدا لا يستطيع التنكر لجهود المكتب أو إغفال دوره في إشاعة الوعي بمفاهيم مصطلحية كانت غائبة قبل تأسيسه، ومن ضمنها: مفاهيم التنسيق والتوحيد والتعريب والمنهج... وما واكبها من بحوث هائلة كما ونوعا استدعت مؤخرا اعتراف الأوساط اللغوية بمختلف قطاعاتها بأهمية موضوعات علم المصطلح الحديث، وبضرورة تدريسه في الجامعات العربية بميدانيه الدولي والعربي.

[5] هوامش

1) أعد فوستر في مجال علم المصطلح أطروحته في الهندسة الكهربائية التي شق بها طريق الريادة الى علم المصطلحات ثم توالت تأليفاته بعد ذلك في النظريتين العامة والخاصة.

ومن بحوثه في هذين الموضوعين:

- Introduction to the General theory of terminology and terminological lexicography, wien/ NewYork: springer, 1979, Part 1: 145 p., Part 2 : 70p.
- The general theory of terminology-aborder field between linguistics, logic, ontology - Information science and the subject fields. linguistics (1973), n° 119 - p.61 - 106.

2) H. Felber,
Terminology Manual; International Information Centre for terminology (Infoterm), Paris, 1984, p. 96 - 97.

3) Felber, op. cit., p. 96 - 97.

4) Idem., Ibid., p.96.

5) Idem, Ibid., p. 12 - 13.

6) مرقون يضم توصيات إيزو، (ترجمة): المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس (الأمانة الفنية للجنة العربية) رقم (05) لعلم المصطلح (تونس: المعهد القومي التونسي للمواصفات والملكية الصناعية، ديسمبر/ كانون الأول 1986)

7) الوثيقة الصادرة على الندوة منشورة في عدة أعداد من اللسان العربي، ومنها العدد: 39، يونيو / حزيران 1995)، ص 339 - 341.

8) انظر : أعمال مؤتمر التعريب السابع لإقرار مشاريع المعاجم ونظم الكتابة العربية العلمية (الخرطوم: 1994/1/25 - 1994/2/1)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب).

9) اللسان العربي، ع 39، ص 339 - 340.

10) م.ن، ص 341.

11) المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)

" هذا المعنى متضمن في كلمة (analogy) في المعجم الإنجليزي "

12) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات (الدار التونسية للنشر، 1971) ص 233.

13) Longman Dictionary
((The Oxford Reference Dictionary (نظر أيضا

14) CH. Galnski, ISO / TC 37
(Terminology principles and Coordination)

مؤتمر التعاون العربي الدولي في علم المصطلح (أسمو، أنوربي، انفوتيرم) (7 - 10 يونيو/حزيران1986).

15) Terminolog Manual, op. cit., p 15

16) Juan Sager,
A practical Course in Terminology processing, Amsterdem, Philadelphia (1990), p.107-109

17) Idem., Ibid; p. 109 - 110.

18) Idem., Ibid; p. 111 - 113.

19) Idem., Ibid; p. 115 - 123, p. 123 - 128.

20) للتوسع في هذا الموضوع انظر:

محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (منشورات دار الغرب الإسلامي: 1986)

21) Felber, H, Terminology Manual, p. 189-190

22) علي القاسمي، المصطلحية (مقدمة في علم المصطلح) (بغداد: دار الحرية، 1989)

في نهاية الكتاب تعريف بمصطلحات علم المصطلح ساهم المؤلف في الندوة العالمية للسانيات (الرباط- 1982) في ترجمتها إلى العربية، ومن بين الأشكال المعجمية الواردة:

1 - الثبت أو الكشاف أو الفهرس (Index)،

يعرف بأنه لائحة طويلة بمصطلحات أو مفاهيم مأخوذة من نص، وعادة ما ترتب ألفبائيا، وتكون أحيانا متبوعة بمرجع يمكن من العثور عليها.

2 - المسرد (Glossary)

وهو قائمة تقدم سردا محدود المصطلحات

تنتمي الى ميدان ما وتكون مصحوبة بمقابلاتها في لغة أو أكثر ولا تحتوي القائمة على تعريفات، وقد يكون المسرد:

أ) ألفبائيا: وتكون مواده مرتبة ألفبائيا ويكون غالبا مصحوبا بإحالات.

ب) مفهوميا: ويكون مرتبا ترتيبا تصنيفيا وغالبا ما يكون مصحوبا بكشاف (أو ثبت).

3 - مخصص (nomenclature)

وتعني قائمة من المصطلحات تربط بينها علاقات دلالية مهيكلة لمجموعة من المفاهيم الخاصة بميدان معين اقترحنا تسميتها بـ (صنافه) لأنها تستند في ترتيب مصطلحاتها الى مفهوم التصنيف والنظام المفاهيمي.

4 - المكنز أو المذخر (Thesaurus) وهو قائمة مهيكلة متكونة من وحدات خاصة بميدان ما يعد بعضها واصفات دلالية مهيكلة تربط بين وحدات هذه القائمة التي تحتوي على قواعد مصطلحية، دورها ترجمة مفاهيم معبر عنها بلغة طبيعية إلى لغة اصطناعية.

5 - الجذة المصطلحية (Terminology file)

وهي قائمة يدوية أو آلية تتكون من جذاذات مصطلحية مرتبة ترتيبا ألفبائيا أو مفهوميا.

6 - بنك المصطلحات ((Terminology (data) Bank)

وهو قائمة آلية أحادية اللغة أو متعددتها متكونة من مصطلحات مصحوبة بمعلومات مصطلحية وتراجع هذا القائمة الآلية (الالكترونية) بواسطة مطراف، مزودة بمخبرة وبشاشة، وتسمى بجذة آلية كذلك.

23) Longman Dictionary
و Webster Dictionary

24) Idem., Ibid.,

25) Terminology Manual, p.201

26) Idem, Ibid., p.201

27) ليلى المسعودي، عن بعض الأسس المنهجية في إعداد المعاجم المتخصصة، اللسان العربي، ع 41 (1996)، ص 92 - 96.

28) أحمد زكي بدوي، المصطلحات التجارية والتعاونية (بيروت: دار النهضة العربية، 1984)

29) Office de langue Française, (Direction des productions Linguistiques et Terminologiques), Document Synthèse sur la methode de recherche terminologique systématique de l'office de la Langue Française pour le Séminaire du Réseau Internationale de néologie et de terminologie, Québec, Mars (1989).

30) توصيات المنظمة الدولية للتقييس (ايزو ISO): دليل تحضير المعاجم المصنفة، التوصية رقم (919) كانون الثاني / ديسمبر 1969.

[6] مصادر البحث

أولا : مصادر عربية

1) أحمد زكي بدوي ، المصطلحات التجارية والتعاونية (بيروت: دار النهضة العربية، 1984).

2) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات (الدار التونسية للنشر، 1971)

3) علي القاسمي، المصطلحية (مقدمة إلى علم المصطلح) بغداد: دار الحرية، 1985)

4) ليلى المسعودي ، عن بعض الأسس المنهجية في إعداد المعاجم المتخصصة، اللسان العربي (مكتب تنسيق التعريب)، ع 41 (1996).

5) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط

6) مكتب تنسيق التعريب ، المعجم الموحد لمصطلحات

التجارة والمحاسبة (انجليزي - فرنسي - عربي)، سلسلة المعاجم الموحدة (رقم 10)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1995).

7) مكتب تنسيق التعريب، أعمال مؤتمر التعريب السابع لإقرار مشاريع المعاجم ونظم الكتابة العربية العلمية (الخرطوم : 1994/1/29 -1994/2/1) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

8) مكتب تنسيق التعريب اللسان العربي، ع 39، يونيو / حزيران (1995).

9) المنظمة الدولية للتقييس (توصيات ايزو)، ترجمة: المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس (الأمانة الفنية للجنة العربية، رقم (05) لعلم المصطلح (تونس:المعهد القومي التونسي للمواصفات والملكية الصناعية : ديسمبر / كانون الأول 1986).

ثانيا : مصادر أجنبية

10) CH. Galnski, ISO / TC 37
(Terminology principles and Coordination)
(مؤتمر التعاون العربي الدولي في علم المصطلح (أسمو، أنوربي، انفوتيرم) (7-10 يونيو/حزيران، 1986)

11) Guy Rondeau,
Introduction a la Terminololie, gaëtan morin, Quebec, Canada (1984).

12) H. Felber,
Terminology Manual, International Information Centre for Terminology (Infoterm), Paris, (1984).

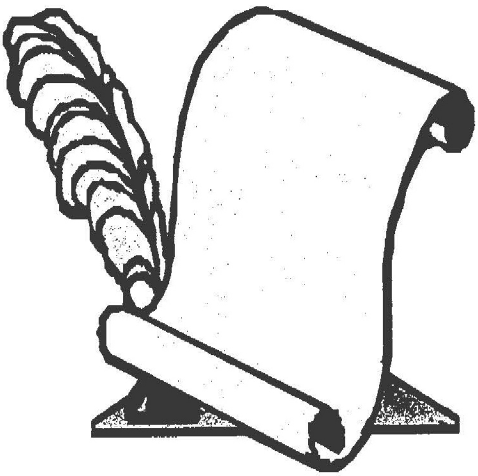
13) Juan Sager,
Apractical Course In Terminology processing, Amsterdem / Philadelphia (1990).

14) Longman Dictionary of contemporary English.

15) Office de Langue Française (Direction des productions Linguistiques et Terminologiques).
Document synthèse sur la methode de recherche terminologique systématique de l'office de la Langue Française pour le séminaire du réseau internationale de Néologie et de Terminologie, Québec, Mars (1989).

16) Rey. A,
Terminologie: Noms et Notions, Collections que suis-je Paris (1979).

17) Wesbster Encyclopedic Dictionary.



المحور الثاني

بنية المعجم الحديث

* إشكالية الدلالة في المعجمية العربية

د. علي القاسمي

*المادة المصطلحية الحديثة في المعجم المفصل في الأدب

(لمحمد التونجي)

د. محمد الخطابي

إشكالية الدلالة في المعجمية العربية

د. علي القاسمي(*)

1- خلاصة:

تتناول هذه الدراسة معالجة المعلومات الدلالية في المعاجم العربية التراثية، وتزعم أن تلك المعاجم أعدّت لخدمة المثقفين والدارسين من الناطقين بالعربية. ونتيجة لذلك، فإن المعجميين لم يكونوا مضطرين لتقديم معلومات دلالية كاملة في معاجمهم، ولا حتى إيراد جميع المعاني المختلفة لكلمة المدخل؛ لأن خصائص اللغة العربية الصرفية والدلالية تتيح لهم استخدام ثلاث أدوات معينة: 1)المعنى الأصلي للجذر، و2)المعنى العام للأسرة اللفظية، و3)معنى الوزن الصرفي للكلمة. وهذه المعاني يحسها أبناء اللغة العربية ويتجاوبون معها.

وإضافة إلى هذه الأدوات الدلالية المعينة الثلاث الكامنة في اللفظ العربي؛ فإن المعجميين العرب استعانوا بجميع الوسائل اللسانية والمعجمية لإبلاغ المعنى إلى القارئ. وأهم هذه الوسائل: التعريف، والتعريف المقتضب، والتعريب بالمرادف، والتعريف بالضد والنقيض، والتعريف بالمثال، والتعريف بالرسم والصورة. وكانت الاستعانة بكل وسيلة من هذه الوسائل مشروطة بمبادئ وقواعد. وعندما واجه المعجمي مشكلة الاختيار بين التعريف المصطلحي والتعريف المنطقي والتعريف اللغوي، اختار الأخير؛ لأنه أراد أن يعرف اللفظ بوصفه اسما لا شيئا ولا مفهوما. و لم يشأ أن يتعامل مع الكلمة في معزل عن سياقها أو بعيدا عن الكلام الذي ينتظمها؛ لأن السياق هو الذي يهب الكلمة معناها الدقيق، وبالكلام يتضح فحواها العميق. ولذلك أكثر المعجمي العربي من إيراد التعابير السياقية والاصطلاحية والاستعمالات المجازية الأخرى، وبالغ في الإتيان بشواهد عديدة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب شعرا ونثرا.

2. الخصائص الرئيسية للمعجمية العربية التقليدية:

يمكن مقارنة ظهور أول معجم عربي،وهو كتاب العين للخليل بن أحمد(ت176هـ/771م)، في البصرة- العراق- في القرن الهجري الثاني (الثامن الميلادي) بمثابة ميلاد طفل متكامل الخلقة عقليا وجسميا. ويشبه النمو الذي لحق بالمعجمية العربية بعد ذلك نمو الوليد المتواصل حتى يغدو شابا قويا، دون أن يكتسب أعضاء أو قدرات جديدة، وإنما تصبح أعضاؤه أكبر وقدراته الأصلية أفضل.

وبعبارة أخرى، فإن المعجم العربي الأول، الذي أرسى أسسس المعجمية العربية، كان يشتمل على

(*) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الرباط) (اسيسكو)

جميع أنواع المعلومات التي نجدها اليوم في المعاجم الحديثة. وقد ساعدت جهود اللغويين والمعجميين اللاحقة، بمرور الأيام، على تحسين تلك المعلومات، و لم تضف إلى المعجم أصنافا جديدة من المعلومات. ونعرض فيما يلي بعض الخصائص ذات الصلة بإشكالية الدلالة.

2.1. اختيار المداخل:

تنبغي الإشارة، بادئ ذي بدء، إلى أن رواد المعجمية العربية جمعوا مدونتهم اللغوية (مادهم المعجمية) من المنطوق والمكتوب معا. ولهذا فإن معاجمهم كانت وصفية بمعنى أن المداخل وصفت بأمانة اللغة العربية كما كانت مستعملة فعلا في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، وكلام العرب الأصلاء في البادية (الجوهري 1965:3). وقولنا إن معاجمهم كانت وصفية لا يمنع من القول إنها كانت معيارية، في الوقت نفسه، بمعنى أنها كانت تشير إلى الاستعمالات غير الفصيحة في اللغة. ولا تعدّ معيارية تلك المعاجم عيبا فيها، وإنما ضرورة أملتها الازدواجية اللغوية القائمة في اللغة العربية، حيث يوجد مستويان من مستويات الاستعمال: أحدهما فصيح والآخر دارج أو عامي(Ferguson 1959 :325-340).

2.2. ترتيب المداخل:

لقد أجرى رواد المعجمية العربية التجارب المتواصلة المنصبة على ترتيب مداخل معاجمهم، لا للوصول إلى أفضل ترتيب يلائم الطبيعة الصوتية والصرفية للغة العربية فحسب، وإنما للاستجابة إلى حاجات الأصناف المتباينة من مستعملي المعاجم كذلك. وفي دراسة سابقة أعدّها كاتب هذه السطور (القاسمي1982: 14-30)، تم حصر تسعة عشر نوعا من أنواع الترتيب، مثل الترتيب الصوتي الألفبائي مع تقليبات الجذر الذي استعمله الخليل، والترتيب الألفبائي العادي مع تقليبات الجذر الذي استخدمه ابن فارس، والترتيب الموضوعي (او الدلالي) الذي ابتكره ابن سيدة، والترتيب الألفبائي للكلمات (وليس للجذور) الذي اتبعه الجرجاني، الخ.

2.3. المعلومات الصوتية والإملائية:

لقد أرسى رواد المعجمية العربية تقليدا يقضي بتضمين معاجمهم معلومات صوتية وإملائية. فالخليل بن أحمد الفراهيدي وضع في معجمه (العين) الشكل الكامل (الحركات) على كلمات المداخل لمساعدة مستعملي المعجم على نطق تلك الكلمات بصورة صحيحة. وفي بعض الحالات، ولزيادة الإيضاح، كان المعجمي يضيف تهجية الحركات تهجئة كاملة بعد كلمة المدخل (مثلا: كسرة، فتحة، ضمة)، أو يردف كلمة المدخل بفعل نموذجي أو كلمة مشهورة (يقول مثلا: كما في ضرب). ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في (مختار الصحاح):

"د.خ.س- الدُّخَسُ (بوزن الصُّرَد): دابة في البحر ينجي الغريق.يمكّنه من ظهره ليستعين على السباحة، ويسمى الدلفين (بوزن المنجين).

ومعروف أن اختلاف الحركة قد يغير معنى الكلمة في اللغة العربية كليا كما هو الحال في تباين معاني الكلمات التي تسمى بالمثلثات، مثل: كَمٌّ، كُمٌّ، كِمٌّ؛ كَبَرَ، كَبُرَ، كَبِرَ.

2.4. المعلومات النحوية:

لقد استفاد المعجميون الأوائل من الدراسات النحوية التي كانت متوفرة في زمانهم. فقد عكف نحويو مدرستي البصرة والكوفة، ثم مدرسة بغداد، على صياغة نظريات لغوية، وإعداد دراسات نحوية قائمة على مبادئ مفهومية، وأسس منهجية لا تختلف كثيرا عن المفاهيم والمناهج الحديثة في علم اللغة (21-14، Hammad 1992). فقد دبّج رائد المعجمية العربية، الخليل بن أحمد، مقدمة لمعجمه (العين) عرض فيها أسس علمي الصوت والنحو في لغة الضاد. وقد جاءت بنية معجمه ومحتوياته وترتيب مداخله، متجاوبة مع الأسس المذكورة في المقدمة. وبعبارة أخرى، إن معجمه بمثابة "فهرس للنحو"، كما كان يحلو للغوي الأمريكي بلومفيلد أن يعرّف المعجم (247، Bloomfield 1933).

وتزود المعاجم العربية التراثية المستعمل بمجموعة من المعلومات النحوية المختلفة، مثل تصريف الفعل، واشتقاق اسم الفاعل والاسم منه، والجمع وجمع الجموع، إلى غير ذلك من المعلومات الصرفية. وفي بعض هذه المعاجم، مثل (مختار الصحاح) للرازي (المتوفى بعد سنة 1268م) يرد وزن الفعل بعد كلمة المدخل مباشرة، ويحال مستعمل المعجم إلى أوزان الأفعال الرئيسة العشرين المذكورة في مقدمة المعجم مع شروح وافية عن سلوكها الصوتي والصرفي. وتعد هذه الطريقة آخر ما توصلت إليه المعجمية الأوربية المعاصرة، وتجدها مثلا في أحدث المعاجم الأنجليزية مثل معجم لونغمن للغة الإنجليزية المعاصرة، الصادر عام 1987.

3. المعلومات الدلالية في المعاجم العربية التراثية:

3.1. صعوبة تقديم المعلومات الدلالية في المعجم.

من المتفق عليه لدى اللغويين أن الدلالة عرضة لتغير أوسع وأسرع من التغيير الذي يصيب بقية عناصر اللغة كالعناصر الصوتية والصرفية والنحوية. ويسبب تعريف الألفاظ صعوبات جمة للمعجميين، لما يطرأ عليها من ظواهر لسانية عديدة مثل التغير الدلالي، والتوسع الدلالي، والتخصص الدلالي، واكتساب المعاني الهامشية، والتضام، والاستعمالات المجازية، والترادف، والاشتراك اللفظي، وغيرها.

وتتفاقم هذه الصعوبات في لغة عريقة كاللغة العربية التي تبلغ من العمر أكثر من ألفي سنة، وتستعمل في فضاء جغرافي يمتد من العراق شرقا إلى المغرب غربا ومن جبال طوروس شمالا إلى أعماق افريقيا جنوبا، كما تستخدم بوصفها لغة دينية من قبل أكثر من مليار وربع المليار من البشر في جميع أنحاء العالم.

وفي غياب البحث الدلالي في الوطن العربي، وندرة دراسات شيوع المفردات والمعاني، نجد المعجميون أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، بل يدعو إلى الرثاء.

3.2. المعنى سر وجود المعجم العربي:

يتفق معظم الذين أرخو للمعجمية العربية على أن المعاجم ظهرت أول مرة بوصفها أداة لمساعدة الدارسين في فهم المفردات الصعبة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (حسين نصار 1956، 5:1). ولم يضع مصطلح "معجم" أحدُ علماء اللغة أو المعجميين وإنما استعمله أول مرة أحد الفقهاء، وهو

أبو يعلى بن المثنى (825-919م)، صاحب كتاب (معجم الصحابة).

ولقد كانت صلة الدراسات الفقهية بالأبحاث اللغوية شديدة كصلة الغاية بالوسيلة. ولهذا نجد أن غالبية المعجميين كانوا من المبرزين في الدراسات الفقهية، ولهم مصنفات تتعلق بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشريعة الإسلامية بوجه عام. وقصر بعض المعجميين معاجمهم على تفسير لغة القرآن الكريم، أو شرح مفردات الحديث النبوي الشريف. وكان علماء التفسير والمعجم يشتركون في الغاية، وهي شرح معاني المفردات والتعابير، وتيسير فهم النصوص للقارئ.

ولعل الوشائج الوثيقة بين الدراسات الدينية واللغوية تتمثل على أكمل وجه لها في المصطلح(فقه اللغة). وقد ولد هذا المصطلح المعجمي القدير ابن فارس (941-1004م) واستعمله في عنوان دراسته اللغوية القيمة (الصاحبي في فقه اللغة). وقد أسمى الدراسة بالصاحبي لأنه ألفها وأهداها إلى راعيه الوزير الأديب الصاحب بن عباد. وبعد أن ظهر مصطلح (فقه اللغة) على يد ابن فارس، استعمله الثعالبي (961-1038م) عنوانا لكتابه الشهير (فقه اللغة)، الذي هو في حقيقة الأمر مسرد لمفردات مصنفة تصنيفا دلاليا (Haywood ،1956،100). ولقد بقي مصطلح (فقه اللغة) قيد الاستعمال حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، حين أخذ اللغويون العرب يستخدمون مصطلحات بديلة مثل (علم اللغة)، و(اللسانيات)، و(الألسنية). والمصطلحان الأخيران ترجمة للمصطلحين الإنجليزي والفرنسي، مع العلم أن بعض كتب التراث استخدمت مصطلح (علم اللسان).

3.3. أي صنف من المعلومات الدلالية؟

وبعد أن يختار المعجمي مداخله من مدونته اللغوية ويرتبها حسب نظام الترتيب الذي يختار، ينكب على صياغة المعلومات الدلالية عنها. ولما كانت كل كلمة تقريبا قد اكتسبت- من جراء الاستعمال الطويل- عدة معان، فإن على المعجمي أن يقرر ما الذي يضمن من هذه المعاني وما الذي يغفل: المعنى الأصلي أم المعنى الجاري؟ المعنى المحسوس أم المعنى التجريدي؟ المعنى الحقيقي أم المعنى المجازي؟ المعنى الأساسي أم المعنى الهامشي؟ الخ.

وفي صناعة المعجم الحديث، يحدد المعجمي اختياراته في ضوء جملة عوامل في طليعتها: نوع المستعملين الذين يستهدفهم المعجم،والغرض من المعجم، ومجال المعجم، وحجمه (31-12،1977 ; Al-Kasimi).

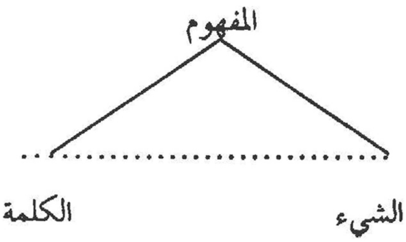
وبعد فحص دقيق شامل لعدد من المعاجم التراثية، يتبين لنا أن رواد المعجمية العربية اختاروا اتباع مقاربة شمولية، فقد رموا إلى تزويد القارئ بمعلومات دلالية عن اللفظ في مختلف استعمالاته ومتباين حالاته.

3.4. أي نوع من التعريف؟

يبدو أن هناك قناعة لدى المعجميين فحواها أن التعريف هو الأداة الرئيسة في تقديم المعلومات الدلالية، وفيما عدا ذلك فالخلاف في الرأي قائم حول نوع التعريف المفيد.

لعل مثلث أوغدن وريتشاردز الشهير خير منطلق للوقوف على أنواع التعريفات الرئيسة. إذ

يصور لنا هذا المثلث العلاقات القائمة بين الدال والمدلول والدليل، أو بعبارة أخرى، الكلمة والشيء والمفهوم.



فالكلمة التي يسمعها المتلقي تثير في ذهنه تصورا (أو مفهوما) للشيء الذي تعبر عنه تلك الكلمة. والعلاقات القائمة بين هذه العناصر الأساسية من عناصر عملية الاتصال هي علاقات هشة غير ثابتة ولا تخضع لقوانين فيزيائية مضبوطة. فالعلاقة بين الشيء والكلمة هي علاقة تواضعية (أو اصطلاحية)، أي تواضع القوم أو اصطلحوا على تسمية شئ معين باسم معين، قد تتواضع أقوام أخرى على تسميته بأسماء مختلفة. فلا توجد أية علاقة صوتية أو شكلية بين الشيء والكلمة التي تعبر عنه. أما العلاقة بين الكلمة والمفهوم، والشيء والمفهوم فهما علاقتان عارضتان كما يصفهما أوغدن وريتشاردز.

والذي يهمنا من هذا المثلث هو إمكان وجود ثلاثة عناصر أساسية: الكلمة، وهي عادة من اختصاص اللساني، والشيء الذي يقع في مجال علماء المنطق والفلسفة، والمفهوم الذي هو ميدان درس المصطلحي. وتبعا لذلك، توجد ثلاثة أنواع من التعريفات:

(أ) التعريف اللغوي: أو ما يسمى أحيانا بالتعريف العلاقي، ويرمي إلى إيضاح معنى الكلمة في سياقها اللغوي، أي اعتمادا على علاقاتها بالكلمات الأخرى في الجملة. فالمفردة المعزولة عن محيطها تستعصي على التعريف. فإذا طلب إليك أحدهم تعريف كلمة (عين)، طلبت منه أن يذكر لك الجملة التي ترد فيها هذه الكلمة لتعرف هل هي (العين الباصرة) أم (عين الماء) أم (عين الجيش) الخ. وأفضل تعريف للكلمة هو تلك المفردة أو العبارة التي إذا وضعتها مقام الكلمة المراد تعريفها استقام معنى الجملة.

(ب) التعريف المنطقي: أو ما يسمى أحيانا بالتعريف الجوهري. ويهدف إلى معرفة خصائص الشيء (أو الذات) الذي تدل عليه الكلمة. ويميز بعض المناطقة بين نوعين من التعريف: التعريف بالحد، والتعريف بالوصف. فالأول يحدد خصائص الشيء الجوهرية فقط، ويتم ذلك عادة بالنص على جنس ذلك الشيء وفصله، ليكون التعريف جامعا مانعا، ويتخذ تعريف أرسطو للإنسان بأنه " حيوان ناطق" مثالا على ذلك. أما التعريف بالوصف فيأتي على خصائص المعرف الجوهرية وغير الجوهرية، فنصف الإنسان بأنه حيوان، له يدان، ويمشي على رجلين، ويتكلم، ويسمع، الخ.

(ج) التعريف المصطلحي: وهو التعريف الذي يعتمده علم المصطلح الحديث، ويتوخى تعريف المفهوم وليس الكلمة أو الشيء .والمفهوم تصور (أو فكرة) يعبر عنه بمصطلح أو رمز، ويتكون هذا التصور من الخصائص المنطقية والوجودية المتعلقة بشيء أو بمجموعة من الأشياء ذات الخصائص المشتركة (القاسمي، 1985: 20-22). ولا يمكن تعريف المفهوم ما لم يتم تحديد موقعه في المنظومة المفهومية التي تشكل

الحقل العلمي أو التقني الذي ينتمي إليه ذلك المفهوم، أي معرفة علاقات المفهوم بغيره من مفاهيم ذلك الحقل العلمي(خالد الأشهب،1997: 1-34).

لقد اختلف المناطقة واللغويون العرب لزمن طويل حول ما الذي يجب تعريفه في المعجم، وكيف ينبغي أن يصاغ تعريفه. هل نريد أن نعرف الذات (الشيء) أو الكلمة التي تدل على ذلك الشيء؟ وبعبارة أخرى، هل نريد أن نعرف مم يتكون ذلك الشيء أو أننا نريد أن نعرف كيف نستعمل الكلمة التي تمثله في اللغة؟ إن الاختلاف حول الغرض من التعريف يقود إلى الاختلاف في طرائق التعريف ووسائله.

لقد تبنى معظم المناطقة العرب الأوائل وجهة نظر المنطق الأرسطي القائلة إن التعريف ينبغي أن يبين الخصائص الجوهرية (المميزة) للشيء المعرف وذلك بالنص على نوعه وفصله وبهذا يكون جامعا مانعا. ومن ناحية أخرى، فإن معظم علماء اللغة العرب مالوا إلى أن الغرض من التعريف هو تبيان الطريقة التي يستعمل فيها اللفظ، وليس تحديد خصائص الشيء الذي يعبر عنه ذلك اللفظ. وإضافة إلى ذلك فإن نوع التعريف الذي يوصي به المناطقة لا يمكن استخدامه في تعريف جميع الألفاظ، ومنها تلك التي لا تعبر عن ذوات (مثلا: الأدوات، والأسماء الموصولة، والأسماء المجردة)، وتلك الكلمات التي تعبر عن ذوات لا نوع لها ولا فصل. ووجهة النظر هذه يدعمها علماء المنطق الوضعي الحديث.

وعلاوة على ذلك، فإن علماء اللغة العرب الرواد أعربوا عن اعتقادهم في ضرورة اختيار نوع التعريف في ضوء صنف المستعملين المستهدف. فالقارئ العادي لا يمكنه أن يفهم تحليلا للعناصر الكيمياوية لـ(الماء) في المعجم. ولهذا ينبغي صياغة التعريف طبقا للمستويات الفكرية والقدرات اللغوية التي يتمتع بها المستعمل المحتمل للمعجم (الودغيري، 1987: 287-306).

وكان رواد المعجمية العربية مدركين تماما فوائد التعريف المنطقي؛ لأن الفلسفة والمنطق كانا من بين المواد الأساسية في إعدادهم العلمي. ومع ذلك فإن هذا النوع من التعريف لم يستهوهم كثيرا و لم يستخدموه بكثافة في معاجمهم.فلم يكن المعجم في نظرهم مجموعة من الذوات والأشياء، وإنما قائمة من الكلمات والأسماء. كانوا يعرفون ما يريدون. كانوا يريدون تزويد مستعمل المعجم بمعاني الألفاظ كما كانت مستعملة في النصوص الشائعة الاستعمال مثل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والحكم، والأمثال، الخ. كانوا يريدون تعريف الكلمات لا الذوات. ولكن الأمر ليس بالسهولة التي قد تتبادر إلى الذهن لأول وهلة. فعلى الرغم من أن مثلث أوغدن وريتشارد الشهير يجعل العلاقة بين الكلمة والشيء الذي تمثله تلك الكلمة علاقة غير مباشرة ومبتسرة، (Ogden and Richards, 1923:11)، فإن المعجميين لا يمكنهم تحاشي الحديث عن الأشياء وهم بصدد تعريف الكلمات، كما لا يمكنهم تجاهل المفاهيم التي تعبر عنها تلك الكلمات. ونتيجة لذلك ، فإن التعريفات المعجمية لايمكن إلا أن تكون خليطا من أنواع مختلفة من التعريفات التي يوصي بها الفلاسفة واللغويون والمصطلحيون.

إن اختيار نوع التعريف وصياغته يعتمدان على مهارة المعجمي وخبرته، أو كما يعبر عن ذلك معجمي أمريكي معاصر:

" لم تصبح الصناعة المعجمية علما بعد،وربما لن تصبح علما أبدا. فهي فن معقد دقيق، بالغ الصعوبة أحيانا،يتطلب تحليلا ذاتيا، وقرارات اعتباطية، واستنتاجات حدسية" . (Gove 1967 ; 7)

لم يتردد المعجميون العرب الأوائل في استخدام أية تقنية ملائمة توسموا فيها القدرة على إبلاغ المعنى إلى القارئ. ولهذا فقد استعملوا جميع أنواع الحد، والتعريف بالوصف، والتعريف المقتضب، والتعريف بالمرادف، والتعريف بالنقيض والمضاد، والتعريف بالأمثلة، والتعريف بالشواهد التوضيحية، والتعريف بالرسم، وما إلى ذلك.

وبعد فحص مجموعة كبيرة من مداخل المعاجم العربية التقليدية توفرت لنا القناعة أن جميع تلك الوسائل قد استخدمت لتزويد مستعمل المعجم بالمعلومات الدلالية المتعلقة بالمدخل. ولنضرب مثلا على ذلك في مدخل (ف ح ش)، في معجم (لسان العرب) لابن منظور المكون من عشرين مجلدا، إذ يتوفر هذا المدخل على (7) سبعة تعريفات، و(5) خمسة مرادفات، و(4) تعريفات مقتضبة و(2) تعريفين بالمثال و(1) مضاد واحد،و(8) ثمانية شواهد توضيحية. أما في معجم (تاج العروس) للزبيدي الذي يقع في خمسة عشر مجلدا، فإن المدخل ذاته يحتوي على (8) ثمانية تعريفات و(3) ثلاثة مرادفات، و(1) مضاد واحد، و(6) ستة شواهد توضيحية. أما في معجم (أساس البلاغة) للزمخشري المؤلف من مجلد واحد، فإن المدخل ذاته يشتمل على (1) تعريف واحد، و(1) مرادف واحد، و(2) شاهدين توضيحيين.

إن القاعدة الذهبية التي كان يتبعها الرواد المعجميون في تقديم المعلومات الدلالية هي عدم اتباع أية قاعدة محددة. ولكن ذلك لا يعني أنهم لم يتبنوا بعض الطرائق المعينة والوسائل المحددة في صياغة أنواع معينة من التعريفات مثل التعريفات المقتضبة التي وضعوا لها شروطا محددة لكثرة ما استعملوها في معاجمهم نظرا للطبيعة الاشتقاقية للغة العربية.

3.4.1. كيفية استعمال التعاريف المقتضبة:

يعرف للعجمي الأمريكي غوف التعريف المقتضب بأنه ذلك التعريف "الذي يصاغ بحيث يتضمن كلمة جذرية أو كلمة مجانسة ذات وظيفة نحوية مغايرة..." (Gove 1965, 9)وتسمي المعجمية الفرنسية جوزيت ري-ديبوف هذا النوع من التعاريف بـ (Rey-Debove 1971,223) «Definition morpho-semantique»

ومن الأمثلة المبسطة على هذا النوع من التعريف ما ورد في (المعجم العربي الأساسي):

" كاتب : من يكتب

فهذا التعريف من التعاريف المقتضبة لأنه يستخدم كلمة (يكتب) وهي مشتقة من الجذر الذي اشتقت منه الكلمة التي يراد تعريفها (كاتب).

ويضع المعجميون المعاصرون شروطا لتقييد استعمال التعاريف المقتضبة.وأهم هذه الشروط ما يلي:

أ- تجنب الدور والتسلسل، فلا يجوز مثلا تعريف الكاتب بـ"من مهنته الكتابة" وتعريف الكتابة بـ "مهنة الكاتب".

ب- عدم إحالة القارئ على تعريف آخر أكثر من مرة واحدة. لنفرض، مثلا، أن قارئا يبحث عن معنى كلمة (الكتابة) فيجد في المعجم "الكتابة مهنة الكاتب". هنا يضطر إلى معرفة معنى (الكاتب)، فيبحث عنها ليجد "الكاتب: من يكتب". وهنا يضطر القارئ إلى البحث عن معنى الفعل (يكتب). وبعبارة أخرى، فإن المعجمي أحال القارئ على مدخل آخر مرتين لفهم المعنى.

ج- ضرورة اشتمال التعريف المقتضب على تمييز دلالي يخصص المعنى المطلوب من الكلمة الجذرية أو الكلمة المجانسة المضمنة فيه. فمثلا:

"كتابي: من أهل الكتاب"

ولما كان للكتاب عدة معان، وجب تخصيص المعنى المطلوب، كأن يقال "من أهل الكتب السماوية".

وبعد قيام كاتب هذه السطور بفحص عدد كبير من التعريفات المقتضبة المستعملة في المعاجم العربية التراثية، تبين له أن أصحابها كانوا مدركين مثل هذه الشروط والمبادئ التي تحكم استعمال هذا النوع من التعريفات. ولقد تمت مقارنة عدد من التعريفات المقتضبة المستعملة في كل من معجم (لسان العرب)، أشهر المعاجم التراثية، و(المعجم الوسيط) المعاصر الذي وضعه مجمع اللغة العربية في القاهرة، فوجد أن المعجم الأخير لا يتقيد بمبادئ استخدام التعريفات المقتضبة كما يتقيد بها (لسان العرب). ومن الأمثلة على ذلك تعريف كلمة(مقعد) في كلا المعجمين.

ففي (المعجم الوسيط) نجد ما يأتي:

"المقعد : المصاب بداء القعاد

القعاد : يقال به قعاد : داء يقعده

أقعد بالمكان : أقام، ويقال أقعد فلان: أصابه داء في جسده يقعده "

هنا يحال القارئ على أكثر من مدخل واحد لبلوغ التعريف الأساسي وعندما يصل إليه يقع في الدور والتسلسل.

أما في معجم (لسان العرب)، فإننا نجد ما يأتي:

"قعد : القعود نقيض القيام... جلس

وبه قعاد: أي داء يقعده

أقعد الرجل : لم يقدر على النهوض

ورجل مقعد: إذا أزمنه داء في جسده حتى لا حراك به".

3.5. المعنى الأصلي للجذر:

لقد استند اللغويون والمعجميون العرب القدامى إلى نظرية دلالية مفادها أن كل جذر، ثنائيا كان أو ثلاثيا أو رباعيا، يحمل معنى أصليا عاما (وأحيانا أكثر من معنى أصلي عام واحد، وأقترح أن تسمى هذه الظاهرة بالاشتراك الجذري تمييزا لها عن ظاهرة الاشتراك اللفظي، إن لم تكن سميت بهذا الاسم من قبل). ويتجلى المعنى الأصلي للجذر في جميع الألفاظ المشتقة من ذلك الجذر. وإضافة إلى ذلك، فإن كل لفظ من تلك الألفاظ له معنى خاص به. وعلاوة على ذلك، فإن كل لفظ يصاغ على وزن معين من أوزان الصرف العربي، والوزن ذاته يحمل معنى خاصا به. وهكذا يتكون معنى اللفظ من حاصل الجمع الدلالي، لا الحسابي، للمعاني الثلاثة. وبعبارة أخرى:

معنى اللفظ= المعنى الأصلي للجذر+المعنى الصرفي+المعنى الخاص للفظ أو:

م ل=م أ+ م ص+ م خ.

ولنضرب مثلا على تجليات المعنى الأصلي للجذر في مشتقاته بالجذر (ع ب ر). فالمعنى الأصلي لهذا الجذر يفيد (الاجتياز أو الانتقال من مكان لآخر). ونجد هذا المعنى الأصلي في الألفاظ المشتقة من ذلك الجذر مثل:

عبور: الانتقال من ناحية إلى أخرى مثل عبور النهر أو الجسر، الخ.

عبرة : الدمعة التي تنتقل من العين إلى الخد (أما إذا ترقرقت الدمعة في العين و لم تجتازها فهي ليست بعبرة)

عبير: الرائحة التي تفوح فتنتقل من مصدرها إلى المتلقي.

تعبير: الفكرة التي تنتقل من ذهن المتكلم إلى لسانه وتخرج على شكل كلام.

عبرة: الخبرة أو الاعتبار الذي ينتقل من تجربة فرد إلى فرد آخر.

فالمعنى الأصلي للجذر (ع ب ر) وهو الانتقال أو الاجتياز يتجلى في الألفاظ المذكورة في أعلاه.

ولنضرب مثلا آخر من الجذر (ج ن ن). ومعناه الأصلي هو (الستر أو الخفاء) الذي يظهر في الألفاظ المشتقة من ذلك الجذر مثل:

جنين: كائن مستور أو مخفي في بطن أمه (أما إذا وضعته أمه فلا يسمى جنينا بل وليدا أو رضيعا أو طفلا أو ما إلى ذلك).

جنينة: حديقة مخفية أو مستورة خلف الدار أو في وسطه (أما إذا كانت في شوارع المدينة فلا تسمى جنينة بل حديقة).

جن : كائن مستور أو مخفي عن أنظارنا

جنون: مرض مستور أو يخفي عقل الرجل.

جنة: مكان زاهر رائع مستور أو مخفي في العالم الآخر.

يمكن أن نعد نظرية المعنى الأصلي للجذر نظرية متينة لها تطبيقات واسعة في المعجم العربي. وإلى جانب هذه النظرية، شاعت نظرية أخرى يمكن نعتها بالركيكة لقلة تطبيقها، وصعوبة تسويغها، تلك هي نظرية الاشتقاق الأكبر التي تزعم أن تقليبات الجذر الواحد المختلفة تشترك في معنى أساسي عام. فالجذر الذي ذكرناه آنفا (ع ب ر) له ستة تقليبات إذا أخذنا كل حرف من الحروف وأتبعناه بالحرفين الآخرين، مرة متبوعا بالحرف الثاني ومرة متبوعا بالحرف الثالث. وهذه التقليبات هي: ع ب ر، ع ر ب، ب ع ر، ب ر ع، ر ع ب.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من استعمل تقليبات الجذر في صناعة المعجم العربي. وكانت غايته حصر جميع الألفاظ المستعملة والمهملة في اللغة العربية، والتأكد من شمولية معجمه (العين)، إذ يقول في مقدمة معجمه: "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري من حروف : أ ب ت ث، مع ما تكملت به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج عنه شيء". (الخليل بن أحمد، مقدمة العين).

ويرى الأستاذ هيوود أن الخليل بن أحمد لم يروج لنظرية المعنى الأساسي المشترك لتقليبات الجذر الواحد، ولكن طريقة التقليبات التي اتبعها في ترتيب مادة معجمه (العين) ربما أعطت الانطباع للغويين والمعجميين في عصور تالية بأن تقليبات الجذر الواحد مرتبطة دلاليا كما هي مرتبطة صوتيا، أو حتى الاعتقاد

"بوجود بعض السحر في تشكيلات الحروف" (Haywood ; 1965 ,39).

وفي حقيقة الأمر، فإن صاحب هذه النظرية هو اللغوي الكبير أبو الفتح ابن جني (المتوفى عام 1002م)، الذي عزاها لنفسه وأطلق عليها اسم الاشتقاق الكبير في مقابل الاشتقاق الصغير الذي يقتصر على اشتقاق الألفاظ من جذر واحد من دون تقليباته. وكان المثل الذي ضربه ابن جني على نظرية الاشتقاق الكبير معنى الجذر (ق و ل) في تقليباته الستة: ق ول، ق ل و، و ق ل، و ل ق، ل ق و، ل و ق (ابن جني، 1956، 5−11).

وإذا كانت نظرية المعنى الأساسي المشترك لتقليبات الجذر الواحد (أو نظرية الاشتقاق الكبير، كما يسميها ابن جني) لم تلق صدى كبيرا في مصنفات المعجميين العرب، فإن نظرية المعنى الأصلي للجذر حققت نجاحا باهرا، ووجدت لها تطبيقات عملية في عدد من المعاجم في طليعتها المعجم القيم الموسوم بـ (المقاييس) الذي صنفه ابن فارس. فكل مدخل في هذا المعجم يبدأ بالمعنى الأصلي للجذر، قبل أن تسرد الكلمات المشتقة منه ومعانيها. ولنضرب مثلا على ذلك بالمدخلين (ب س ط) و(ب ر أ) في معجم (المقاييس):

"(ب س ط): الباء والسين والطاء أصل واحد، وهو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض. فالبساط ما يبسط. والبساط الأرض وهي البسيطة. يقال مكان بسيط وبساط. قال:

ودون يد الحجاج من أن تنالني
بساط لأيدي الناعجات عريض

ويد فلان بسط إذا كان منافقا، والبسطة في كل شيء السعة. وهو بسيط الجسم والباع والعلم. قال الله تعالى: (وزاده بسطة في العلم والجسم)

أما مدخل (ب ر أ) فنجد فيه:

"(ب ر أ): الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما، الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءا. والبارئ الله جل ثناؤه...

والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البرء، وهو السلامة من السقم، يقال برئت وبرأت... من المرض. ومن ذلك برأت إليك من حقك... أنا بريء منك..."

وتجدر الملاحظة إن إعطاء المعنى الأصلي للجذر قبل التطرق إلى معاني مشتقاته وسيلة معينة على التذكر، في زمن كانت فيه المعاجم تحفظ عن ظهر قلب من قبل الدارسين والمتخصصين، و لم تقتن لتوضع على الرف للرجوع إليها عند الحاجة فقط.

3.6. الأسرة اللفظية والأوزان الصرفية:

إن خاصية الاشتقاق، التي تمتاز بها العربية، تزود المعجمي بأداة فعالة في تيسير إمداد القارئ بالمعلومات الدلالية. فكل مفردة في الأسرة اللفظية تصاغ وفق وزن صرفي له معنى معلوم شعوريا أو لاشعوريا لدى الناطقين باللغة العربية. وفيما يلي أمثلة على معاني بعض الأوزان الصرفية:

الوزن	المعنى	المثال
فعل	فعل تام (أوحدث بالماضي)	كتب
فاعل	الذي قام بالفعل(مفرد، مذكر)	كاتب
مفعول	الذي وقع عليه الفعل(مفرد، مذكر)	مكتوب
مفعل	المكان الذي يقع فيه الفعل(مفرد،مذكر)	مكتب

ولهذا، إذا عرف المعجمي الفعل الماضي تعريفا كاملا، فإنه لم يعد بحاجة إلى تعريف بقية مفردات الأسرة اللفظية، وإنما يستطيع أن يدرج تلك المفردات في المدخل دون تعريف، بل بإمكانه أن يغفلها تماما. وعندما يدرج المعجمي تلك المفردات دون تعريف، فإنه لا يجد نفسه مضطرا لذكر وزنها الصرفي، فالناطقين بالعربية يحسونه ويعرفون معناه بالسليقة وإن لم يستطيعوا تسميته وشرح القاعدة التي تحكمه.

إن مفردات الأسرة اللفظية تشترك في معنى عام واحد يخصص في كل مفردة طبقا لمعنى وزنها الصرفي.

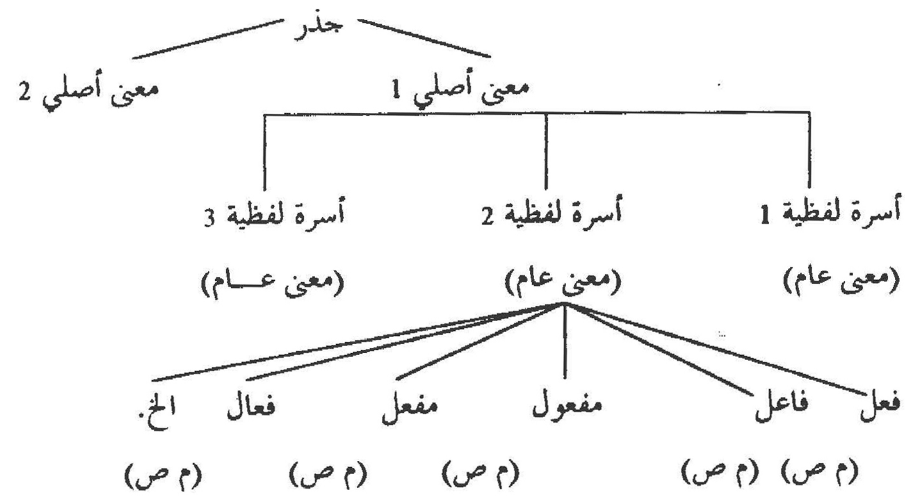
وتجدر الإشارة إلى أن المعنى العام للأسرة اللفظية ليس مطابقا تماما للمعنى الأصلي للجذر، الذي سبق الحديث عنه. فالمعنى الأخير يمكن أن تقتسمه أكثر من أسرة لفظية واحدة، كما أن الجذر يمكن أن يكون له أكثر من معنى أصلي واحد. إن المعنى العام للأسرة اللفظية يظهر في مفرداتها بصورة أقوى وأوضح من تجلي المعنى الأصلي للجذر في الأسر اللفظية المشتقة منه. ولنضرب مثلا للفرق بين المعنى الأصلي للجذر، والمعنى العام للأسرة اللفظية، والمعنى الوزني (أو الصرفي) للمفردة أو اللفظ، بكلمة (اعتبر):

المعنى الأصلي للجذر:الاحتياز أو الانتقال من شخص إلى آخر.

المعنى العام للأسرة اللفظية: الاتعاظ

المعنى الصرفي للفظ : فعل ماض لشخص ثالث مفرد مذكر.

ويكون معنى الكلمة (اعتبر) حاصل الجمع الدلالي للمعاني الثلاثة المدرجة أعلاه، كما ذكرنا. ويمكن تمثيل العلاقات الدلالية المتشابكة بالمخطط التالي:



لقد كان المعجميون الرواد يدركون تماما الخاصية الاشتقاقية للغة العربية وفائدة المعنى الأصلي للجذر، والمعنى الأساسي العام للأسرة اللفظية، والمعنى الصرفي للفظ بوصفها أدوات هامة في تزويد مستعمل المعجم بالمعلومات الدلالية الناجعة. ولهذا فقد استغلوا هذه الأدوات استغلالا مكثفا في معجماتهم. وهذا ما يفسر لنا السبب في عدم ذكرهم جميع مفردات الأسرة اللفظية في مداخل تلك المعاجم.

3.7. اختيار كلمات المداخل:

على الرغم من أن ثقافة المعجميين العرب الرواد تضم معرفة نظرية معمقة في فقه اللغة والمنطق، فإنهم فضلوا مقاربات عملية لتصنيف معاجمهم. ولكي يستفيدوا من الأدوات الدلالية المعينة التي ذكرنا آنفا، وخاصة المعنى العام للأسرة اللفظية، كان عليهم أن يبدأوا مداخلهم في المعجم بالمفردة الأكثر شيوعا وشهرة من بين مفردات الأسرة اللفظية الواحدة. فإذا كان القارئ يعرف معناها سهل عليه معرفة معاني بقية مفردات تلك الأسرة اللفظية، لأنها تشترك جميعا في معنى أساسي عام واحد. ولهذا نجد أن أحد مداخل المعجم يبدأ بالفعل، في حين يبدأ المدخل الذي يليه باسم الفاعل، ويبدأ مدخل ثالث بإسم المفعول، ومدخل رابع بالنعت، وهكذا بحيث لا يوجد تساوق أو نظام محدد في اختيار كلمة المدخل، أو في ترتيب مفردات الأسرة اللفظية الواحدة. ومن الأمثلة على ذلك ما نقتطفه من بعض مداخل معجم (تاج العروس) للزبيدي:

س و أ

"(ساءه) يسوءه سوءا وسوءا... فعل به ما يكره، نقيض سره...

(السوء): كل آفة ومرض، أي اسم جامع للآفات والأمراض..

ش ط أ

"(الشطء): فراخ النخل والزرع، أو هو ورقه(أي الزرع)...وفي التنـزيل (كزرع أخرج شطأه)

(أشطأ) الشجر بغصونه: أخرجها...

(أشطأ)الرجل: بلغ ولده مبلغ الرجال فصار مثله...

ر ق ب

"(الرقيب) هو الله، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل...

(رقبه) يرقبه... رقابة: رصده وانتظره..."

وقد أخذ بعض الباحثين المعاصرين على المعاجم العربية التراثية عدم التزامها بترتيب محدد في عرض مفردات الأسرة اللفظية في المدخل الواحد، وعدوا ذلك عيبا من عيوب المعجمية العربية. غير أنه من الممكن النظر إلى ذلك بوصفه طريقة ذكية لمساعدة القارئ في فهم معاني مفردات المدخل، طبقا لمبدأ الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وهو من المبادئ التي تأخذ بها الطرائق التعليمية الحديثة.

3.8. ترتيب معاني اللفظ المختلفة في المدخل:

إن مصطلح الترتيب في صناعة المعجم يشير إلى أنواع ثلاثة من الترتيب:

أ- ترتيب المداخل في المعجم،

ب- ترتيب مفردات الأسرة اللفظية في المدخل الواحد،

ج- ترتيب المعاني المختلفة لكل مفردة من مفردات الأسرة اللفظية الواحدة، عندما تكون تلك المفردة مشتركا لفظيا، مثل مفردة (عين) التي لها أحد عشر معنى. إن هذه الأنواع الثلاثة من الترتيب تسهم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تيسير إمداد القارئ بالمعلومات النحوية والدلالية. والنوع الأخير أكثر أنواع الترتيب علاقة بالمعلومات الدلالية في المعجم.

وبصورة عامة وطبقا لصنف المعجم، فإن ترتيب معاني اللفظ في المعجمية المعاصرة يتخذ إحدى الصور التالية:

أ- الترتيب التاريخي، حيث ترتب المعاني المختلفة طبقا لزمن ظهورها واستعمالها في اللغة.

ب- الترتيب طبقا للشيوع، حيث ترتب معاني اللفظ المختلفة حسب شيوعها وانتشارها في الاستعمال، فيبدأ المدخل بالمعنى الأكثر شيوعا.

ج- التريب المنطقي، حيث ترتب للمعاني المختلفة من العام إلى الخاص ومن المحسوس إلى المجرد، ومن الحقيقي إلى المجازي، وهكذا دواليك

(AL- Kasimi;. 1992: 9)

وعلى عكس ما يظنه بعض الباحثين، فإن رواد المعجمية العربية كانوا على علم تام بهذه الأنواع المختلفة من الترتيب. ولكن النوعين الأولين يتطلبان بحثا تاريخيا أو إحصائيا لم تكن أدواته متوفرة آنذاك. ولهذا فإن معظم المعاجم العربية التراثية تبنت الترتيب المنطقي لمعاني المدخل المختلفة،فالزمخشري(1075-1144م)، مثلا، أشار في مقدمة معجمه المشهور (أساس البلاغة) إلى أن من خصائصه "تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح" و".. سوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قددا". ولهذا نجد بعد المعنى الحقيقي للمدخل عبارة (ومن المجاز) وتليها الاستعمالات المجازية للفظ مدرجة ومعرفة. ففي مدخل (م ل ك) في هذا المعجم.

"ملك الشيء وامتلكه وتملكه، وهو مالكه.

<u>ومن المجاز</u>

ملك المرأة: تزوجها

ملك نفسه عند الغضب: ..."

3.9. الوسائل المعينة للمعلومات الدلالية:

تستعمل المعاجم الحديثة نوعين من الشواهد زيادة في توضيح المعنى، وهما: الشواهد اللفظية والشواهد الصورية.

3.9.1. الشواهد اللفظية:

لقد أرسى أبو المعجمية العربية، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تقليد استخدام الشواهد التوضيحية بكثافة وبصورة منتظمة في معجمه (العين). ولكن ينبغي ملاحظة أن استخدام الشواهد اللفظية كان لغرض يختلف قليلا عن الغرض الذي من أجله نستخدمها اليوم.

كان هدف رواد المعجمية العربية تضمين جميع مفردات اللغة في معاجمهم، ولهذا فقد جمعوا كما هائلا من المفردات الحوشية والمعاني النادرة لمفردات شائعة. ولكي يدللوا على وجود تلك المفردات والمعاني في اللغة فعلا، استشهدوا باقتباسات أخذوها من نصوص حقيقية مدونة أو منطوقة. ولهذا فقد

كانت شواهدهم أصيلة حقيقية، و لم يستخدموا الأمثلة التوضيحية التي يلجأ بعض المعجميين المعاصرين إلى وضعها بأنفسهم توضيحا للمعنى أو الاستعمال المطلوب.

لقد اتبعت جميع المعاجم العربية التراثية التقليد الذي أرسى أصوله الخليل والمتعلق بإيراد الشواهد الدالة على وجود اللفظ أو معنى من معانيه في لغة العرب.ولهذا الغرض انكب المعجميون الرواد على جمع كثير من الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأشعار العرب، والأمثال والحكم وغيرها. وبصورة غير مباشرة كانت تلك الشواهد تزيد المعنى المطلوب جلاء ووضوحا.و لم يجاف هذا التقليد إلا الفيروز أبادي (1326-1414) في معجمه (القاموس المحيط)، وليس في معجمه الأول (العباب) الذي يقع في ستين مجلداً. ويشير الفيروز أبادي في مقدمة (القاموس المحيط) إلى سبب تخليه عن الشواهد قائلا:

"وسئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام (أي نظام العباب)، وعمل مفرغ في قالب الإيجاز والإحكام... فألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد..." (الفيروز أبادي 1980: 33). لقد تعرض صاحب القاموس لنقد شديد من قبل كثير من اللغويين والمعجميين، من أشهرهم في المغرب ابن الطيب الشرقي في كتابه (إضاءة الراموس)، وفي المشرق أحمد فارس الشدياق في مصنفه (الجاسوس على القاموس).

3.9.2. الشواهد الصورية:

على الرغم من أن مبدأ استخدام الشواهد الصورية (أي الصور والرسوم والتخطيطات)مقبول لدى رواد المعجمية العربية فإنهم لم يطبقوه بكثرة ولا بصورة منتظمة. ونحن نجد في معجم الفيروز أبادي الآنف الذكر عدة مداخل تتضمن عبارة (وصورته هكذا).

3.10. النقد الموجه للمعلومات الدلالية في المعاجم العربية التراثية:

لقد انتقد كثير من الباحثين، من العرب والمستعربين، قديما وحديثا، معالجة المعلومات الدلالية في المعاجم العربية التراثية. ويمكن تلخيص انتقاداتهم بما يأتي:

أ- لا يضم المعجم جميع الألفاظ ومعانيها. وكان هذا الأمر من دوافع المعجميين الآخرين إلى تأليف معاجم جديدة تحاول الكمال المستحيل.

ب- لا يتبع ترتيب معاني المداخل نظاما واحداً مطرداً.

ج- عندما يُعرَّف اللفظ بمرادف، يكون المرادف أحيانا أصعب من اللفظ المراد تعريفه.

المــراجــع

-ابن جني (1965):الخصائص.دار الكتب المصرية، القاهرة.

– أحمد عبد السميع (1969):المعاجم العربيـــة. دار الفكـــر العربي، القاهرة.

– أحمد فارس الشدياق (1880): الجاسوس على القـــاموس. الجوائب، القسطنطينية.

– أميل يعقوب (1981) : المعاجم اللغوية العربية. دار العلـــم للملايين، بيروت.

– الجوهري(1965):الصحاح.دار الكاتب العربي، القاهرة.

– حسين نصار(1965):المعجم العربي.دار الكتاب، القاهرة.

– خالد الأشهب (1997):"المصطلـــح: البنيـــة والتمثيـــل" في أبحاث لسانية ، 2-1:1-34.

– الزمخشري(1979): أساس البلاغة. دار المعارف، بيروت.

– عبد العالي الودغيري (1989): قضايـــا المعجـــم العـــربي. عكاظ، الرباط.

– علي القاسمي (1982): "ترتيب مداخل المعجم العـــربي " في اللسان العربي، 19 :14–30.

-Al-Kasimi,Ali M. (1977): Linguistics and Bilingual Dictionaries. E.j. Brill, Leiden.

-Al- Kasimi, Ali M. (1992): « The Arabic Lexicography » in AL-Lissan AL- Arabi, Vol. 36, 3-13.

-Felber, Helmut (1984): Terminology Manual, UNESCO, Paris.

-Ferguson, Charles (1959): « Diglossia », in Word, Vol. 15, 325-340.

-Gove, Philip B. ed, (1967): The Role of Dictionary. Bobbs- Merrill Co. Indianapolis.

-Hammad'Abdullah (1992): « Some Remarks on the Conceptional . Foundation of the Arabic linguistic Tradition «; in AL-Lissan AL -Arabi, Vol. 36, 14-21.

-Hay wood, John (1965): Arabic Lexicography. E.j. Brill, Leiden.

-Odgen, C.K. and Richards, I.A. (1923): The Meaning of Meaning. Harcourt, Brace & World, Inc. New York.

-Rey-Debove, Josette (1971): Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français. Monton, Paris.

-Quin, Willards V.O.(1960)/ Word and Object. The M.I.T. Press, Cambrige, mass.

المادة المصطلحية الحديثة في "المعجم المفصل في الأدب"(*) لمحمد التونجي

د.محمد خطابي (**)

توطئة

إن القارئ المتتبع لمختلف الإصدارات الجديدة في مجال النقد الأدبي يدرك تعدد المقاربات النقدية وتنوعها من حيث مصادرها وآفاقها وغاياتها ومقاصدها. وبتعدد المقاربات تعددت المصطلحات واختلفت. فمسألة المصطلح إذن، بأبعادها الإيجابية والسلبية، كما تتجلى في الأعمال المؤلفة أو المترجمة أو المازجة بينهما، تتصل اتصالا وثيقا بمسألة المنهج النقدي. وما المصطلحات، في أحد مظاهرها، إلا أعلام على هذا المنهج أو ذاك. وإذا كان هذا التنوع وذلك التعدد آية من آيات حيوية النشاط النقدي في رأي بعض النقاد، فهو في رأي آخرين دليل على الفوضى والارتباك والتهافت.

وإلى هذا الرأي الأخير ينتسب ما أثاره الناقد المغربي نجيب العوفي في مقدمة كتابه (ظواهر نصية)[1]، يقول: "منذ السبعينات (...) شهد الخطاب النقدي تراكما كميا وتحولا كيفيا على مستوى المناهج ونماذج التحليل. وأضحى هذا الخطاب حقلا أو ورشة لاختبار مناهج متنوعة ومختلفة: المنهج الانطباعي، المنهج اللساني، المنهج التيماتيكي، المنهج السيميائي، والبقية آتية... غابة من المناهج جعلتنا نعيش بالفعل ما يشبه "الأولمبياد" أو "السيرك" النقدي، وللعبارة دلالة وصفية، لا قدحية"(ص8). على أن العيب، في رأي العوفي لا يكمن في التعدد من حيث هو، وإنما في سرعة الانتقال من منهج إلى منهج دون الإلمام الوافي بخلفياته ومقتضياته... ودون البرهنة على استنفاد كل إمكاناته، أو الاستجابة، سواء عند التخلي أم التبني، للشرطين التاريخي والاجتماعي - المعرفي. ومهما تخلل هذا الرأي من صواب - وهو بالمناسبة رأي يشترك فيه والعوفي طائفة من النقاد[2] -فهو في نظرنا معتل لأنه يقدم الأصل على الفرع.

أما الأصل فهو في نظرنا موقع النقد الأدبي،

(*) صادر عن: دار الكتب العلمية ببيروت، 1993.

(**) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (أكادير - المغرب)

باعتباره نشاطا فكريا، بين العلوم الإنسانية. وبإمكاننا أن نصوغ المسألة في أسئلة من قبيل: هل النقد الأدبي نشاط فكري مستقل أم تراه تابع؟ هل ينتج تصوراته الخاصة أم يستعيرها؟ هل ينتج طرق مقاربة موضوعه أم يقترضها؟ هل يترجم تعدد المقاربات النقدية حاجة موضوعية يقتضيها الأدب نفسه أم حاجة تحجب الاجتماعي والسياسي والثقافي والإيديولوجي... وتؤدي فيها ذات الناقد دور الوسيط؟

ولما كانت الأمة العربية ذاتا تحيا في التاريخ، لا خارجه فليس أمامها سبيلان! إما أن تنخرط في المواكبة والاستيعاب والتمثل وصولا إلى الإنتاج المبدع، وإما أن تنكمش فتحتضر ثم تفنى. يضاف إلى هذا أن الإيهام بانسحاب الهجاء على النقد الحديث كله ضرب من المزايدة العقيمة. وما على القارئ سوى تأمل مدخل كتاب العوفي الآنف ليتأكد أن المقصود نوع محدد من الممارسة النقدية التي تقض مضجع بعض النقاد، على الرغم من أنهم يتبدلون – لو جاز التعبير– بها تحليلاتهم حتى يقتنعوا ويقنعوا قارئهم باحتلالهم منازل الصدارة في التحديث النقدي – المنهجي!!

إن النقد الأدبي نشاط تابع يعيش بالاقتراض، وهو يحاول جاهدا أن يستقل بمملكة الأدب الشاسعة دون جدوى. وحين اقتنع بهذا الواقع لم يبق أمامه إلا التمسح بأركان علم من العلوم التي حققت مكاسب مهمة في ميدان نشاطها والتشبث بأهدابه طمعا في نيل حظه من "العلمية" وصفاتها!

نخلص مما تقدم إلى أن المشكلة في عمقها ذات بعد إبستمولوجي. وتزداد هذه تعقيدا بانتقال المنهج من مناخ فكري واجتماعي إلى مناخ آخر، على الرغم من أن الأدب "هو هو" أو يكاد. فإذا أضفنا إلى هذا كله الإيمان شبه الصوفي "بخصوصية الأدب العربي" وتميزه المطلق عن آداب الأمم الأخرى ازدادت درجة تعقد المسألة...

على أن تبعية المناهج النقدية للعلوم الإنسانية ليست كلها سلبية، وإنما فيها بعض الإيجابيات نذكر منها:

- الإدراك العميق لمختلف أبعاد الظاهرة الأدبية، ومن ثم تجنب الأحكام القطعية، أي تنسيب –إن جاز التعبير– المنهج والتصور الأدبيين.
- تطعيم النقد الأدبي بتصورات جديدة ومصطلحات غنية، وهذا ما يمكنه من بلورة أطروحات جديدة تمنحه فرصة التقدم والاستفادة من مكتسبات العلوم الإنسانية (وأداء ضريبة إخفاقاتها أيضا).
- الاحتياط من النظرة التبسيطية للأدب، ومن ثم إغناء وعي القارئ وإخصابه...

تقترن مسألة المنهج بالمصطلح حتى لكأنهما توأمان لا يجوز الفصل بينهما. ذلك أن المنهج يتكون –من الناحية التقنية– من مجموعة من المفاهيم والتصورات التي تترجمها المصطلحات. ولإدراك جدية هذا الأمر يكفي تصفح المؤلفات المترجمة إلى اللغة العربية، سيما تلك المذيلة بمسارد مصطلحية مزدوجة اللغة. هذا إضافة إلى الأبحاث والدراسات الحديثة في مجال النقد الأدبي، حيث يستعمل الناقد مجموعة من المصطلحات المرتبطة بنظرية (نظريات) الأدب الحديثة.

فإذا لم يكن القارئ متمكنا من لغة أجنبية واحدة أو اثنتين حتى يطلع على المفهوم دون وسيط، ركبه النفور من النقد الحديث وربما من الأدب عامة! وإذا اتسع صدره ولى وجهه صوب معجم من معاجم المصطلحات الأدبية العربية الحديثة حتى ترتفع الحجب بينه وما يقرأ. وهكذا أصبح على القارئ اللجوء إلى النقد الحديث "ليفهم" الأدب الحديث، ثم إلى معاجم المصطلحات الأدبية ليفهم النقد الحديث. وفي هذا من العناء ما فيه! أما إن لم يجد في المعاجم المختصة ما يشفي غليله فلك أن تخمن رد فعله!

1. المعاجم الأدبية العربية المختصة

المعجم، كما قيل، كتاب الكتب، أي ذلك الكتاب الذي يضم الكتب كلها وهي في حالة الكمون. وهو الذي يقدم شروحا لهم الأدوات - الوحدات المعجمية التي تستخدم في تأليف الكتب. هذا عن المعجم العام أما المعجم المختص فيقدم معرفة مختصة توضح المفاهيم، وترفع الإبهام والغموض واللبس عن المصطلحات، أي عن مفاتيح حقل محدد من حقول المعرفة البشرية. وهو في حالتنا هذه النقد الأدبي.

يمكن، بصفة عامة، أن نقسم المعاجم العربية الحديثة المعتنية بالمصطلح إلى نوعين:

- نوع خاص بمصطلحات الأدب. وإلى هذا النوع تنتمي معاجم كل من : مجدي وهبه (1974) وجبور عبد النور (1979) وسعيد علوش (1984) وإبراهيم فتحي (1986) ومحمد التونجي (1993).

- نوع يجمع بين المصطلحات الأدبية واللغوية. وفي هذا النوع نذكر: ميشيل عاصي وإميل بديع يعقوب (1987) وبسام بركه، ومي شيخاني، وإميل يعقوب (1987).

على أننا سنهتم بالنوع الأول وحده، وعلى نحو خاص "المعجم المفصل في الأدب"(3) لمحمد التونجي. وذلك لسببين نلخصهما في أن المعجم يمثل آخر ما صدر في هذا الباب، حسب علمنا؛ ثاني السببين أن المقدمة التي صدر بها المصنف معجمه تحدد الباعث والغاية، ونوع القارئ المستعمل الموجه إليه المعجم...الخ. وهي كلها عناصر تقنع القارئ بحجية المعجم ودقته وموسوعيته و...الخ.

يتمثل باعث وضع هذا المعجم أساسا في الاستجابة لحاجات المثقف المعاصر المطلع على الثقافة الغربية أو المتطلع إليها، ولا يجد من هذا شيئا في المعاجم المتوافرة حتى الآن -ما قبل هذا المعجم-. وهذا ما عبر عنه المصنف كالآتي: "لم يجدوا بغيتهم في المعاجم اللغوية، ولا في معاجم المعاني" (ص5). فإذا اتجهوا نحو المعاجم الحديثة التأليف وجدوا أن غالبيتها "جاءت جامعة لأكثر الفنون، دائرة في عدد من الدوائر. ورغم أن بعضها تبنى التخصص إلا أن القلم كان يجود بمواد بعيدة كل البعد عن دائرة التخصص". إلى جانب قلتها وقلة المادة الراوية للمثقف المعاصر". (نفسه) هذا المأخذ الأخير هو الذي حرك همة التونجي لتأليف معجمه هذا "المصطلحي التخصصي" كي" يخدم "العلم المعاصر" على حد قوله. (التشديد من عندنا).

تنحصر ميزات هذا المعجم -كما يرى مؤلفه

في ما يأتي:

- يجمع متفرقات يصعب الوصول إليها
- يغذي اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة مما لم يتخذ مكانه في حلبة اللغة.
- يحيى المصطلح القديم (...) الذي يؤدي غرضا كبيرا في عصرنا.
- إيجاد المصطلح اليوم خدمة لقضية التعريب.
- وسيلة ثقافية جامعة.
- يستطيع الباحث أن يستشف منه الآفاق المعرفية التي يحسن أن يلم بها.(ص6).

تتمتع كل من هذه الميزات بأهمية خاصة، ولكن الأهم في مقامنا نحن اثنتان: المصطلح الحديث، وخدمة التعريب. وهما غايتان ساميتان ما دامت الأولى تغني اللغة العربية بمصطلحات جديدة وتعزز رصيدها اللغوي والثانية تخدم التعريب من خلال المصطلح المتخصص، سيما وأن هذا الميدان أسال ويسيل وسيسيل مدادا كثيرا. وإذا ضممنا هاتين الميزتين إحداهما إلى الأخرى افترضنا (حتما) أن المعجم سيتفرغ أو يكاد لهذه المهمة الجليلة، وهي مهمة تتطلبها الحيوية التي تسم المجال النقدي في لغة الضاد وبها. فالمعجم من ثم انشغال مركزي بالمصطلح الحديث الذي يمثل تحديا كبيرا و"كابوسا" يقض مضاجع المشتغلين بالنقد وقرائه سواء بسواء. لكن هل يرجع متن المعجم صدى هذا المعلن في المقدمة؟ ذلك ما سنراه في الفقرات اللاحقة من هذه الورقة.

الميزة الثالثة التي لا تقل أهمية تمثلها الطبيعة الموسوعية للمعجم. وهكذا يجد فيه القارئ مصطلحات:

- في الشعر والنثر والعصور الأدبية والعروض والبلاغة
- في المدارس الأدبية والنزعات والتيارات والأسواق الأدبية
- ما له صلة بالأدب العربي من الفارسي والتركي
- في ألقاب الشعراء؛ والجمعيات الأدبية والنوادي والمجامع العلمية والأعلام الأدبية
- الفنون الأدبية. (المقدمة)

تتجلى حصيلة هذا كله في قول المؤلف: "وعانينا حتى استقصينا ما جمعنا من مصطلحات من التراث القديم، ومن الأدب الحديث، ومن النزعات الغربية والشرقية، ما يقرب من أربعة آلاف مصطلح". وسمى التونجي هذا الذي جعله مدار معجمه ''كل ما يخدم الأديب''. وبناء عليه ينضاف إلى ما سبق عنصران يقويان الثقة بين القارئ والمصنف، يشجعان الأول على اقتناء المعجم لأنه يغنيه عن غيره! العنصر الأول شساعة الميدان الذي تغطيه المصطلحات؛ ففيه الشرق والغرب والقديم والحديث والفنون والتيارات...الخ. والعنصر الثاني رقم يعضد ما ذهب إليه المصنف (4000) مصطلح. ذلك أن ما يتطلبه استقصاء هذا العدد من المصطلحات وتتبعها في الكتب فترتيبها ثم تعريفها الخ، من جهد وصبر وأناة وتضحية لا يتأتى إلا لمن نذر حياته للعلم عامة واللغة العربية خاصة!

تنضاف إلى ما سبق حجة أخرى تعزز رصيد الثقة بينه والقارئ. تلك هي الخبرة والتجربة، إذ سبق للمصنف أن ألف معاجم في "مجالات أدبية وتاريخية ودينية ولغوية" (المقدمة). وتعد هذه الخبرة جواز مرور

وظفه المؤلف توظيفا ذكيا حتى لا يظن القارئ أن المعوّل عليه في المعجم هو الكم فحسب، وإنما الكم مسترشدا بالخبرة والإلمام بمقتضيات تأليف المعاجم، وصبٌّ تلك في هذا.

يمثل هذا المعجم عصارة الجهود المبذولة في المعاجم السابقة في هذا الباب (للقارئ حرية تأويل هذه الجملة)! وبناء عليه يفتخر به المؤلف قائلا: "إنما اعتزازنا ينصب على معجمنا المصطلحي هذا لأننا قدرنا بعد إنجازه ما يتطلب من ثقافة وحصانة ودقة وسبر أغوار" (المقدمة). وهذه آية على أن المصنف خص المعجم بعناية فائقة ووقت ثمين، فضلا عن التشديد على قيم غدت نادرة الوجود بل تكاد تنقرض في هذا الباب وفي غيره، مما يضيف عهدا آخر يقوي عنصر الثقة بينه والقارئ (المستعمل) المفترض.

يختم المصنف المقدمة بالإشارة إلى عدد ونوع المصادر والمراجع التي استشارها وتصفحها واستنطقها حتى يستقيم التأليف. فمنها الغربي والشرقي القديم والحديث... قيمة أخرى تنضاف إلى سابقاتها هي سعة الثقافة والاطلاع. وهكذا فمحصول ما تقدم هو أن المعجم حجة في بابه.

تلك عناصر تجعل المعجم -حسب ما ورد في المقدمة- فريدا ومتميزا وغنيا وخصبا مخصبا. فماذا يقول المتن؟

2 – رصيد المصطلح الحديث في معجم التونجي

2-1 قائمة المصطلح الحديث

الابتكار	الجو	القراءة؟
الإبداع	الحداثة	قلق العصر
الإبداعية	الحساسية	القومية
الأثر – الخالد	الحنين	قوة التأثير
إحياء الأدب	الخطاب؟	الكتابة؟
الإخفاق	الدراسة الأدبية	الكلاسيكي
أداة نقل	دعائم الأدب	الكلام؟
الأدب	الدليل	لا انتماء
الأدب الشعبي	الدوبلاج	اللاشخصية
الأدب القومي	الديالكتيك	اللاشعور
الأدب المقارن	الذات	اللامعقول
أدب المهجر	الذاتية	اللبس التعبيري
الأدب الوطني	الرتابة	اللذة

الأديب	الرعاية الأدبية	اللغة الرمزية
الاستجابة	الرقابة	لغة اللاشعور
إستاطيقي	الرمز	الليبيدو
الأسطورة	الرؤيا	المازوخية
الأسلوب	السادية	المبدأ
الإطار العام	السامي	المتن
الاغتراب الذاتي	السخرية	المثال
الالتزام	السوداوية	المحاولة
الإلهام	السياق	المحتوى
الأنا	الشاعري	المحور
الأنا الأعلى	الشبقية	المخالفة
الأنانية	الشعر الترفيهي	المخيلة
الانفعال	الشعر الحر	المدرسة
الإيحاء	الشعر الوطني	المذهب
الإيديولوجيا	الشعور	مركّب أوديب
البنية	الشك	المزاج السوداوي
البوهيمية	الصراع	المسافة الجمالية
البيئة	الصورة	المضمون
التأثير الأدبي	الصورة الأدبية	المعاصر
التأويل	الصورة البلاغية	المعجمية
التجربة	الصورة البيانية	المعلق
التحليل الأدبي	الطابع المحلي	المفارقة
التخيل التورية	الظاهرة	المفهوم
تداعي الأفكار	العدالة الشعرية	الملتزم
التراث	العصاب	المنهاج التزامني
التدهور الأدبي	العصرنة	المنهاج التطوري
التركيب	عصور الأدب	الموضوع
التشاؤم	عقدة أوديب	الموقف
التصور	عقدة الإخصاء	الميثة
التطابق	العلامة؟	النرجسية
التعبير	العمل الأدبي	النزاع بين القديم والحديث .

تعدد الدلالات	العناصر البنائية في العمل الأدبي	نزعة الاستخفاف
التفسير		النص؟
التوتر	عناصر الشعر	النص الأدبي
التيار	الغرابة؟	نظرية الأدب
تيار الشعور	غير المباشر!	نظرية التكوين
التيمة	الغيرية	الهوية
الثقافة	الفكرة المهيمنة	الوطنية
الثقافة المضادة	الفن	الوهم
الجانب اللاشعوري	الفنون الأدبية	
الجشطالت	الفنون الشعبية	
الجميل	فولكلور	

ملاحظات:

– عدد المصطلحات التي يمكن أن تدرج في النقد الحديث مائة وتسعة وخمسون مصطلحا.

– المصطلحات التي أمامها علامة استفهام لا يرد في تعريفها مفهومها الحديث.

– تتضمن القائمة سبعة مصطلحات عرفت تعريفا تقليديا.

– تضم القائمة ثلاثة مصطلحات مبهمة هي: غير المباشر، المخالفة، نظرية التكوين التشكيلي.

– في القائمة مصطلحان مكرران هما عقدة أوديب ومركب أويب.

– تضم القائمة ستة وعشرين مصطلحا تنتمي إلى علم النفس (أحوال النفس عامة).

يستفاد من الملاحظات الآنفة الذكر أن المادة المصطلحية الحديثة في المعجم المعني لا تتجاوز رؤوس الأصابع إذا أخذنا بعين الاعتبار الكم الهائل من المصطلحات الرائجة في النقد الأدبي الحديث. فعددها 159 مصطلحا، ينبغي أن نحذف منها المبهم والمكرر والذي حافظ على مفهومه التقليدي، على الرغم من أنه موظف في النقد الحديث. وعدد هذه مجتمعة أحد عشر مصطلحا، ويتبقى لدينا مائة وثمانية وأربعون مصطلحا.

المتعية	
الواقعية	ق19
الأسلية	
الوجودية	ق 20
مذهب الإرادة	
المذهب البرناسي	
المذهب التجريبي	
مذهب التعالي	
الفن للفن	ق 19
الرمزية	ق 19

ملاحظات:

- تضم القائمة أربعين مدخلا مصطلحيا.
- تنتمي أربعة منها إلى القرن السادس عشر
- ثلاثة إلى القرن الثامن عشر
- اثنا عشر إلى الفرن التاسع عشر
- عشرة إلى القرن العشرين، أي أن ربعها هو المعاصر
- كل هذه المداخل باستثناء "السلفية" و "العصبة الأندلسية" واردة عند مجدي وهبه، وجبور عبد النور. والملاحظ أن المصنف لم يضف إلى ما قاله هذان عن تلك شيئا!

2-3 المصطلحات المتصلة بالفنون الأدبية

الرواية	المسرحية	القصة	الشعر
الأحداث	الأحداث	الأحداث	
الأزمة	الأزمة	الأزمة	
	الاستعراض		
	الإطار المسرحي		
	الانفراج الكوميدي		
	الانقلاب المأساوي		
	الإيهام الدرامي		
البطل	البطل	البطل	
بوفارية			
	التحقير الفكاهي		
التحول المفاجئ	التحول المفاجئ	التحول المفاجئ	

التشويق			
	التقليد الساخر		التقليد الساخر
	التقمص		
الحبكة		الحبكة	
الحوار	الحوار	الحوار	
الخصم	الخصم	الخصم	
زاوية النظر		زاوية النظر	
السرد		السرد	
الشخصية الرئيسية	الشخصية الرئيسية	الشخصية الرئيسية	
الشخصية النمطية	الشخصية النمطية	الشخصية النمطية	
الشخصية المسطحة	الشخصية المسطحة	الشخصية المسطحة	
	الفاجعة الملحمية		
الفعل	الفعل	الفعل	
		القاص	
			الفقرة الشعرية
الراوي		الراوي	
القناع	القناع	القناع	
اللاشخصية		اللاشخصية	
اللحظة الحاسمة		اللحظة الحاسمة	
المبالغة الضاحكة	المبالغة الضاحكة	المبالغة الضاحكة	المبالغة الضاحكة
	المحاكاة		
	المشهد الإجباري		
	المشهد		
	المصطلح الدرامي		
	المعادل الموضوعي		
			المقطع
	المناجاة الفردية		
	المناظر		
	المونولوج		
المونولوج الداخلي		المونولوج الداخلي	
	المونولوج الدرامي		

النمط والنموذج	النمط والنموذج	النمط والنموذج	
	الوحدات الثلاث		
الوحدة العضوية	الوحدة العضوية	الوحدة العضوية	الوحدة العضوية
الوضع	الوضع	الوضع	

ملاحظات: مجموع هذه المداخل المصطلحية اثنان وتسعون.

- لخمسة منها اتصال بالشعر، ولثمانية وعشرين بالرواية، ولأربعة وعشرين بالقصة ولخمسة وثلاثين بالمسرحية.
- تسمح لنا الأرقام السابقة بوضع "تراتب مصطلحي" هو الآتي: المسرحية تليها الرواية فالقصة ثم الشعر في الذيل. وهذا يفرض علينا طرح سؤالين: هل يؤشر هذا التراتب على تراجع اهتمام الناقد بالشعر واستحواذ السرد والدراما على « عقله »؟

هل يؤشر هذا التقدم أو التراجع على النقد أم على الممارسة الأدبية؟

- هذه المصطلحات تقليدية تجدها في المعاجم التي ألفت قبل المعجم موضوع ورقتنا. أضف إلى ذلك أنها قليلة جدا إذا هي قيست بالعدد الضخم المستجد في كل فن من الفنون الآنفة الذكر.

2-4 قائمة المصطلح المعرب

الأبيقورية	الدوغماتية
إثنولوجيا	الدياسكوب
أرسطوقراطية	الديالكتيك
إستاطيقي	الديالكتيكية
أكاديمي	الديالوج
أكاديمية	الديموقراطية
أليصاباتي	الراموسية
الأنتروبولوجيا	الرواية البوليسية
الانفراج الكوميدي	روتوغراف
الأوبرا	رومانس
الأوبريت	رومانسي

الأولمبي	الرومانسية
الإيبسكوب	السارترية
البارناسيه	السريالية
باروك	السوريالية
الباليه	السيناريو
ببليوغرافيا	الشعراء الميتافيزيقيون
البراجماتية	صلب الدراما
البراغماتية	الصورة الكاريكاتيرية
البرجوازي	فولكلور
البرجوازية	الفيكتوري
بوفارية	القصة البوليسية
البوهيمية	الكلاسيكي
بيرونية	الكلاسيكية
تراجيديا	الكلاسيكية الجديدة
التروبادور	الكوميديا
التروفير	الكوميديا التراجيديا
التياترو	كوميديا الفن
الثيوقراطية	الليبيدو
الجشطلت	المادريجال
الدادوية	المازوخية
الداروينية	المأساة السينيكا
الدراما	المأساة الكلاسيكية
الدراما البورجوازية	ماقبل الرفائيلية
الدراما الشعبية	ما قبل الرومانتية
الدوبلاج	مذهب ما فوق
البرناسية	المصطلح الدرامي
بللاد	الميكيافيلية
البلياد	مونتاج
بليني	المونولوج
إيبوده	المولولوج الداخلي
الإيديولوجيا	المونولوج الدرامي

الإيسوبيه	الميثولوجيا
الميكروفيلم	النرجسية
النزعة الكلاسيكية الجديدة	

ملاحظات:

- مجموع المصطلحات المعربة تسعة وثمانون
- مجموع المفرد سبعون مصطلحا
- مجموع المزجي (أعجمي + عربي) ثمانية عشر
- مجموع المركب (مصطلحان معربان) اثنان
- كنا ننتظر أن يظهر اجتهاد المصنف في هـذا الجزء انسجاما مـع المعلـن في مقدمـة المعجم، دون جدوى.

2-5 المعجم المفصل في الأدب من معجم مصطلحات الأدب

إن عملية رصد معجـم التونجـي في معجـم وهبه[4] سيمكننا من الوقوف عند المصطلحات الحديثة التي أضافها التونجي إلى المـادة المصطلحيـة النقديـة الموجودة قبله، سيما وأن باعثـه في التصنيـف هـو الاستجابة لحاجة المثقف المعاصر الذي لا يجد بغيتـه في المعاجم الأخرى.

التونجـي	وهبـه	المصطلح الأعجمي
الإباحية ص778	مذهب الإباحية ص 285	Libertinism
الابتكار 14	الابتكار، الإبداع 260	Invention
الإبداع 16	...	...
الإبداعية 16	0	
الاتباعية 31	الكلاسية، التقليدية، الاتباعية	Classicism
	الكلاسيكية 71	
الأثر 32	العمل، الأثر، المؤلف 610	Work, oeuvre, ouvrage
الأثر الخالد 33	الأثر الكلاسيكي	
	الأثر الخالد 70	classic
إثنولوجيا 33	0	
الإثنينية 33	0	
الإجماعية 34	الإجماعية 584	unanimism
الأحداث 37	الحادثة، الأحداث 5	action
الأحدوثة 37	0	

إحياء الأدب 39	إحياء علوم الأدب 476	Renaissance des lettres
الإحيائية 40	0	
الاختراع والإبداع 41	ينظر الابتكار 260	
أداة نقل؟ 46	0	
الأدب	الأدب 5	Adab
	الأدب 291	litterature
الأدب الحي 53	0	
أدب الرحلات 55	أدب الرحلات 577	litterature de voyages
أدب السيرة 56	السيرة،تاريخ الحياة،ترجمة الحياة46	biographie
الأدب الشعبي 59	المأثورات الشعبية 174	folklore
الأدب القومي 67	0	
الأدب المقارن 69	الأدب المقارن 80	litterature comparee
الأدب المكشوف 70	الأدب المكشوف 149	litterature erotique
أدب المهجر 71	0	
الأدب الوطني 72	0	
الأديب 76	الأديب 302	homme de lettres
الارتيابية 78	التشكك 501	scepticisme
الأزمة 81	الأزمة 96	crise
الاستجابة 83	0	
استيطاقي 83	علم الجمال، فلسفة الجمال 7	esthetique
الاستعراض 88	الاستعراض 476	revue
الأسطورة 91	الأسطورة 280	legende
الأسلوب 93	الأسلوب 542	style
الأسلوبية 94	علم الأسلوب 543	stylistique
الإطار العام 102	الخلفية 38	background; arrière-plan
الإطار المسرحي 102	الإطار المسرحي 443	cadre de scène
الاغتراب الذاتي 114	الشعور بالغربة، الوحشة، اللانتماء، الانخلاع، الانسلاخ، الاستلاب	alienation
أغلوطة التشخيص		
الوجداني 117	0	

الأقصوصة 121	النوفلا، الأقصوصة 356	novella
أكاديمي 122	أكاديمي 2	académique
أكاديمية 122	الأكاديمية 2	académie
الالتزام 123	الالتزام 79	engagement
الإلهام 128	الوحي؛ الإلهام	inspiration
الأنا 133	الأنا 127	ego/moi
الأنا الأعلى 133	0	
الأنانية 134	الأنانية 127	egoisme
	الأنوية 127	egotisme
الأنثروبولوجيا 135	0	
الإنشائية 137	فن الشعر 416	poétique
الانطباع 138	الانطباع 244	impression
الانطباعية 138	الانطباعية 245	impressionisme
الانفراج الكوميدي 139	0	
الانفعال 139	الانفعال 131	emotion
الانقلاب المأساوي 140	الانقلاب 395	peripetie
الإيحاء 147	0	
الإيديولوجيا 147	0	
الإيهام الدرامي 150	الإيهام المسرحي 122	illusion dramatique
البارناسية 155	المذهب البارناسي 384	parnasse
البراغماتية 180	البرجماتية، الذرائعية 430	pragmatisme
البرناسية 184؟		
البطل 189	البطل 210	héros
البطولة 190	بطولي؛ ملحمي	heroique
البنية 195	التركيب؛ البنية؛ النظم 540	structure
البنيوية 195	التركيبية؛ البنيوية 540	structuralisme
بوفارية 198	0	
البوهيمية 199	البوهيمية 48	bohemianisme
البيئة 201	البيئة 290	milieu
التأثير الأدبي 208	التأثير الأدبي 290	influence littéraire
تاريخ الأدب 210	التاريخ الأدبي، تاريخ الأدب 290	histoire littéraire

التأليهية 219	التأليه الطبيعي 105	déisme
التأويل	التأويل، التخريج؛ الترجمة، الأداء	interpretation
التجربة 224	التجربة 156	experience
التجريدية 225	تجريدي 1	abstrait
التحقير الفكاهي 230	التحقير الفكـــاهي؛الاســـتعراض الفكاهي، الهزلية الماجنة 55	burlesque
التحليل الأدبي 231	تحليل النص (؟) 150	explication
التحول المفاجئ 223	0	
التخيل 235	التخيل، المخيلة 239	imagination
تداعي الأفكار 235	تداعي المعاني، الربط 33	associationisme
التدهور الأدبي 236	التدهور 102	décadence
تراجيديا 239	المأساة 574	tragédie
الترجمة الذاتية 241	الترجمة الذاتية 36	autobiographie
التركيبية 244	التركيبية 540	
التشاؤم	التشاؤم 398	péssimisme
التوتر 290	التوتر 564	tension
التيار 296	التيار 98	courant
تيار الشعور 296	تيار الشعور	monologue interieur
التيمة 297	الموضوع 568	thème
الثقافة 300	الثقافة	culture
الثقافة المضادة 301	النزعة المضادة للثقافة الثقافة المضادة	anticulture
الجانب اللاشعوري 308	0	
الجدل 011	الجدل 109	dialectique
الجشطلت 315	الجشطلت 191	Gestalt
الجمال (علم) 321	علم الجمال فلسفة الجمال 7	ésthetique
الجميل 327	0	
الجميل 327	الجميل 42	beau
الجنس الأدبي 332	الجنس الأدبي 189	genre

atmosphere	الجو 35	الجو 335
fable, intrigue, plot	الحبكة 160، 259، 410	الحبكة 345
	0	الحداثة 349
sensibilité	الحساسية 510	الحساسية 363
	0	الحقائقية 371
anecdote	حكاية 17	الحكاية 373
	0	الحنين 385
intimisme	الحميمية 258	الحميمية 384
dialogue	الحوار، المحاورة 110	الحوار 385
mythe	الخرافة 339	الخرافة 395
	0	الخصم 399
hoplologie, lettre	الخطبة، الخطاب، الرسالة	الخطاب 402
dadaisme	الدادوية 100	الدادوية 430
explication	تحليل النص 156	الدراسة الأدبية 435
étude critique	الدراسة النقدية 97	الدراسة النقدية 436

	drame	المسرحية 121	الدراما 436
		الدرامه	
		0	دعائم الأدب
مختلف	signe	الإشارة، العلامة 519	الدليل 444
		سبق	الديالكتيك 455
		الحوار	الديالوج 455
		0	الذات 459
		0	الذاتية 460
		سبق	الذرائعية
	rhapsode	راوي الملاحم 476	الراوي 471
	anecdotiste	راوي الطرف 17	
		0	الرتابة 473
		سبق	الرحلة 475
مختلف	épitre	الرسالة 144	الرسالة 478

	mécénat	الرعاية 392	الرعاية الأدبية 484
	censure	الرقابة 62	الرقابة 485
	emblème, symbole	الرمز 130؛ 552	الرمز 488
	symbolisme	الرمزية 553	الرمزية 488
	roman	الرواية 354	الرواية 490
	roman historique	الرواية التاريخية 215	الرواية التاريخية 492
	nouveau roman	الرواية الجديدة 352	الرواية الجديدة 492
	rommance	القصة الخيالية 486، الأغنية الغرامية 487، الرومانتي 487	رومانس 498
	romantisme	الرومانتيكية، الرومانسية الإبداعية	الرومانسية 498
		0	الرؤيا 502
	point de vue	وجهة نظر الراوي 425	زاوية النظر 504
	sadisme	السادية 425	السادية 514
	existentialisme	الوجودية 154	السارترية 515
	sublime	السامي، الجليل 546	السامي 517
	irony	السخرية 562	السخرية 522
	narration	القص 340 السرد 341	السرد 523
	surréalisme	السوريالية، مذهب ما فوق الواقعية 550	السوريالية 533
	contexte	القرينة الحالية، السياق 89	السياق 535
	biographie	السيرة، تاريخ الحياة، ترجمة الحياة 46.	السيرة 536
		0	الشبقية 546
	personnages	شخصيات المسرحية 123	شخصيات المسرحية546
	caractère	الشخصية 65	الشخصية 546
	protagoniste	الشخصية الرئيسية 447	الشخصية الرئيسية 547
	type de personnage	الشخصية النمطية 66	الشخصية النمطية 547
		0	الشخصية المسطحة 547
	traitre	الشرير 600	الشرير 549
	populisme	النزعة الشعبية 428	الشعبية 550

	vers libres	الشعر الحر 181	الشعر الحر 554
	lyrique	غنائي 296	الشعر الغنائي 561
	poèmes en prose	الشعر المنثور 444	الشعر المنثور 565
	imagisme	التصويرية 240	الشعراء التصويريون 567
	conscience	الوعي، الشعور 87	الشعور 571
	doute	الشك 121، التشكك 501	الشك 572
	naturalisme	النزعة الطبيعية 342	الطبيعية 602
	phenomene	الظاهرة 400	الظاهرة 610
	sentiment	العاطفة 511، الشعور	العاطفة 610
	monde littéraire	عالم الأدب 611	عالم الأدب 614
	génie	العبقرية 188	العبقرية 616
	justice immanente	العدالة الشعرية 419	العدالة الشعرية 619
		0	العدمية العصرية 620
	reconstruction historique	العرض التاريخي، تمثيل الأحداث التاريخية	العرض التاريخي 622
		0	العصاب
		0	عصاب الصدمة
		0	العصبة الأندلسية
	période	العصر 394	العصر 626
	âge d'or	العصر الذهبي 194	العصر الذهبي 634
		0	العصرنة 647
		0	العصرية 648
	intrigue	العقدة 658	العقدة 650
		0	عقدة أوديب 650
		0	عقدة الإخصاء 651
مختلف	signe	الإشارة، العلامة 519	العلامة 654
	estheticism	النزعة الجمالية 7	علم الجمال 658
	psychanalyse	التحليل النفسي 450	علم النفس الأدبي 659
	linguistique	علم اللغويات، علم اللغة 87	العلوم اللسانية 660
	ouvrage	الأثر 610	العمل الأدبي 662
	oeuvre d'art	العمل الفني 611	

	universalité	العمومية 588	العمومية 663
		0	العناصر البنائية في الأدب 663
		0	عناصر الشعر
	obscure	غامض 361	الغامض 668
		0	الغرابة 668
		0	الغربة 669
	lyrique	غنائي 296	الغنائي 673
	lyricisme	الغنائية 297	الغنائية 673
	oblique	غير المباشر 360	غير المباشر 675
	individualisme	الفردية 249	الفردانية 683
		0	الفرويدية 686
	act	الفعل 4	الفعل 689
	action	الحادثة، الأحداث 5	الفعل 689
	strophe	المقطع الشعري، الفقرة الشعرية	الفقرة الشعرية 690
		0	الفكرة المهيمنة 691
	art	الفن 30	الفن 691
	poétique	فن الشعر 416	الفن الشعري 692
	floklore	المأثورات الشعبية 185	الفنون الشعبية 694
		سبق	فولكلور 695
مختلف	lecture	القراءة 465	القراءة 703
	histoire, récit	القصة 538	القصة 707
	nouvelle	القصة القصيرة 518	القصة القصيرة
		0	القصة القصيرة جدا 710
		سبق	القصيدة النثرية 712
	mal du siècle	قلق العصر 301	قلق العصر 714
	masque de l'écrivain	قناع المولف 307	القناع الشخصي 715
	nationalisme	القومية 342	القومية 717
	écriture; art d'écrire	الكتابة 612	الكتابة 721
		0	اللبس التعبيري 753
		0	اللذة 753

		0	اللغة الرمزية 739
		0	لغة اللاشعور 740
	vermaculaire	اللغة المحلية 596	اللغة المحلية 740
	couleur locale	اللون، الطابع المحلي 294	اللون المحلي 743
		0	الليبيدو 743
	materialisme dialectique	المادية الجدلية 109	المادية الجدلية 746
		0	المازوخية 746
	tragédie	المأساة 574	المأساة 747
	pré-romanticisme	ما قبل الرومانتيكية 433	ما قبل الرومانتيكية 749
		0	الملهاة الضاحكة 751
		0	المتعية 754
	texte	المتن، النص 567	المتن 755
	archétype	النموذج الأول، المثال 29	المثال 756
	cycle	المجموعة القصصية 99	المجموعة القصصية 765
	imitation	المحاكاة، التقليد 241	المحاكاة 767
		0	المحاولة 768
	contenu	المضمون 89	المحتوى 770
	dissidence	المخالفة، التمرد 115	المخالفة 771
	fantaisie	الفنطازيا، المخيلة	المخيلة 773
		0	المدرسة 774
		0	المذاهب الأدبية 777
	choeur	المذهب 67	المذهب
		سبق	المذهب البرناسي 778
	roman épistolaire	المراسلات القصصية 144	المراسلات القصصية 780
		0	مركب أوديب 783
	distance esthétique	المسافة النفسية؟ 449	المسافة الجمالية 785
	futurisme	المستقبلية 185	المستقبلية 786
	drame	المسرحية 121	المسرحية 786
	épique drama	المسرح الملحمي 140	المسرح الملحمي 789
	scène à faire	المشهد المحتوم 360	المشهد الإجباري 795
		سبق	المضمون 798

المعادل الموضوعي 800	المعادل الموضوعي 359	correlatif objectif	
المعاصر 802	معاصر 89	contemporain	
المعجمية 807	0		
المعلق 809	المعلق، المحشّي 502	scoliaste	
المفارقة 813	التناقض الظاهري، المفارقة	paradoxe	
المقطع 819	المقطع 95	couplet	مختلف
الملتزم 823	0		
الملحمة 823	الملحمة 140	épopée	
الملهاة 825	الملهاة 75	comédie	
المناظر 828	المناظر 500	décors	
المنهج 831	المنهج 318	méthode	
المنهج التزامني	0		
المنهج التطوري	0		
الموضوع 841	الموضوع 568	theme, topique	
المونولوج 842	المونولوج، الحديث المنفرد 329	monologue	
الميثة 843	الأسطورة، الخرافة 338	mythe	
النرجسية 852	0		
النزعة العصرية 856	0		
النص 860	النص 566	texte	
نظرية الأدب 861	0		
نظرية التكوين الشكلي 861	0		
النقد الأدبي 860	النقد الأدبي 290	critique littéraire	
النقد المسرحي 865	النقد المسرحي 121	critique dramatique	
النقد المقارن 866	الأدب المقارن 80	littérature comparée	
النموذج 867	النموذج الأصلي 447	prototype	
النموذج الأدبي 867	0		
الهوية 875	0		
الواقعية 877	الواقعية 467	réalisme	
الواقعية الجديدة 878	0		
الوجودية 880	الوجودية 154	existentialisme	
الوحدة العضوية 881	0		

الوضع 886	0		
الوطنية 886	الوطنية 392	patriotisme	
الوهم 888	الوهم، التوهم 165	fantaisie	
	وهمي 170	fictif	
	الوهم 237	illusion	
اليوميات 892	اليوميات 110	journal	
	اليوميات 270	journal	
	اليوميات الخاصة 435	journal intime	

خلاصات:

1 – لم يذكر المصنف في لائحة المراجع "معجم مصطلحات الأدب" لمجدي وهبه، على الرغم من أنه اعتمد عليه في تعريف كثير من المصطلحات. ولسنا ندري لذلك سببا!

2 – إن جل المصطلحات الواردة في المعجم، موضوع هذه الورقة، موجودة في معجم وهبه وبالتعريفات نفسها. أما ما لم يرد في وهبه فقد ذكر وعرف في "المعجم الأدبي "لجبور عبد النور، فما الداعي وما الحاجة إلى رصها هنا مرة أخرى؟ ألأن المصنفين أخطآ في تعريف المصطلحات المذكورة؟ ألأن المعجم المفصل يستدرك ما فات سلفه ضبطا وتمحيصا...؟

3 – إن المعجم يسهم في اللبس، أي في تعقيد ما كان واضحا جليا، ومن ثمة فهو يسيء إلى المصطلح من حيث يسعى إلى "الإحسان" إليه؛ وهذا ما سنبينه في القسم الثاني من هذه الورقة.

4 – إن الخبرة التي تحدث عنها صاحب المعجم في المقدمة كان ينبغي أن تنير خطاه مصنفا ومرتبا ومعرفا. أما أن "تسعفه" في نسخ ما (من) سبقه نسخا رديئا لا ينضبط لأي معيار من معايير صناعة المعاجم المختصة فهذا ما لا نرى له غاية ولا مسوغا.

5 – لما كان المعجم المعني مكرسا للمصطلح، ولما كان المصنف قد أدرج فيه أسماء الأعلام وعناوين بعض المؤلفات، وأسماء الجمعيات والرابطات الأدبية...الخ وبعض الكلمات التي لا ترقى إلى مستوى المصطلح، فإن هذا سيسهم في بلبلة ذهن القارئ. وإذا كان لا مفر من كل هذا، فقد كان من المستحسن، في رأينا، تقسيم المعجم إلى أقسام متمايزة، مثلا: قسم المصطلحات، وقسم الأعلام، وقسم المؤلفات،وقس على هذا.

6 – لم نعتن بالمصطلح المرتبط بالنقد القديم. ونتمنى أن يهتم بهذا الجانب باحث من الباحثين، لأنه يقع خارج انشغال هذه الورقة.

3 – خطاب التعريف والتحريف في "المعجم المفصل في الأدب"

يحتل تعريف المصطلح موقعا مهما في المصطلحية، ذلك أنه ركن أساس بل جوهري، به وبغيره تتمايز المعاجم المختصة وتتفاوت قيمتها. ولما

كانت الغايات التي من أجلها تصنع هذه المعاجم، والحوافز الداعية إلى تأليفها ونوع المستعمل الموجهة إليه مختلفة من معجم إلى آخر، فإن التعريف متأثر بها لزوما. وإذا كان جمع المصطلحات وترتيبها سهلا، نسبيا، فإن تعريفها يعد مرحلة حاسمة وعملية معقدة قد تزيد المعجم أناقة وثقة وحجية، وقد تنزل به إلى أسفل سافلين. وهكذا اهتم المعنيون بمجال المصطلحية بالتعريف (خطاب التعريف) وبينوا خطورته وجديته، وشروطه وقواعده. على أن عنايتهم بهذا المكون تتفاوت من باحث إلى آخر. ولما كان هذا هكذا فسنعرض لثلاثة نماذج تدور حول خطاب تعريف المصطلح، مراعين أثناء العرض التسلسل من البسيط إلى المركب.

3-1 "شروط التعريف الوافي" في نظر محمد حلمي هليل

وضع محمد حلمي هليل ثلاثة شروط أساسية يرى أنها قمينة، إن هي روعيت، بأن تفي بالغرض المنشود. هذه الشروط هي:

أ - الوضوح: ينبغي أن نصل في التعريف إلى أكبر قدر من الوضوح، وذلك بالتعريف الدقيق لخاصيات المفهوم. فهذه الخاصيات هي التي تساعد على تعيين الحدود الفاصلة بين مفهوم وآخر.

ب - الدقة: بما أن تحقيق التواصل الآمن من اللبس هو من أهم أهداف اللغة الخاصة فالدقة تصبح متطلبا رئيسيا من متطلبات لغة التعريف. لذا فالمعايير الفاصلة بين المفاهيم يجب أن تكون حدودها مقننة بكل صرامة.

ج - الاكتمال: إن تعدد المفاهيم من السمات البارزة للمصطلح اللساني، ولذلك يصبح من اللازم أن لاتمثل التعريفات معنى واحدا أو وجهة نظر واحدة وألا تتحيز لمدرسة فكرية بعينها أو لساني بعينه، وإلا أدى ذلك إلى المقابل المبهم أو الناقص[5].

يتعلق الشرطان الأول والثاني بتمييز مفهوم من آخر، ذلك أن كل مصطلح يحيل إلى مفهوم لا يشاركه فيه مصطلح آخر. وعلى التعريف أن يكون وفيا لهذه القاعدة الصارمة التي غدت مسلمة في المصطلحية. وهكذا لايعقل أن يحيل المصطلح الواحد في الحقل الواحد إلى مفهومين ما لم تكن هناك مسوغات منهجية أو نظرية تجيزه. وعلى الرغم من أن هليل عقل هذا الشرط بمجال اللسانيات، فإنه في حقيقة الأمر ينسحب على العلوم الإنسانية كلها، سيما وأنه مجال تتنافس فيه النظريات والأطروحات والمقاربات.

3-2 مستويات الخطاب التعريفي: طالب بن عثمان

يفضل بن عثمان الحديث عن "خطاب التعريف"، وهو أعم، بادئا بماهيته. يقول: "خطاب التعريب بناء دلالي للمفهوم الخاص، مبين لخصائص المرجع ومحدد لموقع المصطلح في النظام المصطلحي"[6] ومعناه أن هذا الخطاب ينبغي أن يستجيب لثلاثة مطالب، أولها أن يذكر الخصائص أو السمات الدلالية التي إن حضرت مجتمعة حضر المصطلح، والعكس

صحيح. وهذا تصور يعتمد على ما يسمى التحليل بالمقومات، خلا أنه معتمد هنا لضبط المفهوم الخلص، لا لضبط معاني المفردات ضبطا معجميا. المطلب الثاني هو أن يبين خطاب التعريف خصائص المرجع. والثالث أن يحدد موقع المصطلح في المنظومة المصطلحية، أي علاقته مع المصطلحات التي تجاوره وتتعاون معه لتحديد حقل معرفي بعينه، أو اتجاه معلوم داخل هذا الحقل.

بالإضافة إلى ما سلف يسلك بن عثمان خطة الإيجاب / السلب معززة بأسلوب الإضراب: "ليس التعريف مجرد تلخيص للمضمون المدلولي للاسم في جملة أو عدة جمل، بل هو بناء يخضع لمبدأ الترتيب التدريجي للسمات الدلالية التي تمكن من تحديد المصطلح في إطار مجموعة من العلامات ومبدأ حصر العناصر السياقية المكونة له" (ص93). يفهم من هذا الكلام أن سرد السمات الدلالية ينبغي أن يعقلن، ومن ثم أن يكون منضبطا لقاعدة التدرج من الأخص إلى الخاص إلى العام فالأعم، أو العكس، أو للجنس فالنوع فالضرب...؛ وذلك كله توخيا للإدراك الحقيقي للمفهوم، وإلا فإن خطاب التعريف المعتمد على عشوائية رصد السمات الدلالية للمصطلح مؤد لا محالة إلى الإبهام والتعقيد من حيث يسعى إلى العكس.

يرى بن عثمان أن خطاب التعريف يتركب من مستويين هما:

أ - المستوى اللغوي المعجمي:

- ذكر المقولة النحوية

- بنيته الشكلية (التركيب، البنية الصوتية)

-خصائص الاستعمال من الناحية البراغماتية

ب - المستوى الموسوعي:

- المعلومات الدلالية والخصائص المفهومية

والحاجة إلى المعلومات التي من هذا القبيل هي كون التعريف نوعا من "الوصف الموضوعي الخاص لأنه يؤسس، في مستوى البنية القاموسية، علاقة بين المصطلح كعلامة وجملة من العناصر الخارجية المحددة لوجودها (الحقل المعرفي...)" ص94

يقسم بن عثمان المعلومات الموسوعية إلى نوعين:

أ - معلومات دلالية مفهومية تشمل خمسة عناصر أساسية في تعريف المصطلح وهي:

+ الميدان الخاص باستعمال المصطلح (الحقل المعرفي)

+ خصائص المرجع المعني بالاصطلاح (معلومات تميز المفهوم من غيره)

+ قسم الأشياء المعرفة اصطلاحيا (رسوم بيانية دالة على أصناف من هذه الأشياء)

+ موقع المصطلح في النظام المصطلحي (علاقة المصطلح بمصطلحات مجاورة)

+ ترجمة المصطلح : ذكر التعريف الوحدات المصطلحية المقابلة في لغات أخرى...

ب - المعلومات الوثائقية، وتخص المراجع المعتمدة (معاجم، نصوص، قرارات...الخ)"(ص95).

يخلص بن عثمان، من خلال هذا الذي ذكر إلى أن "علاقة التعريف بالمدخل المصطلحي علاقة ترجمة باعتبار الخطاب التعريفي بنية تحليلية" (ص96).

3-3 التعريف من زاوية نظر ج. ساكر (J.SAGER)

خصص ساكر ضمن مؤلفه[7] صفحات عديدة عالج فيها "التعريف" في المصطلحية مركزا على مجاله وطرقه وقواعده والغاية منه ووظائفه والحاجة إليه. على أننا، وإن تتبعنا الخطوات نفسها في عرض وجهة نظره، سنسلك سبيل الاختصار غير المخل مراعاة للمقام.

يرى ساكر أن التعريف هو "عملية شرح الرموز اللغوية (...). والتعريف وصف لغوي للمفهوم قوامه ذكر عدد من الخصائص التي توصل معنى المفهوم"(ص39). وهو منقسم إلى نوعين علم أو موسوعي "يصف المفهوم وصفا شاملا، وذلك بذكر كل وظائفه في مختلف الحقول التي يستخدم فيه" (نفسه) و "تعريف خاص يصف المفهوم في حقل مخصوص" (نفسه). ويشترط فيهما معا أن يفيا بما هو مطلوب منهما، ألا وهو "تقديم تحديد واحد ووحيد للمفهوم، ويتم ذلك بالإحالة إلى المنظومة المفهومية التي يعد جزءا منها، ثم بتصنيفه داخل هذه المنظومة. وعلى هذا النحو ينماز التعريف الضروري الكافي للمصطلحات (...) من عدد من التعريفات الأخرى التي تشرح المفهوم لمختلف مستعملي المعجم (...) بدءا من الأطفال وغير المختصين حتى المختصين" (نفسه).

3-3-1 مجال التعريف

لكي يتضح هذا المجال بما فيه الكفاية يلجأ ساكر إلى المقارنة بين التعريف المعجمي والتعريف الموسوعي، معتبرا الأول متوقفا على السياق اللغوي الذي ترد فيه الكلمة بينما الثاني متحرر منه. يتجلى هذا في قوله: "في نظرية المصطلح، درج الناس على اعتبار المصطلحات خالية إلا من معنى مرجعي داخل ميدان استعمالها، أي داخل حقل التواصل الخاص. ولأن المصطلحات لا تظهر إلا في عبارات محدودة، فقد عد التعريف للمصطلحي متحررا من السياق » (40).

3-3-2 طرق التعريف

يقصد ساكر بالتعريف في هذا المستوى "عملية انتقال المرء من المصطلح إلى مفهوم يعتبر معنى هذا المصطلح، بحيث يتمكن من الربط بين الرمز اللغوي والمفهوم"(42). أما الطرق فمتعددة، وهو تعدد تمليه طبيعة المفهوم المراد تعريفه، والغاية المسطرة للتعريف. نضيف إلى هذا أن طرق التعريف متفاوتة تتراوح بين التحديد الدقيق المضبوط للفضاء المعرفي الذي يشغله المفهوم والتذكرة (الجذاذة aide mémoire) وبين حاجة المترجم وحاجة المتخصص. هذه الطرق هي:

+ التعريف الترادفي
+ التعريف التحليلي
+ التعريف الشارح
+ التعريف التركيبي
+ التعريف الاستلزامي (باستعمال المصطلح في سياق تفسيري).
+ التعريف التعييني

ولكل نوع من هذه التعريفات مهمة محددة متميزة: "فالتعريف التحليلي يربط المصطلح إلى المصطلح الأعلى منه، وقد يتضمن أيضا مصطلحات

متصلة به. أما التركيبي فيحدد موقع المفهوم في منظومة من العلاقات ويشير إلى المصطلحات المنضوية تحت لوائه. أما التعييني فيكتفي بذكر المصطلحات التابعة للمصطلح المعرف، وهكذا يغطي امتداد المصطلح"(ص45).

ومما تجدر الإشارة إليه وجود تعريفات تمزج بين طريقتين وأكثر، حسب حاجة المستعمل أو غاية المصنف... ومثالها الجمع بين التحليل والشرح، أوالترادف والتحليل...الخ.

3-3-3 قواعد التعريف

+ تجنب استعمال صيغ السلب في التعريف، مثل: ليس، عكس...

+ تجنب استعمال الصياغة الغامضة

+ تجنب استعمال اللغة المجازية

+ يجب أن يقدم التعريف الخصائص الأساسية للمفهوم، أي أن يذكر الخصائص التي بها يفترق مفهوم عن مفهوم.

+ أن يكون التعريف سياقيا، أي جزءا من المعلومات المجمعة عن المصطلحات من مدونة مصطلحية. ومن ثم فالتعريف جزء من التخصيص الدلالي للمصطلح. ويوثق هذا التخصيص بالإحالة إلى المصادر التي توضح استعماله.

3-3-4 الغاية من التعريف

يتحكم في تحديد الغاية عنصران أولهما متطلبات المستعمل، وثانيهما طبيعة المفاهيم المراد تعريفها. ويمكن من ثم أن نتحدث عن ثلاث حاجات أساسية يلبيها التعريف:

أ – تثبيت معادلة المصطلح – المفهوم

في هذه نحن أمام العملية الأساسية لتكون المفهوم، وهي عملية تتم في استقلال عن عمل المصطلحيين، وقبله، أي خلق الأدوات المرجعية. فالعلماء يكونون – بانتظام – مفاهيم جديدة ويسمونها حسب المقاييس المتعارف عليها أو المعتادة.

ب – تعرف المصطلح عن طريق التأكد من وجود تعريف مستقل.

نحن هنا أمام التعريفات كما تظهر في مختلف أشكال التوثيق، وكذا أمام التعريفات التي أنشأها المصطلحيون لفائدة أصناف الأدوات المرجعية.

ج – شرح معنى المفهوم لفائدة المختص الذي يستعمل أبناك المصطلحات، كالمترجمين والمختصين وربما غير المختصين.

في هذه الحالة نتعامل مع التعريفات الموضوعة خصيصا لأبناك المصطلحات، على الرغم من أن إرضاء المختص وغير المختص بنفس التعريف أمر صعب.

3-3-5 وظائف التعريف

إن مسوغ إدخال التعريف إلى المعجم وأبناك المصطلحات وغيرها يكمن في ثلاث غايات تترتب عليها ثلاثة ضروب من التعريف. فنحن نحتاج إلى التعريف:

+ لإنزال المصطلح مترلته من البنية المعرفية المناسبة. ولما كانت هذه العملية نشاطا مصطلحيا محضا، فمن الأليق تسميتها "تعريفا مصطلحيا". ذلك

أنها تفترض إلماما بمحتوى المصطلح مستخرج من تعريفات ومن سياقات موجودة، ومن استشارة المختصين ومن الحقل المعرفي.

+ لتثبيت المعنى الخاص بالمصطلح. وهذا هو التعريف بالماصدق الذي يستخدمه المختصون لتحديد الإحالة المضبوطة للمصطلح.

+ لتمكين غير المختص من درجة ما من فهم المصطلح. ويسمى هذا النوع تعريفا "موسوعيا"؛ وغالبا ما يستعمل طريقة تمزج بين التركيبي والترادفي حسب الحاجة والإمكان. وهذا النوع يشير وجوبا إلى الحقل المعرفي المعني (الكيمياء، البلاغة، الطب...).

إن الغاية من استعراض المعطيات أعلاه منسوبة إلى ذويها هي توضيح خلفيتنا المعتمدة – اعتمادا مباشرا أو غير مباشر – في "قراءة" خطاب التعريف في "المعجم المفصل في الأدب" من جهة، والإفصاح عن مصدر هذه الخلفية دون مواربة أو تدليس على القارئ من جهة ثانية.

وقبل معالجة خطاب التعريف في المعجم المذكور أود أن نقفل دائرة هذا القسم النظري؛ فقد قلنا في مطلعه إننا سنسلك في استعراض معطياته التدرج من البسيط إلى المركب، وهذا وصف عام للطريقة، وقد حان أوان تخصيصه. فالقارئ المتفحص يدرك بسهولة أن شروط محمد حلمي هليل عامة لا تنطبق على تعريف المصطلح وحده بل تتعداه إلى كل تعريف كيفما كانت مادته أو مجاله، ذلك أن الوضوح والاكتمال والدقة شروط مقتضاة في التعريف ولو كان "شخصيا"، ومن ثم فهي شروط ليست مقصورة على المصطلح وحده.

أما اقتراح بن عثمان فحالة وسط بين التعريف عامة والتعريف المصطلحي خاصة. هو إذن يحتل منزلة بين الإثنين وإن كان إلى الثاني أقرب. ومن زاوية ثانية يعبر اقتراحه عن حديث مختص عن متطلبات التعريف في مجال اختصاصه (اللسانيات). وهذا ما تترجمه اللغة الواصفة التي استخدمها في الحديث عن التعريف ومتطلباته. وليس في هذا من عيب، بل هو إجراء مرغوب فيه لأنه يقي من اللبس والغموض، وإن كان يعد في نظر القارئ غير المتمرس هذا النوع من الخطاب ضربا من التعمية!

أما التوصيفة التي قدمها ساكر فتعكس كلام مختص في موضوع المصطلحية بخطاب بيداغوجي يسعى إلى تقريب الموضوع من غير المختص. بعبارة أخرى هو خطاب من داخل الموضوع بلغة مبسطة تراعي المقتضيات التعليمية والقارئ الموجه إليه الكتاب.

3-4 التعريف في "المعجم المفصل في الأدب"

3-4-1 التعريف الناقص

نقصد بالتعريف الناقص أمرين أولهما: تقديم تعريف لا يتضمن ما هو ضروري أو كاف لتمثل المفهوم. أي أن المعلومات المقدمة لا تمكن من تحقيق معادلة المصطلح – المفهوم، أو إن شئت الانتقال من الأول إلى الثاني. ثانيهما أن التعريف لا يحترم الصيرورة، أو التحولات التي وقعت على هذا الأخير، أو الدلالات الجديدة التي اكتسبها. وهكذا يمكن أن ندرج في النوع الثاني المصطلحات الآتية: الخطاب،

النص، الدليل، الراوي، الرسالة، الكتابة، القراءة، الكلام التأويل... ومن النوع الأول نكتفي بـ : الشخصية، الإطار المسرحي، الدلالة، ...فحاجات "المثقفين المعاصرين" التي حركت همة المصنف للتأليف تدخل ضمنها هذه المصطلحات وغيرها التي غدت نارا على علم يكاد لا يخلو منها كتاب في هذا الحقل.

الخطاب: "نص يكتبه كاتبه إلى شخص آخر، ويسمى كذلك الرسالة. ويتضمن الخطاب أخبارا تعني الطرفين. وكانت الخطابات في البدء موجزة، ثم أسهب بها الكتاب حتى غدت فنا قائما بذاته، يعتني به كاتبه، وقد يكتب المرء خطابه شعرا. لكن الأشهر أن يكون الخطاب نثرا".

أول سؤال يتبادل إلى الذهن هو هل هذا التعريف مصطلحي أو معجمي عادي؟ ذلك أن الإثنين متداخلان متلابسان؛ فمؤشرات التعريف المعجمي تتضمنها الجملتان الأوليان. أما مؤشرات التعريف المصطلحي فتعكسها كلمات-مصطلحات مثل:نص، الرسالة، فن قائم بذاته، الشعر،النثر.وإن كانت مؤشرات التعريف المصطلحي أغلب.

وإذا سلمنا بأنه تعريف مصطلحي فستكون لدينا ثلاثة مصطلحات تتقاسم مفهوما واحدا هي: الخطاب والنص والرسالة. وسنسلك هذه السبيل لتمحيص هذه "المسلمة" معتمدين على ما ورد في المعجم نفسه.

النص: "1 - الكلام المطبوع أو المخطوط الذي يتألف منه العمل الأدبي؛ فيقولون نص المسرحية، نص الرواية، نص القصيدة. 2 - الكلام المقتبس من كتاب ويوضع بين هلالين، لمناقشته أو الاستشهاد به".

ورد في التعريف الأول: المادة اللغوية التي يتركب منها الأدب، وهل يمكن أن نحصره في الأدب وحده؟ والمقصود في التعريف الثاني هو "الاستشهاد". ومما يعزز هذا التخريج، أي النص = اللغة، أن المصنف جعل بعد مادة « النص » تمييزا بين « النص الأدبي » و « النص العلمي »، وركز في التمييز على لغة كل منهما، ومن ثم فهو يتحدث عن اللغة، لا عن اللغة الأدبية واللغة العلمية.

الرسالة: " 1 - ما يكتبه المرء إلى صديقه أو أهله. وتكون موجزة محدودة الموضوع، سهلة الأسلوب خالية من التأنق اللفظي غالبا. 2 - بحث يعده طلاب الجامعات. 3 - بحث مختصر يكتبه المؤلف في موضوع معين، يعرضه بشكل موجز، ومادة مكثفة لتوضيح فكرة أو ردا على فكرة. 4 - نوع من الكتابات أخذ طابعا أدبيا متميزا منها: الرسالة الإخوانية، الرسالة الجدية، الرسالة الديوانية، الرسالة الشعرية..."

وعلى هذا النحو يتضح أن مصطلح الرسالة له ثلاثة مفاهيم مختلفة، فهل الخطاب رسالة بهذا المعنى؟ هل تنطبق هذه المفهومات الثلاث على الخطاب؟

هذا عن الالتباسات المتصلة بتعريف "الخطاب"، أما بعده المصطلحي فلم يرد في التعريف وإن كانت المؤشرات السالفة الذكر توحي بعكس هذا. والغريب في الأمر أن الخطاب قد راكم مفهومات جديدة مشهورة، لسنا نظن المصنف يجهلها. ودليلنا على ذلك ما ورد في تعريفه مصطلح "السرد". يقول: "وللسرد أشكال بحسب الجنس الأدبي الذي يكون فيه؛ فهو سرد روائي، وسرد

قصصي وسرد مسرحي. ويختلف معناه من منهج نقدي إلى آخر؛ فهو عند البنيويين مثلا يأتي بمفهوم الخطاب Discours أي الحديث" (ص523). وهو يلمح طبعا إلى الثنائية المشهورة في التحليل البنيوي للسرد القصة/ الخطاب. فلماذا لم يورد هذا المفهوم ضمن مفاهيم الخطاب؟ على أن هناك وجها آخر من وجوه النقص في تعريفه الخطاب يتمثل في غياب مفهوم الخطاب في كل من لسانيات النص ولسانيات الخطاب وتحليل الخطاب، فضلا عن فلسفة الخطاب (إدوارد سعيد وميشيل فوكو...).

الكلام " 1 – العملية التي يتم بوساطتها تبادل الأفكار بين المتكلم والسامع، والكلام يستند إلى العقل والتطور، ويفرق بين الإنسان والحيوان. 2 – علم ظهر عند المسلمين يعبر عن اتجاهاتهم الفكرية عن طريق الجدل والمناقشة".

معنى هذا أن "الكلام" من الناحية المصطلحية لم يكتسب من المفاهيم منذ العصر العباسي حتى يوم الناس هذا ولو مفهوما واحدا جديدا!! أي أنه ظل عاطلا عن العمل مجردا من التوظيف والتشغيل، والحال أن الكلام من بين الرموز اللغوية المتصفة بالحيوية في هذا القرن إذ أطلقه تمييز سوسير بين اللغة والكلام من عقاله فغزا ميدان النقد الأدبي وخلق فيه حركية جديدة وأسهم في إعادة النظر في لغة الأدب.

واللافت للانتباه أن هذا المصطلح ورد في الجزء الأول من المعجم (ص195) مقترنا بالبنيوية:

" وقد دخلت [البنيوية] ميدان علم الأسلوب حيث استخدمها علماء اللغة أساسا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلا لدراسة النص دراسة لغوية. وهذا التمييز الثنائي هو ما بين اللغة والكلام، أو بين الكلام والنص، أو بين القدرة الكلامية والأداء الفعلي للكلام، أو بين الكلام والرسالة الفعلية".

لن نقف الآن عند المشكلات التي يثيرها هذا الجزء من تعريف "البنيوية" لأننا سنتحدث عنه في قسم آخر. أما ما يهمنا الآن فهو أن الكلام ورد مصطلحا يشكل طرفا في ثنائيتي اللغة / الكلام، والكلام / النص. ولما كان الأمر هكذا ألا يستدعي استقصاء السياقات المعرفية وسياقات التوظيف التي ورد فيها مصطلح "الكلام"؟ وإلا فما هو عمل المصنف إن لم يكن في أحد وجوه الاستقصاء والتوثيق؟ ولكن ما بالنا نطلب منه هذا والحال أن معجما آخر مصنفا في "المصطلحات اللغوية الأدبية" (إميل يعقوب وآخرون) لم يضف إلى مصطلح الكلام مفهومه الجديد في اللسانيات؟

نكتفي بهذا القدر في ما يخص النوع الثاني من النقص لنعطف الحديث إلى النوع الأول الذي يمكن أن نضرب له مثالي "الإطار المسرحي" و "الشخصية".

الإطار المسرحي "مصطلح مسرحي يستخدمه المخرج أو الناقد المسرحي للدلالة على الجدران الثلاثة للمسرح. ويجب أن يكون مناسبا للمسرحية" (ص106).

من خلال هذا التعريف يمكن القول إن الإطار المسرحي هو الجدران الثلاثة للمسرح! لنفترض أن قارئا ما اطلع على دراسة أو بحث فصادف، من ضمن ما قد يصادف، مصطلح "الإطار المسرحي" فولى وجهه قبلة "المعجم المفصل..." ليتمثل مفهوم هذا

المصطلح؛ فماذا سيجد؟ الجدران الثلاثة. نعم الجدران الثلاثة. وهل يفيده أو يكفيه هذا لإدراك المفهوم؟ كلا! وهكذا نضطر إلى تصفح معجم آخر لنرفع اللبس والغموض المحيط بالمصطلح. يقول مجدي وهبه عن الإطار المسرحي: "مصطلح مسرحي للدلالة على الفتحة الكبيرة التي تمتد وراءها خشبة المسرح، ويرى من خلالها النظارة أحداث المسرحية كما لو كانت تدور أمامهم داخل إطار. وتتحدد هذه الفتحة بقوس في أعلاها وبجدار في جانبين غير عريضين يحملان ذلك القوس. ولو أن المصطلح في أصله يدل على القوس أو العقد في أعلى الإطار المسرحي إلا أن معناه قد امتد ليشمل كل هذا الإطار. والمسرحيات التي تشاهد على مثل هذه الخشبة المسرحية من ابتداع القرن السابع عشر، وقبل ذلك كانت المسرحيات تمثل على منصة ممتدة إلى منتصف المكان المخصص للنظارة فكأن النظارة يحيطون به من جوانبه الثلاثة" (ص443/رقم1411). فالتعريف الثاني يحاول أن يقدم للقارئ مفهوم المصطلح، مبينا أصله وامتداده حتى استوى مصطلحا له دلالة محددة في الخطاب المسرحي. واستغل كذلك المعلومات المتوافرة عن خشبة المسرح قبل القرن السابع عشر وكيف كانت، وأن التحول الذي أصاب الخشبة وما يحيط بها هو الذي ولد هذا المصطلح للتمييز بين ممارسة كانت وأخرى أصبحت.

الشخصية:

" 1 - خصائص تحدد الإنسان جسميا واجتماعيا ووجدانيا، وتظهره بمظهر مميز من الآخرين.

2 - وفي الأدب تبرز الشخصية بروزا واضحا. فإما أن نجد للأديب شخصية خاصة بأسلوبها أو بموضوعاتها، أو بروحها الإنتاجية كجبران والمنفلوطي وقاسم أمين، وإما أن تكون الشخصية مقلدة، لا إبداع فيها كالشعراء الذين قلدوا أبا نواس في شعر الخمرة...

3 - لا ينجح الأديب، ولا يبلغ مرحلة الإبداع (...) ما لم يبن شخصيته بناء محكما، ويعمد إلى إبرازها متميزة منفردة".(ص547)

والواضح أن المفهوم هنا لا يخرج عن النطاق النفسي الاجتماعي والحضاري، وهو الأول، وإن كان قصره على الجانب النفسي. والثاني هو الأدبي عامة، ونجد له صدى في كتابات شوقي ضيف وطه حسين مثلا (انظر جبور عبد النور ص147). وغالبا ما يتخذ الناقد من دراسة شخصية الأديب عتبة لدراسة أعماله.

أما الشخصية من حيث هي مصطلح داخل مجال دراسة السرد والدراما فلا نجد لها أثرا هنا. وإنه لمما يدعو إلى الاستغراب أن المعجم الأدبي لجبور عبد النور (1979) ما ذكر للمصطلح هذا المفهوم الأخير، بينما ذكره مجدي وهبه قائلا: "الشخصية أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية، كشخصية ليلى الأخيلية في رواية "مجنون ليلى" لأمير الشعراء أحمد شوقي" (ص65/ رقم 0269). فهل يعني سكوت المصنفين عن هذا المصطلح موته أو عدم فعاليته...؟ وإذا كان كذلك فلماذا ذكر التونجي بعد المصطلح المعني مصطلحات متفرعة عنه تابعة له "الشخصية الرئيسية والشخصية المسطحة والشخصية النمطية"؟ هل يمكن أن يربط القارئ بين مدلول مصطلح الشخصية كما هو محدد أعلاه في معجم التونجي وللمصطلحات المتفرعة منه؟لسنا نظن ذلك!

3-4-2 التعريف القاصر

نقصد بالتعريف القاصر ذلك التعريف الذي يفرغ المصطلح من مفهومه الحقيقي، ويصدق ذلك عندما يكون المصطلح المعرف ذا تأثير قوي في حقل اشتغاله، فيكون مقترنا إما بوضع نظرية جديدة أو تصور جديد أو يكشف بعدا جديدا للممارسة داخل الحقل المعني، أو على العموم يدعو إلى، بل يفرض إعادة النظر في ما سبق أن اعتاده الناس حتى أضحى قانونا وما هو به. وتأسيسا على هذا، من مهمات المصنف أن يبين هذا البعد وأن يمنحه حقه من البروز حتى يكون المستعمل على بينة من أمره. أما إن لم يفعل فتعريفه قاصر في رأينا. على أن العبرة هنا ليست بتسويد الصفحات، وإنما بالتركيز على القيمة التحويلية للمصطلح.

المسرح الملحمي: " مسرح ماركسي توجيهي تعليمي حديث، يهتم بالمضمون أكثر من الشكل، وبالإنشاد والجوقات أكثر من التمثيل. ويولي المسرح الملحمي اهتمامه هجر الحيل المعروفة وبإهمال الحبكة القصصية كي يشغل المشاهد عقله ويندمج بالجدل". (ص789)

يوصل هذا التعريف مفهوم المسرح الملحمي من خلال المحددات الآتية: المذهب والزمن والغاية، ثم من خلال سمات بنيت بناء تضاديا هي: + المضمون، +الإنشاد والجوقات؛ – الشكل، – التمثيل، – الحيل المعروفة، – الحبكة القصصية. ومن ثم نخلص إلى أن كل مسرح تتوافر فيه تلك المحددات والسمات فهو مسرح ملحمي لزوما! الوجه الآخر من النقص تترجمه التساؤلات الآتية: من هو (من هم) ممثل (ممثلو) هذا الاتجاه المسرحي؟ ما هي وجهة نظرهم الجمالية؟ وما معنى الملحمي؟ هل له صلة بالملحمة كما عرفها أرسطو؟ هل لهذا الاتجاه نظرية مسرحية؟ ما هي مكوناها؟ أين مصطلح المسافة، وأين مستوياها، وما هي الإجراءات العملية التي تترجمها؟ ما علاقة المسرح الملحمي بالماركسية؟

المنهج التزامني: "Syncronique" يقصد به دراسة مختلف الظواهر في مدة زمنية محددة، ويطلق عليه الوصفي "descriptif".

المنهج التطوري: "Diacronique يقصد به البحث في الظواهر بحسب التطور الزمني المتعاقب، ولذا يقرن به مصطلح آخر هو التاريخي".

اعتبرنا هذا التعريف قاصرا لأنه يذكر المصطلحين هكذا مجتثين كأنهما موجودان وجودا مطلقا، لا نسبيا. فالمصنف لم يذكر الحقل المعرفي الذي ينتميان إليه ومنه يستمدان وجودهما وقوتهما، ولم يذكر المدرسة اللسانية التي تعد مهدهما، ولا اللساني الذي وضعهما، ولا الآثار المنهجية والتصورية التي رافقتهما، ولا الانقلاب الذي أحدثه هذا التصور في الدرس اللساني الحديث.

إن تقديم مصطلحين بهذه الطريقة، يجعلهما منتميين إلى كل شيء، أي لا شيء في نهاية المطاف. ولأنهما اقترنا بكلمة المنهج، ولأن المعجم معجم أدب فقد يلتبس الأمر على المستعمل غير المختص أو غير الملم بميدان اللسانيات، فيظن أن هذين منهجان نقديان.

3-4-3 التعريف الغامض

نقصد بالتعريف الغامض ذلك التعريف الذي –

بعد قراءته- يظل القارئ حائرا لا يدرك ما يعنيه المصطلح بتاتا. أي إخفاق التعريف في الإبانة عن المفهوم، ولو استعان القارئ بما اختزن لديه في الذاكرة من معلومات.

رواية حياة فنان: ''ظهر منذ الربع الأول من هذا القرن نوع من الروايات يحكي قصة فتى يجاهد في الحياة، ويعاني الكثير ليصل قمة المجد. وتعتمد الرواية على تصوير الفتى بأنه ذو حساسية متميزة، فيقع في مطبات عديدة، ويلقى نجاحات متفاوتة حتى يحالفه الحظ أخيرا فيرقى أعلى درجات التفوق أو بعضها. وكثيرا ما حولت بعض هذه الروايات إلى أفلام سينمائية" (ص492).

إن قارئ هذا التعريف، سواء أكان مختصا أم غير مختص، ستعترضه صعوبة كبيرة في إدراك المفهوم الذي يعرفه المصطلح. وفي اعتقادنا أن المعلومة الوحيدة المفهومة هي موضعة المصطلح في مجال الرواية. ومبعث الغموض في هذا التعريف هو الحديث عن ''فتى'' باعتباره مدار هذا النوع من الروايات، بحيث يظن القارئ أنها روايات موجهة إلى المراهقين، ما دام محورها وقطبها هو الفتى. هذا وإن كان القسم الأخير من التعريف يرجع أن الفتوة ليست سوى مرحلة من المراحل التي ترصدها هذه الروايات، ملدام الحظ سيحالف الفتى "ليرقى أعلى درجات التفوق". ثم إن الإشارة إلى تحويل بعض هذه الروايات إلى أعمال سينمائية لا تسعف هي الأخرى نظرا لتوقفها على ما سبق من التعريف. والخلاصة أن هذا التعريف لا يساعد في ضبط المفهوم. ولو ذكر المصنف أمثلة من تلك الروايات لهان الأمر هونا ما.

مرة أخرى، لكي ندرك المفهوم نضطر إلى تصفح معجم آخر (وهبه ص 275)، حيث نجد ما يلي: "رواية الفنان Kunslerroman نوع من الروايات يتخصص في وصف التطور الذي لحق حياة الفنان من الطفولة حتى وقت نضجه. وفي أغلب الأحيان يصف هذا النوع من الروايات صعوبات الفنان الشاب الحساس في صراعه مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه بما في ذلك صراعه مع الضغوط الاقتصادية وسوء التفاهم بينه وبين أسرته المباشرة ثم تغلبة على العراقيل التي تحول بينه وبين انطلاقه الخلاق''. فالمصطلح إذن مرتبط بالفنان عامة، لا بالفتى. وهذا النوع من الروايات أقرب إلى السيرة الذاتية. ويزداد الأمر وضوحا حين يذكر وهبه مثالين: جيمس جويس (A portrait of the artist as a young man) ورومان رولان (Jean Christophe). والملاحظ أن التونجي ربط بين هذه الروايات وفترة زمنية محددة هي الربع الأول من القرن العشرين، بينما سكت عن هذا وهبه. أما زمن ظهور وانتشار هذه فيعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وكان مشهورا في ألمانيا خاصة. وما لم يذكره المعجمان هو وجود مصطلحات أخرى تتحاقل والمصطلح المذكور، وهي Entwicklungesroman؛ و Erziehungsroman و Kunstlerroman، أما المصطلح الجنس الذي تدور هذه في فلكه فهو Bildungesroman[8].

لقد تعمدنا تفصيل القول على هذا النحو لإبراز ما يختفي وراء هذا المصطلح الذي اختزله التونجي في "رواية تتحدث عن فتى" (كذا) وأي فتى؟ بعد أن سماه "رواية حياة فنان" ! فالمعطيات التي استعرضناها، على

قلتها، هي التي تسهم في البناء الدلالي للمصطلح، وفق تعبير طالب بن عثمان.

زاوية النظر: " 1 - منهج خاص لتناول الأشياء والأمور، وموقف محدد من قضية ما. 2 - النظرة التي يوجهها الأديب منطلقة من زمان ومكان محددين، ومنها يتحدد ذهنه ووجدانه وموقفه. وكل معالجة أدبية لا بد للكاتب أن يتناولها من زاوية نظره الخاصة. ومن خلالها يناقش الأمور، وينطق الأشخاص في عمله الأدبي. وكثيرا ما نجد الأديب يدفع كلام البطل، وهو إنما يدفعه من وجهة نظره الخاصة. حتى الدراسات النقدية والتذوقية إنما يتناولها النقاد من وجهة نظرهم الخاصة ويدعون أنها وجهة نظر عامة. على أن بعض الروائيين يمزجون بين زاوية نظرهم الخاصة وزوايا نظر غيرهم للمقارنة" (ص504).

نلاحظ، شكليا، أن التعريف مزدوج؛ فالأول شرح لزاوية النظر من خلال معناها المعجمي العادي. وفي الثاني إيهام بالتعريف المصطلحي الخاص، وما هو به. وحجتنا على ذلك أن التعريف يتسم بالتشتت، إذ يتحدث تارة عن الأديب وتارة عن الكاتب، وأخرى عن الروائيين والنقاد وعن الأشخاص في العمل الأدبي ثم عن البطل. والحجة الأخرى أنه يستعمل "وجهة النظر" مرة و "زاوية النظر" أخرى، وهذا كله يسهم في الخلط الذي قد يحسه قارئ التعريف بحيث لا يرى حدودا تعين أين يبدأ المعنى المعجمي وأين يبدأ المصطلحي ومتى ينتهي. وهكذا ركز التعريف على المعنى المعجمي الذي يفيد الرأي والموقف، و لم يلمس المصطلحي إلا في السطر الأخير قائلا: " على أن بعض الروائيين..."، بل إن هذا السطر ذاته لا يمكن الاطمئنان إليه بسبب عموميته الشديدة. هذا والحال أن القارئ المعاصر الباحث عن المصطلح "زاوية النظر" كما هو موظف في الدراسات البنيوية للسرد ستزداد حيرته ولن يخرج من هذا التعريف إلا بوفاض فارغ. وتزداد فداحة الأمر حين نعلم أن هذا المصطلح قد حدد تحديدا دقيقا وافيا بالمطلوب عشرين سنة قبل تأليف المعجم موضوع هذه الورقة، نقصد معجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبه. يقول " وهناك ثلاثة مواقف يمكن أن تتخذها وجهة النظر هذه:

- إما أن يحكيها الراوي بأسلوب ضمير المتكلم على أن كل أحداث الرواية وشخصياتها خارجة عن حيز تجاربه المباشرة.
- وإما أن يرويها بوصفه شخصية من شخصيات الحدث تشترك في حبكة القصص وتتكلم عن غيرها من الشخصيات.
- وإما أن يقص الرواية بوصفه رقيبا عليما بكل شيء، متخذا موقف الإله، ويحكي أحداث الرواية، كما يبين ما يكمن في ضمائر الشخصيات من أفكار ووجدانات" (ص425/رقم1368).

3-4-4 التعريف الخاطئ

نقصد به ذلك التعريف الذي يعتمد المعنى الحرفي لكلمة من الكلمات التي يتركب منها المصطلح. إنه لا يعتمد على ما اصطلح عليه النقاد وإنما على الانطباع الأولي الذي ينشأ من سماع المصطلح أو قراءته، أي أول ما يتبادر إلى الذهن من تخمين يفتقر إلى اليقين.

ومثال هذا تعريف المصنف مصطلح ''الشعر الغنائي'' (561). فقد وردت في التعريف ثلاث فقرات كل منها يحيل إلى مفهوم بعينه. يقول:

- " هو الشعر الذي يحرص ناظمه على حسن اختيار اللفظة الرقيقة، والوزن الخفيف، والمعنى القريب إلى النفس، المعبر عن عواطف يقبل عليها الجمهور. (الغزل، النسيب، الاندماج بالطبيعة)".

- " وقد عرفه القدماء من الإغريق، وكانوا ينشدونه برفقة بعض الآلات الموسيقية ولا سيما المزمار أو القيثارة. وهو عندهم قصير النفس، يعبر عن انفعال ذاتي؛ فنراهم ينشدونه في تسبيح الآلهة، أو التغني بالبطولة، أو الرثاء".

- '' أما الشعر العربي فأغلبه إنشادي. ولكن ظهر في العصر الأموي إقبال كبير على الشعر الغنائي ولا سيما في الحجاز لميلهم إلى الترف، وازداد في العصر العباسي مع كثرة الجواري والمغنين. وبرز شعراء اختصوا بنظم القطع المعدة للغناء كعمر بن أبي ربيعة والعتابي والأحوص. وما كتاب الأغاني والدواعي إلى نظمه إلا برهان على ميل جارف نحو هذا اللون. أما في الأندلس فالموشحات والأزجال ما كانت تنظم إلا للغناء".

أما الفقرة الأولى فعامة إلى الحد الذي يجعل السمات الدلالية الأربع عاجزة عن حصر المفهوم وتمييزه من غيره. هذا، بينما وظيفة هذه السمات هي تحديد المفهوم وضبطه حتى لا يلابس غيره. ولسنا ندري ما هو المفهوم المعرف بهذه السمات؟ وهل هي قادرة على الإحالة إلى مفهوم ما! وذلك لأن اختيار ''اللفظة الرقيقة'' و ''الوزن الخفيف'' و ''المعنى القريب إلى النفس" و "العواطف التي يقبل عليها الجمهور" سمات نسبية ومألوفة في خطاب نقدي درج على تسميته بالتقليدي. ولذا ليس من المؤكد ما إذا كان القراء سيقفون على ماهية هذه السمات وشروطها.

الفقرة الثانية لم تزد الأمر إلا غموضا، فنحت بالمصطلح منحى محددا ليس هو منحاه الأصلي، ذلك أن ارتباط الشعر بالإنشاد واقترانه بآلات موسيقية يدفع القارئ إلى اختزال "الشعر الغنائي" إلى شعر مغنى. أما سمتا "قصير النفس'' و ''التعبير عن انفعال ذاتي'' فهما الأخريان عامتان لا تكادان تحيلان إلى شيء محدد! أضف إلى هذا أن هذا النوع من الشعر عند الإغريق ربما كان الخلفية البعيدة التي عنها تطور "الشعر الغنائي" بمفهومه الحديث. (ومن أدلة الخلط والخبط التي يتميز بها المعجم أن المصنف جعل الشعر الغنائي أصلا، منه انبثقت التراجيديا والكوميديا. انظر تعريفه "المسرحية" وتعليقنا على هذا التعريف في الفقرات رقم 3، 4، 8).

الفقرة الثالثة تحيل إلى زمن معين (العصران الأموي والعباسي)، وإلى مكان محدد هو الحجاز، وإلى طقوس الشرب والتحرر من الإكراهات الاجتماعية والدينية، وهو ما تترجمه كلمتا "الجواري والمغنين". هنا أيضا بتراكم سمات مثل ''الجواري والمغنين'' و ''الشعراء المختصين في نظم القطع المعدة للغناء'' وكون الموشحات تنظم لتغنى، ينحو المفهوم نحو الشعر الذي ينظم ليغنى. فهل هذا هو الشعر الغنائي؟ يقول ميشيل عاصي وإميل بديع يعقوب: "والشعر الغنائي هو أكثر الأنواع رواجا، ويكاد ديوان الشعر العربي أن

يقتصر عليه وحده من دون سائر الأنواع الأدبية كافة. وأغراضه هي الفخر والوصف والهجاء والرثاء والغزل والزهد والاعتذار، والخمريات والطرديات وما إليها، مما لم يؤثر مثله في الآداب العالمية كما وكيفا"[9]. فالشعر العربي القديم من هذا المنظور كله غنائي النزعة، وليس "الشعر المنظوم ليغنى" هو وحده الشعر الغنائي. وربما كان الشعر المغنى ضربا من ضروب الشعر الغنائي في فترة من الفترات، ولكنه لا يمكن أن يختزل إلى ذاك. هذا مع العلم أن ما هو غنائي يختلف من أمة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى ومن زمان ومكان إلى غيرهما، ومرد ذلك إلى اختلاف التقاليد الشعرية عند الأمم المختلفة. وفي اعتقادنا أن منشأ الغموض في تعريف التونجي هو تداخل ثلاثة تحديدات متفاوتة منفصلة لا يؤدي بعضها إلى بعض.

3-4-5 التعريف الشارد

نقصد به اتخاذ المصطلح تعلة أو مناسبة للحديث عن موضوع أو قضية ليست هي مفهوم المصطلح. ومن ثم فالتعريف، في نظرنا، شارد. ومثاله ما جاء في تعريف الاستعمار.

"الاستعمار": "لن نتحدث عن الآثار السيئة التي تمنى بها الأمم من جراء احتلال بلادها من قبل عدوّ مستعمر، فهذا أمر بديهي وواضح، لا مجال لنقاشه أو الشك فيه. غير أننا نحب أن نشير هنا إلى أن للاستعمار ميزة انتقال بعض ثقافاته إلى الأمة المستعمرة. فقد مرت سورية ولبنان بأيام عصيبة أيام الانتداب الفرنسي ألهبت حمية الرجال للدفاع عن الوطن، وشاركهم الشعراء والخطباء والكتاب في نضالهم، مما نجم عن ذلك حركة أدبية وطنية. كما أن فئة من الشباب تعلموا لغة المستعمر ليتقوا بها شره، وينهلوا علومه. وكانت وفود التفاوض تسافر إلى فرانسة فتطلع على رقي تلك الدول...".(ص89).

واضح إذن أن التعريف خرج من تعريف مصطلح الاستعمار إلى الحديث عن بعض آثاره أو ما يرتبط به، وهو في هذه الحالة تأثير ثقافات المستعمر في آداب المستعمرين. أما احتلال أرض الغير واستغلال خيراتها ومصادرة الحريات ومحاولة القضاء على الهوية وإعدام الشرفاء المقاومين ونفي الوطنيين...الخ، فمسكوت عنه في التعريف، ولسنا ندري لماذا؟ مع أن هذه الخصائص هي التي تضبط المفهوم، فضلا عن خصائص أخرى. ولربما سكت دونها المصنف لإيمانه بأن القراء يعرفون ما هو الاستعمار، وإذا كان هذا هو المبرر فلماذا أورده أصلا، مادام القارئ مستغنيا عن تعريفه.

3-4-6 التعريف المتوقف

نقصد التعريف الذي يعبر فيه المصنف عن أحكام قيمة سلبية قد تمارس تأثيرا في القارئ وتوجهه وتسهم في تحديد موقفه من المصطلح المعرف. يستغل المصنف رأس المال الذي تحدثنا عنه في التوطئة ليمدح ما شاء وينقص من قيمة ما شاء من المصطلحات، هذا مع العلم أن من شروط التعريف التزام "الموضوعية" ما أمكن ذلك. أي تقديم خطاب محايد واصف خال من المواقف والآراء الشخصية غير المؤصلة.

الأسطورة: "شيء كتبوه كذبا ومينا، وهي الأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها. ولما كانت اللفظة أعجمية فإنها تعرف عندهم

بأنها كانت نوعا من الفلسفة الجاهلية".(ص 91)

البراغماتية: ''مذهب فلسفي سوقي معاصر (...) وتقوم البراغماتية على أن (...) النجاح المادي أكثر أهمية من التفكير المنطقي..." (ص515). وقد جاء في تعريف السوقي عنده ما يلي: "السوقي: كل شيء مبتذل، ولا يعبأ بالثقافة والتهذيب، ومنسوب إلى السوق، أي كل شيء شعبي'' (ص534).

السارترية: " مذهب فلسفي ينسب إلى جان بول سارتر أبرز المتحدثين باسم الوجودية الفرنسية في الفلسفة والأدب والمسرح والرواية، وهي فلسفة ملحدة..." (515).

السوريالية: ''نزعة أدبية متطرفة، تدين بالحرية المطلقة، والفوق الواقعية، والخروج على كل عرف وتقليد (...) وتحتقر الأساليب السائدة (...) وتسخر من العقل والمنطق (...) وشعراؤها يستمدون تجاربهم من الحكم (؟) واللاشعور، دون اهتمام بالإيقاع والموسيقى، ولا بنظار الكلمات والتقفية؛ فهم هنا يعارضون أصحاب الترعة السريالية'' (؟؟؟!!).

تعكس الكلمات التي وضعنا تحتها خطا الأحكام المسبقة الطائشة. مبعث الحكم الأول هو الخلط بين دلالة الأساطير كما نعتت في القرآن في سياق محدد ومفهوم الأسطورة في النقد الأدبي خاصة وعند الأنتروبولوجيين عامة. وإلا فكيف سيفسر المصنف للقارئ أن هذه ''الأباطيل'' وهذه ''الفلسفة الجاهلية'' هي -حسب تعبيره- ''المادة الخام التي يمكن أن تكون قوام الأدب"؟ التغليط الثاني هو "كون الأساطير أحاديث لا نظام لها''، مع العلم أن دراسي الأساطير بدءا من ليفي ستراوس حتى كارل يونغ بذلوا جهودا مضنية للكشف عن ''معنى'' الأساطير، وعن النظام الذي تخضع له.

الحكم الثاني، أي سوقية البراغماتية، يمكننا أن نثير بصدده أسئلة من قبيل إذا كانت سوقية، فقد أنتجت فلاسفة يحظون بالاحترام داخل بلدهم (الولايات المتحدة الأمريكية) وخارجه، من عيار جون ديوي وشارلس ساندر بورس، حتى لا نذكر غيرهما، بل إن البراغماتية هي **فلسفة الفلسفة الأمريكية**، وفق تعبير دولودال[10] (انظر الفلسفة الأمريكية...). من زاوية أخرى نذكر بأن بورس بنى نموذجه السيميائي على المنطق الرياضي، ولا يمكن للمثقف المعاصر وهو الموجه إليه المعجم- أن ينكر التأثير القوي الذي مارسه ما أضحى متعارفا عليه بالسيمائيات الأمريكية[11] من تأثير في الدرس النقدي واللساني عامة. فكيف يجوز لنا بعد هذا وغيره نعت البراغماتية بالسوقية؟

أما الفلسفة التي نعتها بالإلحاد فقد غزت في فترة زمنية محددة العالم العربي فكرا وأدبا، وترجمت عنها مقالات وكتب، وقدمت في شأنها أطروحات... هذا فضلا عن التعمية التي مارسها المصنف على الخلفية الاجتماعية والسياسية والثقافية التي مهدت السبيل لظهورها وتوسعها.

وأما السوريالية فقد قدمت من خلال نعت "التطرف"، ومن خلال أفعال سلبية من قبيل "تحتقر"،

"تسخر" كما لو أن المقام مقام تأليب القارئ على السوريالية؛ أما لماذا هي متطرفة – لو سلمنا بأنها كذلك – ولماذا تحتقر وتسخر... فلا نجد عنه جوابا على الرغم من أنه الأهم. يضاف إلى السابق ذكره أن الطريقة المعتمدة في التعريف من مخاطرها إدراك السوريالية كما لو كانت لعبا ولهوا مجانيا؛ أما المكتسبات التي تحققت للأدب والفن عامة بفضل السوريالية فلا حديث عنه ولا عن أعلامها... سؤال أخير: ما هو الغرض الذي يخدمه هذا النوع من التعريف؟ وكيف سيفهم القارئ السطر الأخير من تعريف السوريالية؟

3-4-7 التعريف المتضخم

وهو في الحقيقة ناجم عن تضخم مصطلحي أقرب إلى الحشو بحيث تنتفي صفة التماسك والأناقة والوحدة المفترضة في المعجم المختص. وهو تعريف المفهوم مترجما بمصطلح عربي ثم تعريفه بمصطلح أعجمي معرب، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: الحوار، الديالوج؛ الحديث المنفرد، المونولوج؛ البراغماتية، الذرائعية؛ الرحلة، أدب الرحلة؛ الترجمة الذاتية، السيرة الذاتية؛ المسرحية، المسرحية...

على أننا سنكتفي بمثال واحد حتى ينوب المذكور عن غيره:

البراغماتية: "مذهب فلسفي سوقي معاصر، تؤكد النتائج العملية، وتقيس القضية بنتائجها العملية. وتعني باليونانية الفعل أو العمل. وترجمتها إلى العربية "الذرائعية. ومن أبرز دعاتها في أمريكة الفيلسوف "وليم جيمس" (1842–1907) وشارلس ساندرس [معلوم أن المقصود هنا هو بورس] (1839–1914) وفي رأيهم أن ليس هناك معرفة أولية في العقل تستنتج منها نتائج صحيحة، بغض النظر عن جانبها التطبيقي، بل الأمر كله مرهون بنتائج التجربة الفعلية العملية التي تحل للإنسان مشكلاته. يقول وليم جيمس: "إن معنى مفهوم ما بأكمله يعبر عن نفسه في نتائجه العملية. وهي نتائج إما أن تأخذ شكل سلوك يوصى به، أو شكل خبرة يمكن أن نتوقعها".

الذرائعية: ''الذريعة هي الوسيلة، وجمعها الذرائع. والذرائعية مذهب جون ديوي الذي يقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة. وأن معيار صدق الأفكار والآراء هو في قيمة عواقبها العملية، والعلة الذرائعية هي العلة الأداة لإحداث النتيجة. والمنطق الذرائعي هو الذي يبني أحكامه على التجربة، ويرى أن الحقيقة تعرف بنجاحها، وأن الله موجود إذا كان وجوده مفيدا لانتظام المجتمع''.

الملاحظ أن التعريف جعل الذرائعية وقفا على جون ديوي والبراغماتية على وليم جيمس وشارك ساندرس بورس؛ وهذا معناه أننا أمام فلسفتين كل منهما مستقلة بذاتها، على الرغم من قوله عن البراغماتية "وترجمتها إلى العربية الذرائعية''(؟) مما يعني أنهما شيء واحد. يضاف إلى هذا أن هؤلاء الأعلام الذين ذكرهم أسهموا كل بحظ معين في إقامة صرح الفلسفة البراغماتية، وإن كانت الدراسات المهتمة بالفلسفة الأمريكية تنسب إلى بورس الحظ الأوفر في بناء ذاك، وتبرز في الوقت ذاته اتكاء زملائه على أطروحاته الفكرية وإشراقاته.

وقبل ترك هذا النوع من التعريف لا بد من الإدلاء بملاحظتين، أولاهما أن المهتمين باللسانيات يترجمون المصطلح تارة بالذرائعية ومنهم عبد القادر الفاسي الفهري، ومنهم من يترجمه بالتداوليات وعلى رأسهم طه عبد الرحمن وأحمد المتوكل، وقد تبنى نقاد الأدب، في المغرب على الأقل، هذه الترجمة وأشاعوها في مؤلفاتهم، سيما من تتقاطع دراساتهم والتداوليات كمحمد مفتاح وسعيد يقطين وسواهما. والثانية أن المصنف لم يذكر وجوه الاتصال بين البراغماتية والنقد الأدبي. ونحن نعلم أن عددا لا يستهان به من المصطلحات البراغماتية اقتحمت الدرس النقدي اقتحاما، وأشهر هذه على الإطلاق مصطلح السياق.

وبعد، ننبه إلى أن المصنف ذكر في متن التعريف اسم شارلس ساندرس مجردا من اسمه "بورس" ولسنا ندري سببا لذلك ونتمنى أن يكون الخطأ خطأ آلة.

3-4-8 التعريف المتكرر

وهو ناتج في الحقيقة عن تكرير المصطلح نفسه بتعريفين يضمان مؤشرات "توحي" باختلاف مفهوميهما، بينما العكس هو الصواب، أي أنهما يحيلان إلى مفهوم واحد. بل إن المصنف يرتكب بعض الأخطاء عند تعريف أحدهما أو كليهما كما سنرى. والمثال الذي سنقف عنده هو مصطلح "المسرحية"، منبهين إلى أننا رمزنا إلى تعريفه الوارد في الصفحة 786 "أ"، وعلى الوارد في الصفحة 789 "ب".

المسرحية:

أ – جنس أدبي عريق عند الإغريق حديث عند العرب.

أ – قصة تمثيلية أساسها الحوار وليس السرد ولا الوصف.

ب – قصة حوارية أدبية بشكل درامي، تقوم على حبك حادثة يرسمها الممثلون، بنثر أو شعر، يقصد بها أن تعرض على خشبة المسرح، يؤديها أشخاص ممثلون.

أ – كلمة "مسرحية" عربية تعني عند الإغريق قديما "دراما" وتؤدي معنى الحدث أو الفعل. لها محوران: المكان الذي تجري فيه الدراما، والزمان الذي يدور فيه الحدث.

ب – كلمة "مسرحية" ترجمة حديثة لكلمة "دراما" التي تعني في الأصل الحركة.

أ – المسرحية تختلف عن التمثيلية في أن الأولى يشترط فيها وجود المسرح في حين أن التمثيلية لا يشترط فيها ذلك، ولكنهم اليوم لا يفرقون بينهما.

ب – وهو [المسرحية] مرادفة لكلمة تمثيلية.

أ – كانت تمثيلية يقوم بها الزارعون أيام الحصاد أو في موسم القطاف تعبيرا عن سرورهم.

ب – ترجع جذور المسرحية إلى طقوس دينية وثنية، كان الإغريق يؤدونها لإله الخمر خلال موسم الحصاد.

أ – واكب المسرح ظهور الشعر الغنائي، وتطور هذا الشعر إلى هجة وإثارة الضحك فكانت الملهاة أو الكوميديا، بينما تحول الشعر الغنائي إلى شعر

في المديح فكانت المأساة أو التراجيديا. ولا فرق من الوجهة الفنية بين النوعين.

ب - بعد تطورها [المسرحية] انقسمت إلى قسمين أساسين هما: التراجيديا أو المأساة، والكوميديا أو الملهاة. ولكل نوع هدف ومسار من حيث المضمون وإن كانتا متفقين من حيث الفنية.

أ - تجمد المسرح في عهد ظهور السيد المسيح حينا من الزمن، ثم عاد إلى نشاطه.(...) وجرت عملية إحياء المسرح في عصر النهضة.

تأسيسا على ما تقدم نسجل الملاحظات الآتية:

- هل هي قصة تمثيلية أو قصة حوارية؟ فقد تعاون على تحديد المفهوم مصطلحان هما القصة والتمثيلية. وعلينا أن نفحص كليهما. يقول: "القصة إحدى طرق التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ووصف الحياة. وقد سبقت الملحمة والأسطورة والمسرحية، وهي أصل لها.(...) وتعتمد القصص على السرد والوصف بخلاف المسرحية. (ص 707). ولسنا ندري ما المقصود عنده بأن القصة "أصل لها" (أي الملحمة والأسطورة والمسرحية)؛ فإذا كان المقصود أن هذه خرجت من جبة القصة، وأن القصة منها تولدت تلك فهذا أمر يحتاج إلى نظر، وإلى حجج دامغة، لأنه يرتبط بنشوء وترقي الأجناس الأدبية. الأمر الثاني أن المصنف وضع فصلا صارما بين القصة التي عمادها السرد والوصف والمسرحية، ومن ثم فالمسرحية ليست قصة.

يقول عن التمثيلية "جنس أدبي مؤلف من النثر أو الشعر، أو منهما معا يدخل فيه حوار ومشاهد وشخوص وليس شرطا أن تمثل على الخشبة، وإلا دعيت مسرحية" (ص282). ومن هنا فالفرق الحاسم بينهما هو العرض المسرحي المشترط في المسرحية، والعكس في التمثيلية. وبناء على ذلك نخلص إلى أن المسرحية ليست تمثيلية.

يترتب على هذا أن استراتيجية التعريف التي تبناها المصنف فاشلة فشلا ذريعا لأنها استراتيجية ملتبسة، على أقل تقدير. ويمكن أن تصدق هذه الملاحظة على "قصة حوارية"، أي مفهوم القصة يضاف إليه الحوار. ومعناه أن كل قصة قابلة لأن تكون مسرحية ما دامت حوارية، والحال أن الحوار ما هو إلا عنصر من عناصر أخرى تمنح المسرحية هويتها.

الجزء الثاني من التعريف يقوم على ثنائيتين: عراقتها عند الإغريق / حداثتها عند العرب، والثانية أن المسرحية تختلف عن التمثيلية / المسرحية مرادفة للتمثيلية. فهل هي مختلفة أم مرادفة؟ وعليه فمن الضروري رفع هذا التناقض البين المسرحية تمثيلية. المسرحية ليست تمثيلية!!

أما القسم الخاص في التعريف بأصل المسرحية فيربط تارة بينها وبين الحصاد وطقوسه، وتارة بينها وبين إله الخمرة. فإذا كان الأول هو أصل المسرحية فهو مشترك بين كثير من الحضارات والثقافات، والسؤال إذ ذاك هو لم أنتجت الاحتفالات هناك المسرح و لم تنتجه في مكان (أو أمكنة أخرى)؟ على أن المهتمين بالمسرح درسا وتنظيرا ونقدا يتفقون على ارتباط أصل المسرحية بتقديم آيات الطاعة والحمد لإله الخمر باخوس.

القسم الثالث من التعريف يتصل بنضج المسرحية واستوائها عند الإغريق فتفرعت إلى ضربين

متمايزين هما التراجيديا والكوميديا. ولكن المصنف ربط ظهور الملهاة بالشعر الغنائي الذي "تطور إلى بهجة وإثارة الضحك فكانت الملهاة أو الكوميديا" وقرن المأساة أو التراجيديا بتحول "الشعر الغنائي إلى شعر في المديح" [أو لم يقل إن الشعر الغنائي هو ذاك الشعر الذي ينظم ليتغنى له؟] ففضلا عن ما في هذا من خطل وخبط نكتفي بالإشارة إلى أنه عاد بنا قرونا إلى الوراء، حيث كان المترجمون وشراح أرسطو يعتبرون الكوميديا هجاء والتراجيديا مدحا!فهل من بؤس بعد هذا؟؟

القسم الأخير من هذا التعريف يتضمن مغالطة غريبة لم نعثر لها على أثر في الكتب التي تؤرخ للفن المسرحي، وهي قوله: "تجمد المسرح في عهد ظهور السيد المسيح حينا من الزمان، ثم عاد إلى نشاطه" (ص789) فالقارئ قد يظن، بل سيظن أن لظهور السيد المسيح علاقة مباشرة بجمود المسرح، وأن ظهوره هو سبب ذلك!! هذا بينما الفترة التي تراجع فيها المسرح ترتبط بسقوط روما (476م)، ودام التراجع حتى مطالع عصر النهضة. وكان للكنيسة دور أساسي في انتكاسة المسرح كما في نهضته فيما بعد. وحتى يتضح الأمر نوثق ما حدث بالاستشهاد الآتي: "سقطت روما ولكن الكنيسة بقيت لتصبح قوة كبرى تسيطر على الحياة في أوروبا ولتظل ذات تأثير في هداية الناس وقيادتهم خلال الألف سنة التالية (...) والواقع أن الكتابة المسرحية، أيا كانت الأسباب ظلت منذ وفاة سنكا [لوكيوس آنايوس سنكا L. A. SENECA 4 ق.م - 65 ق.م. وكان كاتبا مسرحيا وقائدا من قادة الرواقيين وأستاذا للأمبراطور نيرون] حتى بداية ما يعرف بالعصور الوسطى غير موجودة على الإطلاق. ولا بد أن يكون لمثل هذا الحكم العام بعض الاستثناء (...) ومع ذلك فليس من الخطأ على العموم أن نقول إن العصور الوسطى كانت مظلمة حقا بالنسبة لتاريخ الكتابة المسرحية. ومع هذا فالغريب ألا يرجع الفضل في ميلاد الدراما الحديثة إلى فرق الممثلين المتجولين ولا إلى روزفيتا، بل إلى الكنيسة نفسها، وهي التي كانت صاحبة أكبر أثر في القضاء على المسرح. ففي لحظة ما خلال القرن العاشر (م) دخلت على طقوس قداس الفصح الكنسية مسرحية صغيرة من أربعة سطور تصور قيامة المسيح في أبسط صورة درامية ممكنة. والظاهر أن المسرحية الصغيرة أحرزت نجاحا، فسرعان ما حلت طقوس القداس في عهد الميلاد وفي غيره من الأعياد المقدسة بشيء من التمثيل. وبالرغم من كل القيود الدينية وغيرها انطلقت من جديد قوى الخلق لدى الكاتب المسرحي وبدأت تعمل عملها في هذه المسرحيات..."[12]. لا يحتاج هذا النص إلى أي تعليق. فالغرض من إدراجه هو توضيح فداحة الخطأ المرتكب في حق القارئ والمسرح، والسيد المسيح!

3-4-9 التعريف المشتت

نقصد به وجود مصطلحات متقاطعة من حيث المفهوم، دون اجتهاد المصنف ليعكس التعريف هذه الحقيقة. أي أن التعريف لا يهتم بأنواع العلاقات القائمة بين المصطلحات، مما يخلف فهما مشتتا لدى القارئ مستعمل المعجم باعتقاده أن كل مصطلح يعد جزيرة قائمة بذاتها. ولإيضاح ذلك نقدم الأمثلة الآتية: التيمة، الفكرة المهيمنة، المحور، المضمون، الموضوع،

المحتوى.

التيمة: "هي الفكرة الأساسية والمحورية في عمل أدبي ما. وتطلق على الفحوى التي بنيت عليها قصة أو أي عمل أدبي''. (ص297).

الفكرة المهيمنة: ''هي الفكرة التي تعاود التكرار في نص أدبي (ص691).

المحتوى: ''هو المضمون أو الفحوى، ويقابله الشكل''.(ص768).

المحور: "ما يضعه الأديب نصب عينيه في معالجة قضية وكل موقف من مواقفه. فقصص المنفلوطي تدور في محور اجتماعي، وقصائد عمر بن أبي ربيعة محورها الغزل. هذا المحور هو الذي يثير الأديب ويدفعه إلى صنع عمله الأدبي وكلما تعمق في خط محوره ازداد عمله إبداعا (...) والمحور ليس مقصورا على الأدب، بل إنه يتضمن الفنون جميعا من رسم ونحت وموسيقى ومسرح".(ص770).

المضمون: هو المعنى الذي يقصده المؤلف في عمله الأدبي، ويتضمن مجموعة من العناصر التي تؤسس الشكل وتحدد وجوده. وهو الذي يصنع بنية الشكل الذي هو المظهر الأسلوبي والفني للعمل. وبدون الشكل لايبدو المضمون، ولا يمكن للشكل أن يؤدي عملا أدبيا بنفسه؛ فالواحد منهما يتمم الآخر. وإذا كان المضمون هو المعنى، فإن الشكل هو الأسلوب بما في ذلك الألفاظ والعبارات". (ص798)

الموضوع: ''هو الفكرة العامة التي يبنى عليها العمل الأدبي، وهو ينطلق من الذات، أو من المحيط، وتدخله العاطفة وجزئيات لا بد منها لكمال الفكرة. ولكل عمل أدبي موضوع. فموضوع شعر بن أبي ربيعة هو الغزل، وموضوع قصص المنفلوطي اجتماعي، والموضوعات التي يدور حولها الأدب الروسي إنساني عامة. والموضوع هو المادة الكتابية، والأسلوب هو بناء هذا الموضوع. وهو يقبل التكرار، بمعنى أن الموضوع الاجتماعي ليس خاصا بواحد، كما أنه متعدد الجوانب". (ص841).

جلي أن هذه المصطلحات متقاطعة متداخلة، ولكن إيرادها حسب ترتيب أبجدي لا يمكن القارئ من إدراك ذلك، هذا بينما يمكنه تحريرها من الترتيب الأبجدي من ذلك. ومع ذلك نشير إلى أن الصياغة التي اعتمدها المصنف في تعريف كل مصطلح مصطلح لا تساعد كثيرا على تبين نوع العلاقة القائمة بينها. باعتماد هذه الصياغة يمكن التقريب بين مصطلحي المحور والموضوع. ذلك أن المثالين المعتمدين للتوضيح تكررا في كليهما "ابن أبي ربيعة" و "المنفلوطي"؛ ثم بين الموضوع والمضمون، وبين التيمة والفكرة المهيمنة من جهة كونهما "فكرة". الأولى "أساسية ومحورية" والثانية " تعاود التكرار في نص أدبي''، والعنصر المشترك بينهما هو هيمنة الأولى وثبات الثانية طوال النص. ويمكن أن نلحق بهما " الموضوع" من حيث كونه هو الآخر" "فكرة عامة يبنى عليها العمل الأدبي"؛ ثم بين المحتوى والمضمون، ما دام الأول "مضمونا أو فحوى". ومع ذلك فإن بين هذه المصطلحات تمايزات تحتفظ لكل واحد منها بهويته، ويكفي في هذا الصدد التنبيه إلى وجود نوعين من التحليل يسمى أحدهما "تحليل المحتوى" والآخر "التحليل التيماتي"، أما الفكرة المهيمنة فهي أقرب إلى التحليل الأسلوبي المعتمد على الإحصاء.

وبناء على ما تقدم يمكن اعتبار مصطلحي – المضمون أعم من التيمة– الفكرة المهيمنة، والمحور –في هذا التعريف– أعم منهما لأنه يرتبط بإنتاج الكاتب كله أو أغلبه، لا بعمل واحد. وهكذا نحصل على الترتيب العمودي الآتي الذي يراعي التدرج من الأعم إلى الأخص:

المحور

المضمون – المحتوى

التيمة

الفكرة المهيمنة

وعلى هذا النحو نبني تراتبية ممكنة بين هذه المصطلحات، على الرغم من الفروق القائمة بينها.

3–4–10 التعريف المسروق

هو التعريف الذي "يضعه" المصنف محررا إياه من القوسين أو المزدوجتين علامة على أنه أخذه أو نقله من مكان آخر، دون ذكره. وكثيرا ما يقع هذا في "المعجم المفصل..."، بل هو الغالب فيه! وسنكتفي بمثالين اثنين حتى يتبين القارئ المقصود ويحتاط لنفسه أيضا.

التوتر: "... هوعند نقاد الأدب الغربيين: التشاد بين الحبكة في القصيدة أو المسرحية أو الرواية التي تودي (كذا) إلى ما يسمى بالتشويق. وعلى هذا يصبح النص الأدبي سلسلة من التوترات، كل منها يؤدي إلى ما يليه. ويرى آخرون أن التوتر نتيجة لتفاعل الوزن والمعنى" (التونجي، ص290).

التوتر: "عند نقاد الأدب في أوروبا: ذلك التشاد بين أجزاء الحبكة في القصيدة أو المسرحية أو الرواية الذي يؤدي إلى ما يسمى بالتشويق. ويمكن اعتبار الأثر سلسلة من التوترات يؤدي كل منها إلى إيجاد ما يليه. وهناك رأي بأن التوتر في الشعر نتيجة لتفاعل الوزن مع المعنى بحيث إن البحر أو التفعلية، ما هو إلا مظهر من مظاهر التقاء الرسالة التي يريد الشاعر أن ينقلها والوسائل التي توجد تحت تصرفه من أجل ذلك من مجاز إلى موسيقى شعرية إلى معان مصرح بها وتلميحات خفية... الخ" (مجدي وهبه، ص564).

البنيوية: "تدخل في ميدان علم اللغة، وهي مذهب يعتبر اللغة مجموعا مركبا لعناصر مترابطة، بحيث لا يمكن تحديد أي عنصر بمفرده ولا تعريفه، بل بعلاقاته مع العناصر الأخرى التي تؤلف هذا المجموع، ودخلت ميدان علم الأسلوب حيث استخدمها علماء اللغة أساسا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلا لدراسة النص دراسة لغوية وهذا التمييز الثنائي هو ما بين اللغة والكلام، أو بين الكلام والنص، أو بين القدرة الكلامية والأداء الفعلي للكلام، أو بين مفتاح الكلام والرسالة الفعلية". (التونجي، ص195).

التركيبية، البنيوية: "هي مذهب من مذاهب منهجية الفلسفة والعلوم مؤداه الاهتمام أولا بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له (...) وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللغة عامة وعلم الأسلوب خاصة حيث استخدمها العلماء أساسا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلا لدراسة النص دراسة لغوية. وهذا التمييز

هو بين اللغة والكلام -في اصطلاح G. Guillaume- أو بين نظام الكلام والنص نفسه -في اصطلاح هيلمسلف L.Hjelmslev - أو بين القدرة الكلامية والأداء الفعلي للكلام - في اصطلاح نوام تشومسكي N. Chomsky - أوبين مفتاح الكلام codeوالرسالة الفعلية message في اصطلاح رومان ياكويسون R. Jakobson".

نكتفي بهذا القدر للبرهنة على أن "المصنف" نسخ تعريف مجدي وهبه للبنيوية، بل الأصح أنه قام بعملية "توليف" بين تعريف هذا الأخير وتعريف ميشيل عاصي وإميل بديع يعقوب في معجمهما **"المعجم المفصل في اللغة والأدب"**. وقد لجأ إلى "حيلة" هي المناوبة بين فقرة مأخوذة من ذا والفقرة الموالية لها مأخوذة من ذاك!

إنه لمن المؤسف حقا أن يعتمد معجم في الأدب صدر سنة 1993 على معجم صدر قبله بعشرين سنة بالتمام والكمال من أجل تعريف غدا نارا على علم. أن يعتمد عليه وكأن لم يقع في حقل النقد الأدبي العربي جديد، أي كما لو أن البنيوية ما زالت مجهولة أو شبه مجهولة على الرغم من أن المقالات والمؤلفات المترجمة حول البنيوية والدراسات التي تقارب الشعر أو السرد من منظور بنيوي غدت مشهورة منذ ما لا يقل عن سبعة عشر عاما أو أقل من ذلك بقليل. فلماذا تجاهل كل هذا التراكم ونسخ تعريف وهبه الذي تم في وقت ما زالت فيه البنيوية تتلمس طريقها إلى العالم العربي تلمسا محتشما؟؟

إن النسخ "غير الواعي" -إن حاز التعبير- أوقع المصنف في أخطاء عدة منها:

أ - إسقاط أسماء الأعلام من التعريف: هلمسلف، جاكوبسون، شومسكي، مع الاحتفاظ بالمصطلحات التي ترجمها عنهم وهبه.

ب - استعمال التونجي "النظرية التركيبية" بدلا من "النظرية البنيوية"؛ فإذا كان وهبه قد استعمل هذا المصطلح فلأنه وضع مقابلا لـ structuralisme التركيبية.

ج - ذكره كتاب رولان بارت "Le degré zero de l'écriture"، والسكوت عن ترجمتيه المشرقية والمغربية إلى اللغة العربية.

3-4-11 التعريف المخروم

هو ذلك التعريف الذي ترد ضمنه مصطلحات لا شيء في طريقة الكتابة أو غيرها ينبه القارئ المستعمل إلى أنه أمام مصطلحات، لا كلمات عادية. ومثل هذا كثير في المعجم المعني. ولسنا ندري كيف يمكن للقارئ فهم التعريف وإدراك المفهوم إذا كانت بعض الكلمات الواردة فيه مستعملة اصطلاحيا دون إعلامه بذلك. ومن ثم تكتنف التعريف فراغات لن يتمكن القارئ وحده من ملئها.

في تعريف البنيوية مثلا وردت المصطلحات الآتية: اللغة، الكلام؛ نظام الكلام، النص؛ القدرة الكلامية، الأداء الفعلي؛ مفتاح الكلام، الرسالة الفعلية؛ الوظيفة الشعرية؛ الرسالة الشعرية. و لم يوضع لأي منها التعريف الذي يستجيب لمقامها الجديد.

إلى جانب هذه نذكر المعجمية الحديثة (ص 337)؛ والخطاب (ص523)؛ والمتلقي (ص405)؛

واللسانيات العامة (ص94)؛ ومستويات الخطاب (ص95)...الخ.

خلاصات:

أ - يظن القارئ أن النية المبيتة (الإساءة إلى المعجم المفصل...) تحكمت في عملنا ووجهته هذه الوجهة، حتى إنها حالت دون ذكر إيجابيات المعجم المعني. وردنا على ذلك هو دعوة القارئ إلى تصفحه، فلربما اكتشف ما لم نتمكن نحن من اكتشافه!

ب - إن التعريف في المعجم لا ينضبط لأي معيار من معايير التعريف، باستثناء الفوضى والاضطراب... وبناء عليه فإن ركنا رئيسا من أركان التأليف المعجمي ينهار، وإذا انهار فما الذي يتبقى من المعجم؟

ج - من "حسنات" هذا المعجم أنه "لخص" المشكلات والسلبيات التي قد تعترض سبيل التأليف المعجمي المختص، حتى يتفاداها الراغبون في الإقدام على هذا العمل مستقبلا!

د - يمثل هذا المعجم درجة من درجات الاستخفاف بالقارئ واحتقاره من ناحية، واحتقار المصنفين في هذا الباب بالترامي على إنتاجهم وانتهاك حرمته.

الهوامش

1 - نجيب العوفي : ظواهر نصية. ص8.

2 - انظر عبد العالي بوطيب: إشكالية المنهج في الخطاب النقدي، عالم الفكر، مج. 1994/23 ص.ص. 400-466.

3 - محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب.

4 - مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب.

5 - محمد حلمي هليل: نحو خطة منهجية لوضع معجم ثنائي متخصص، مجلة المعجمية. ع. 1992/8. ص165.

6 - طالب بن عثمان: علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة. ضمن "تأسيس القضية الاصطلاحية". ص93.

7 - ج. ساكر 1990.

8 - للتفصيل انظر: A Handbook to literature. C. HUGH HOLMAN et autres

9 - ميشيل عاصي وإميل بديع يعقوب: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية.

10 - انظر مثلا: G. DELEDALLE, La Philosophie Américaine 1983 و M. LUDWIG, La Philosophie Américaine 1967

11 - انظر مثلا محمد الماكري (رحمه الله): الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي. المركز الثقافي العربي بيروت 1991.

12 - هوايتنج فرانك .م. المدخل إلى الفنون المسرحية. ترجمة كامل يوسف وآخرون ص 41-42.

المراجع

- بن عثمان، طالب: علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكالات النظرية والمنهجية. ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية. بيت الحكمة تونس 1989.
- التونجي، محمد : المعجم المفصل في الأدب. دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1993.
- عاصي، ميشيل وإميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والأدب. دار العلم للملايين. بيروت لبنان 1987.
- العوفي، نجيب: ظواهر نصية. عيون المقالات. البيضاء 1992.
- هليل، محمد حلمي: نحو خطة منهجية لوضع معجم ثنائي متخصص: تطبيق على اللسانيات. مجلة المعجمية. ع. 1992/8.
- هوايتنج، فرانك .م. المدخل إلى الفنون المسرحية. ترجمة كامل يوسف، رمزي مصطفى، دريني خشبة، بدر الديب، محمود السباع. دار المعرفة، القاهرة 1970.
- وهبه، مجدي: معجم مصطلحات الأدب. مكتبة لبنان بيروت 1974.
- DELEDALLE, Gerard, La Philosophie Américaine. ed. L'age d'Homme. Lausanne 1983.
- HOLMAN, C. Hugh, A Handbook to Literature. Macmillan Publishing Company. NewYork 1986.
- LUDWIG, Marcuse. La Philosophie Américaine. ed. Gallimard 1967.
- SAGER, Juan C. A Practical Course in Terminology Processing, John Benjamins Publishing Company. Amsterdam / Philadelphia 1990.

المحور الثالث

تعريب المصطلحات

* إشكالات تأسيس علم المصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة

د. عبد السلام أرخصيص

*مصطلحات السكة والصياغة وتطور الدلالة

د. الموساوي العجلاوي

*المصطلح العلمي بين التأصيل والتجديد

د. إدريس نقوري

إشكالات تأسيس علم المصطلحات
في الثقافة العربية المعاصرة

د.عبد السلام أرخصيص(*)

منذ العقدين الرابع والخامس من هذا القرن بدأت الإرهاصات الأولى لعلم المصطلحات في الثقافتين الروسية والألمانية، ليكتمل تأسيسه في الثقافة الغربية عموما ويصبح علما ذا طابع مؤسسي مع بدايات العقد الثامن.ومنذ ذلك التاريخ وإلى الآن ما زالت الجهود ومحاولات التأسيس في الثقافة العربية المعاصرة مستمرة ومتعددة، ومازال هذا العلم لم يتأسس بعد في ثقافتنا العربية المعاصرة.

نحن نعتقد أن هذا التأسيس- بعيدا عن الاستنساخ الحرفي لتجربة الغرب- لن يتحقق إلا عبر قراءة نقدية لتجربة الغرب في هذا المجال ممارسة وتنظيرا. إذ عبر هذه القراءة يواجه الباحث مجموعة إشكالات نظرية وعملية يتوقف على حلها إنجاز عملية التأسيس. وسنقتصر في هذا البحث على البعض منها ومن أهمها:

- إشكال الوظيفة: هل تتحدد وظيفة علم المصطلحات بحكم تسميته العربية والغربية Terminologie في الإنتاج المعرفي La production du savoir أو أنها تقتصر على إعادة إنتاج ما تم إنتاجه سلفا من معارف في مجالات أخرى. إن الإشكال هنا إشكال مركب تتأسس عليه مجموعة إشكالات وخيارات أخرى.

- إشكال الموضوع: بين خيار الاقتصار على المعطيات الإمبريقية باعتبارها موضوعا وبين تأسيس الموضوع تجريديا خلال ممارسة البحث المصطلحي.

- إشكال المنهج: بين خيارين: خيار اعتماد منهج وصفي تقريري وبين اعتماد منهج مركب: تفكيك تركيبي.

- قضية المتن: بين اعتبار المتن قضية زائفة لا تهم علم المصطلحات كما هو الأمر ضمنيا في الممارسة الغربية المعاصرة، وبين اعتبار المتن من صلب قضايا علم المصطلحات تفرض التفكير في معايير اعتماد المتن وانتقائه.

- قضية المجال: إذ ما مجال علم المصطلحات؟ هل هو التكنولوجيا والعلوم الحقة كما هو الأمر في الممارسة

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش

الغربية أو أنه ينبغي أن يشمل إلى جانب ذلك العلوم الإنسانية والمجالات المعرفية غير العلمية وكافة أوجه النشاط الاجتماعي.

– قضية الطابع المؤسسي: إلى أي حد يمكن الاقتصار في تأسيس علم المصطلحات وممارسته على الجهود والمبادرات الفردية؟ أليس من الضروري أن تكتسب تلك المحاولات طابعا مؤسسيا مزدوجا: رسميا ومدنيا؟ وما هي مشاريع الدولة والمجتمع المدني في العالم العربي ليكتسب علم المصطلحات طابعا مؤسسيا؟.

مدخل:

يمكن اعتبار ظهور علم المصطلحات في الحضارة الإنسانية المعاصرة واحدا من الأساليب المتعددة التي واجهت بها هذه الحضارة التراكم المعرفي الهائل، الذي تنتجه يوميا آلاف المؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية، وكذا المؤسسات الاجتماعية، ذلك أن تشعب التخصصات العلمية والثقافية، وتنوع الممارسات المؤسسية الاجتماعية، أصبح يفرض اعتماد أساليب جديدة، تمكن من الامتلاك المعرفي والمعلوماتي لما تنتجه هذه التخصصات والممارسات. وجاء علم المصطلحات واحدا من هذه الأساليب التي أصبحت أهميتها أكثر مقارنة مع الأساليب المعتمدة في الحضارات الإنسانية السابقة، من أجل الحفاظ على الموروث الثقافي والمعرفي. ذلك أن ارتباط جانب هام من الذاكرة لدى الإنسان بمستوى الوعي عوض الغريزة أو الجينات الوراثية، يعتبر سمة مميزة للإنسان تميزه عن باقي الكائنات الحية. فالوعي بمخزون الذاكرة الفردية والجمعية، والقدرة على التحكم الإرادي في ذلك المخزون وتطور تلك القدرة خاصية إنسانية مميزة.

وقد طورت الإنسانية عبر تاريخها الطويل، إمكانات متباينة ومتعددة لتخزين وتعميم إنجازاتها المعرفية وموروثها الثقافي. وقد أمكن، ضمن هذا التطور، رصد المراحل الأساسية التالية:[1]

مرحلة هيمنة قناة التواصل الشفوي: وفيها كان تداول الخبرات والمعارف والمعلومات يعتمد قناة التواصل الشفوي، لذلك طور الإنسان في هذه المرحلة إمكانات التواصل الشفوي، وذلك بإبداع تقنيات متعددة لتطويع اللغة وتطوير التحكم فيها، لتصبح قادرة على إنجاز مهمة تخزين المعارف والخبرات في الذاكرة الفردية والجماعية واستمرار تداولها من جيل لآخر. وما الأسجاع والحكم والأمثال والشعر بخصائصه خلال هذه المرحلة، وخصوصا بنية الصور والبنية الإيقاعية، إلا مظاهر لعملية تطويع اللغة لتلائم اعتماد قناة التواصل الشفوي خلال هذه المرحلة من تاريخ البشرية.

مرحلة هيمنة قناة التواصل الكتابية: مع ظهور الدولة واعتماد الكتابة وانتشارها تحول الإنسان في تخزين وتعميم معارفه ومنجزاته الثقافية إلى اعتماد الكتابة والاستنساخ الخطي؛ ويكفي للدلالة على أهمية هذا الانتقال أن الفترة الانتقالية من هيمنة قناة التواصل الشفوي إلى هيمنة قناة التواصل الكتابي في الحضارة العربية الإسلامية، قد سميت "عصر التدوين" حيث كانت المهمة الثقافية الأساسية هي نقل الموروث الثقافي من قناة التواصل الشفوي إلى قناة التواصل الكتابي.

مرحلة هيمنة قناة التواصل الكتابي- الطباعي: مع اختراع الطباعة وتعميم الاعتماد عليها، انتقلت الهيمنة إلى قناة التواصل الكتابي- الطباعي، حيث أصبح بالإمكان تعميم المعارف المكتسبة أو المتوارثة لتشمل أغلب الشرائح الاجتماعية مقارنة بالمرحلتين السابقتين كما أصبح في الإمكان اختصار المسافات والأزمنة بين المرسل والمتلقي عبر الكتاب والمجلة والجريدة.

مرحلة هيمنة قناة التواصل السمعي- البصري: خلال القرن الحالي دخلت البشرية مرحلة رابعة هي مرحلة هيمنة التواصل السمعي - البصري وأصبح الإنسان خلال هذه المرحلة أمام أضخم إمكانية في تاريخه للتخزين الثقافي و المعلوماتي والمعرفي .

وقد أفرزت كل مرحلة من المراحل المشار إليها أعلاه ، مجموعة من المهارات والمجالات الثقافية المرتبطة بقناة التواصل المهيمنة فيها ، فمع المرحلة الشفوية ، ظهرت مهارات كالشعر والخطابة ورواية الشعر، ومع المرحلة الكتابية الخطية ظهرت ثقافات كالتاريخ ورواية الحديث و الأشعار وتدوينهما كما هو الشأن في الحضارة العربية الإسلامية، ومع المرحلة الطباعية ظهر التحقيق وظهرت المقالة والجنس الروائي . وبنفس المنطق ارتبطت مرحلة هيمنة قناة التواصل السمعي البصري بمجموعة من المهارات والمجالات الثقافية و الفنية و العلمية كالإعلاميات و الإحصائيات ، كما جاء العقل الإلكتروني بما يحمله من إمكانات التخزين المعلوماتي و المعرفي ؛و بما يتيحه من معالجة آلية و فورية لتلك المعلومات والمعارف ؛ فجاء كل ذلك ليساهم في تطوير قدرة الإنسان على التحكم في مخزون الذاكرة الفردية والجمعية على السواء .

وفي إطار التحول إلى هذه المرحلة الأخيرة ظهر علم المصطلحات خلال العقدين السابع و الثامن من هذا القرن بالغرب ، وتطور بسرعة ليرتبط بالعقل الإلكتروني وإمكاناته في التخزين والمعالجة. ومن الغرب، وخلال عملية المثاقفة بدأ علم المصطلحات ينتقل إلى مجتمعات و أمم العالم الثالث وضمنها العالم العربي .

في إطار هذا الانتقال الذي عرفه علم المصطلحات من الغرب إلى العالم العربي، يطرح السؤال عن استراتيجيتها في اقتباس هذا العلم: هل نأخذه على حاله، كما نما واكتمل بالغرب، ونطبقه على مجالات حياتنا وثقافتنا كما يطبقه الغرب، أو نخضعه لقراءة نقدية تفهمه في شرطه التاريخي ضمن الحضارة الغربية المعاصرة ؟ قراءة لا تسمح فقط باقتباسه، وإنما تسمح أكثر من ذلك بتأسيسه في ثقافتنا المعاصرة تأسيسا يتجاوب مع المهام التي يمكن أن ينجزها علم المصطلحات في وعينا بكل من تراثنا وتراث الغرب ضمن الشرط التاريخي لكل منهما.

إن الخيار هنا خيار مركزي، بين الوعي التاريخي والوعي اللاتاريخي بخصوصية نشأة علم المصطلحات وخصوصية ازدهاره لدى الغرب.

إن المنطلق الذي ينطلق منه هذا العرض هو خيار التأسيس، خيار الوعي بخصوصية التجربة الغربية في علم المصطلحات، وكذا الوعي بصعوبة الإشكالات التي

تواجه أي محاولة لتأسيس علم المصطلحات في ثقافتنا المعاصرة.وسنقتصر في هذا العرض على البعض من أهم تلك الإشكالات.

إشكال المجال:

تجمع كل التعاريف المقدمة في الغرب عن علم المصطلحات على أن مجال الاهتمام فيه عام وشمولي فعلم المصطلحات هو: الدراسة النسقية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من التجربة الإنسانية، ويشتمل علم المصطلحات من جهة على وضع نظرية ومنهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها كما يشتمل من جهة أخرى على جمع ومعالجة المعطيات المصطلحية وكذا توحيدها عند الاقتضاء.فكل التحديدات والتعريفات تؤكد أن مجاله عام يشمل كافة التقنيات والعلوم وكذا المجالات المعرفية غير العلمية كما يشمل كافة الأنشطة الاجتماعية المتسمة بطابع التخصص[2]. لكن الملاحظ هو التناقض بين التصور والممارسة في هذه القضية، ذلك أن الممارسة المصطلحية تكاد تقتصر على التكنولوجيا والعلوم الحقة في حين تبقي علم الإنسان والمجالات المعرفية غير العلمية والأنشطة الاجتماعية على هامش بؤرة الاهتمام في ممارسة المصطلحيين الغربيين.

والواقع أن هذا التباين أو التناقض بين التصور والممارسة، ليس وليد الصدفة بقدر ما هو مرتبط بصلب الشرط التاريخي للممارسة المصطلحية بالغرب. فالغرب الذي نشأ فيه علم المصطلحات، هو غرب الثورة الصناعية والتكنولوجية، بحيث انقسم العالم إلى غرب يمثل الثورة الصناعية- التكنولوجية ويجني ثمارها، وعالم ثالث لم يعرف هذه الثورة بقدر ما كان ضحية لها.

في هذا المناخ أصبح الغرب يمجد العقل ويزدري كل ما سواه، و لم يكن العقل لديه إلا العقل العلمي، كما أن العلم لم يكن لديه إلا العلوم الحقة أو التجريبية التي تخدم التكنولوجيا وبالتالي تخدم الصناعة.وذلك ما أدى إلى ارتباط علم المصطلحات بالتكنولوجيا والعلوم الحقة في التجربة الغربية؛ بل وإلى اقتصاره على تلك العلوم على حساب غيرها من المجالات المعرفية والأنشطة الاجتماعية الأخرى. وذلك رغم أن التطور النظري يلح على شمولية المجال بالنسبة لعلم المصطلحات.

وعلى العكس من ذلك فإن العالم الثالث وضمنه العالم العربي لم يعرف استراتيجية الثورة الصناعية- التكنولوجية، وإنما كانت استراتيجيته ولا تزال، هي استراتيجية التحرر والتقدم أو النهضة. ولذلك كان وما زال الخطاب المهيمن فيه هو الخطاب السياسي والإيديولوجي بمفهوم Michel FOUCAUT عن العلم المهيمن[3]، وهي هيمنة لها شرطها التاريخي الخاص، بنفس الشكل الذي جاءت به هيمنة العلم والتكنولوجيا بالغرب هيمنة لها شرطها التاريخي الخاص. وهذا واقع يساهم في تفسير هامشية العلم والتكنولوجيا في ثقافتنا المعاصرة وهيمنة المجالات المعرفية غير العلمية، أو المنتمية إلى العلوم الإنسانية.

لكل ذلك ولكي يكون الباحث المصطلحي العربي منسجما مع شرطه التاريخي، فإن عليه أن يرتبط بالتصور النظري لمجال علم المصطلحات أكثر من ارتباطه بالتجربة والممارسة الغربية، دون أن يعني ذلك تهميش الاهتمام

بالعلوم الحقة والتكنولوجيا، بل بالعكس مع التركيز عليها لأن ذلك التركيز سوف يساهم في تقليص هيمنة الخطاب السياسي- الإيديولوجي على الثقافة العربية المعاصرة.

إشكال الموضوع:

منذ الملتقى العالمي الأول لعلم المصطلحات (1972) والتصور عن علم المصطلحات يتجاذبه موقفان متباينان:

*أولهما يعتبر موضوع علم المصطلحات مقتصرا على "جمع المعطيات الاصطلاحية ومعالجتها وتوحيدها عند الاقتضاء[4] "(الاتجاه الإنجليزي- الفرنكوفوني).

* وثانيهما يعتبر أن موضوعه يشمل دراسة نسقية المفاهيم إلى جانب معالجة المصطلحات وتقييسها (الاتجاه الروسي- الألماني).

ومع تطور العلم، تطور الخلاف بين الاتجاهين ليصبح خلافا في تصور علم المصطلحات نفسه، فالاتجاه الأول يعتبر علم المصطلحات ممارسة لسانية أساسا، في حين يعتبره الاتجاه الثاني علما له استقلاليته، لكنه يمثل نقطة تقاطع أو تماس مجموعة علوم ومجالات معرفية (النطق- الأنطولوجيا- العلوم الحقة- الإبستمولوجيا- اللسانيات).

لكن هذا الخلاف، رغم حدته لم ينعكس في الممارسة المصطلحية إذ بقي الموضوع مهتما بالمصطلح يعالجه وينتقي الملائم منه أو يضعه ويعممه عند الاقتضاء أي أنه تحول إلى ممارسة لسانية فرعية هي صناعة المعجم وذلك على حساب الدراسة النسقية للمفاهيم.

وقد تم ذلك متلازما مع المنطق الداخلي للمجتمع الغربي المعاصر حيث أصبحت قطاعات الصناعة والتجارة والخدمات متمركزة في المؤسسات الكبرى، وأصبح التنافس على التوظيف السريع لمنجزات العلوم والتكنولوجيا أساسيا لتحسين الإنتاج وتطوير وسائله، فتنامى التراكم المفاهيمي والمصطلحي وفق متواليات هندسية متسارعة. وأصبح الموقف من علم المصطلحات موقفا براغماتيا، إذ تحددت مهمته عمليا في تبويب المفاهيم ووضع أو انتقاء المصطلحات الملائمة.بذلك أصبح موضوعه أمبريقيا عوض دراسة نسقية المفاهيم، أي أنه فقد على مستوى الممارسة علميته وتحول بدوره إلى تكنولوجيا.

أما على المستوى العربي، فإن استراتيجية التحرر والنهضة تفرض على الباحث المصطلحي أن يحدد موضوع علمه بشكل مزدوج: في المصطلحات من جهة وفي المفاهيم بدراسة الأنساق المفاهيمية ومحاولة تحديد قوانينها وقوانين تطورها وقوانين علاقاتها بالأنساق الأخرى سواء تعلق الأمر بثقافة الغرب أو بتراثه القومي- الإسلامي، على مستوى العلوم الحقة والتكنولوجيا، أو على مستوى المجالات المعرفية غير العلمية والأنشطة الاجتماعية.

إشكال الوظيفة:

ما وظيفة علم المصطلحات بالغرب الصناعي في ضوء الشرط التاريخي لنشأة العلم وازدهاره، وكذا الشرط التاريخي لتطوره وصيرورة تلك المجتمعات الغربية الصناعية؟ هل ينتج معرفة بشبكة المفاهيم التي يعالجها

وبقوانين تشكل تلك المفاهيم في أنساق مفاهيمية أوأنه يكتفي بإعادة تقديمه مبوبة ومختصرة؟ بتعبير آخر أكثر تحديدا هل يساهم في الإنتاج المعرفي أو أنه يكتفي بإعادة إنتاج ما تم إنتاجه سلفا؟

إن واقع الممارسة المصطلحية بالغرب يؤكد أن وظيفة علم المصطلحات هناك انحصرت في إعادة الإنتاج المعرفي، ذلك أن اهتمامه بالمصطلحات على حساب المفاهيم قد شكل حاجزا بينه وبين إمكانية إنتاج معرفة أو المساهمة في الإنتاج المعرفي، حتى على مستوى معالجة المصطلحات فإن الباحث المصطلحي يصبح دركيا لغويا يجيز هذا المصطلح ويرفض ذاك أو يتدخل ليفرض الملائم. وليس هذا في حدّ ذاته أمراً سلبيا ولكنه باختصار يتنافى مع علمية علم المصطلحات ذلك أن وظيفة العلم أي علم هي إنتاج معرفة وضعية يمثل الجانب الدغمائي المعتقد الجانب المميت فيها أما حين يغيب الإنتاج المعرفي الوضعي ويتقوّى الجانب الدغمائي البرغماتي فإن الممارسة العلمية تتحول في الغرب. وهذا بالضبط هو ما ينبغي تجاوزه في الممارسة العربية من أجل الحفاظ له على علميته.

إشكال المنهج:

ماذا يبقى من المنهج العلمي لعلم المصطلحات على مستوى الممارسة أو التصور؟

إذا كان المنهج العلمي بالضرورة يقوم على اعتماد تصورات باعتبارها فرضيات عمل يتم الانطلاق منها لمعالجة المعطيات قصد اختيار مصداقية الفرضيات فإن واقع الحال بالنسبة لعلم المصطلحات في الغرب الصناعي يؤكد لا علمية المنهج المعتمد، فالمنهج وصفي على مستوى المفاهيم وهو انتقائي على مستوى المصطلحات، وفي كلتا الحالين فإنه بعيد عن المنهج العلمي بالمعنى الدقيق.

أما علم المستوى العربي فإن الإشكال المطروح على المستوى المنهجي هو إشكال المزواجة بين المنهج الانتقائي على مستوى المصطلحات وبين المنهج التفكيكي- التركيبي- المقارن على مستوى دراية المفاهيم والأنساق المفاهيمية وقوانين العلاقات بينها.

إشكال المتن:

لا تطرح قضية المتن غالبا في علم المصطلحات باعتبارها قضية جديرة بالاهتمام تميل أن تساعد دراستها على الخروج بخلاصات موضوعية عن معايير تحديد أو انتقاء مجمل النصوص التي يتشكل منها المتن المدروس.فكل ما تطرحه الدراسات في هذا المجال هو الإلحاح على ضرورة توفر "الإلمام" بالمجال العلمي أو التكنولوجي المدروس، وتحدد الرجوع إلى المراجع الأساسية أو الاستعانة بالاختصاصين وسيلة لتحقيق ذلك الإلمام.

وهذا الخيار على مستوى قضية المتن منسجم مع الخيارات السابقة على مستويات المجال والموضوع والوظيفة والمنهج. فالمفاهيم بالنسبة للتكنولوجيا مرتبطة بآلات مشخصة يعانيها الباحث ويحدد مفهومها. أما مفاهيم العلوم الحقة فهي متماثلة على العموم تقل فيها ظاهرة التمايزات الجزئية بين المفاهيم من نسق لآخر أو من مفهوم لآخر ضمن نفس النسق المفاهيمي. ولذلك

كان طبيعيا ألا يطلب من الباحث المصطلحي أكثر من الاستعانة بالمراجع الأساسية أو بالإختصاصين.

يرتبط هذا التصور عن المتن بالتصور عن المجال وعن الموضوع. فالمفاهيم عمليا شائعة التداول. عكس المصطلحات التي تقع مهمة توحيدها وتعميم تداولها على الباحث المصطلحي.

أما خارج الغرب الصناعي فإن قضية المتن تفرض نفسها بحدة حين يتعلق الأمر بتعديل موضوع علم المصطلحات، ووظيفته ومجاله، إذ إن المجالات المعرفية غير العلمية تتسم عادة بتعددية المفاهيم.لذلك تصبح قضية المتن قضية حقيقية بمجرد ما يفكر الباحث المصطلحي في مجال غير علمي وغير تكنولوجي.

إشكال الطابع المؤسسي:

لقد ظهر علم المصطلحات بالغرب مرتبطا بالمؤسسات سواء كانت هذه المؤسسات صناعية أو تجارية أو خدماتية أو ثقافية.

لكن العالم الثالث ومنه الوطن العربي واجه مجموعة مهام متداخلة إن لم نقل متراكبة، فهو ما زال يحاول ترسيخ الطابع المؤسسي في هذه القطاعات الصناعية والتجارية والخدماتية والثقافية. وفي نفس الوقت يحاول تأسيس علم المصطلحات في ثقافته المعاصرة وإكسابها طابعا مؤسسيا. ومن هنا منبع الارتباك، فالمحاولات المصطلحية في العالم العربي محاولات فردية متشتتة الجهود، والمؤسسات المهتمة به تتنوع بين مؤسسات قطرية منعزلة عن غيرها وبين مؤسسة عربية موحدة هي مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، فهو المؤسسة العربية الوحيدة المهتمة بالمصطلحات المختصة، وبعلم المصطلحات؛ لكنها في واقعها الراهن بحاجة إلى دعم لتصبح قراراتها ملزمة للمجامع اللغوية القطرية وللمؤسسات التعليمية والجامعية؛ فتصبح بذلك ممتلكة سلطة القرار الثقافي. كما أنها بحاجة إلى دعم من المصطلحيين والمعجميين العرب وهيئاتهم القطرية التي يفرض المنطق أن تتوحد في هيئة واحدة موحدة على المستوى العربي.فالمسؤولية هنا متداخلة يتحملها صانع القرار السياسي والثقافي على مستوى الدول العربية، كما يتحملها صانع القرار السياسي على مستوى المجتمع المدني من أحزاب وهيئات سياسية، كما يتحملها صانع القرار الثقافي أي التنظيمات والهيئات المصطلحية والمعجمية واللغوية في الأقطار العربية.

بكل ذلك يصبح الطابع المؤسسي تحديا أساسيا ضمن تحديات إمكان تأسيس علم المصطلحات في ثقافتنا العربية المعاصرة.

تلك بعض التحديات الأساسية أمام إمكان تأسيس علم المصطلحات في ثقافتنا العرية للعاصرة، وهي تحديات لا يقلل من قوتها وأهميتها إلا وعي للؤسسات والباحثين للصطلحين والمعجميين بها، وقوة عزمهم على تجاوزها.

الهـــوامــــش

1- انظر في هذا التحقيب:

-Marshall : Mc LUHAN : Pour comprendre les média ; traduit par, Jean Paré édition; Mam / Seuil, Paris 1968.

حيث يلور مارشال ماكلوهن هذا التحقيب التـــاريخي ويقترحه بديلا عن مجموعة من التحقيبات الأخـــرى، وانظر أيضا مفهوم قنوات التواصل الثقافي عند:

- Georges GURVITCH; Les cadres sociaux de la connaissance, édition P.U.F. 1966 p: 21-69.

2- Vocabulaire systématique de la terminologie, Oeuvre Collective / Ed: Office de la langue Française, Montréal(Canada: 1979, p:

3- Michel Foucault : L'archéologie du savoir ; Paris , Gallimard 1977.

4- يرجع Siforov نشأة علم المصطلحات إلى أوائل العقـد الرابع من القرن العشرين، بألمانيا والاتحاد الســـوفياتي، على يد كل مـــن الســـوفياتي LOTTE، والألمـــاني Wuster سنة 1931، انظر في ذلك مقدمته للجـــزء الأول من :

- Textes choisis de terminologie
- Les Fondements Théoriques de la terminologie sous la direction de V.I. SIFOROV.
- Groupe interdiciplinaire de recherche scientifique et appliquée en terminologie - GIRSTERM Université Laval. Québec.

ويعتبر أن لجنة المصطلحات العلميـــة والتقنيـــة الـــتي تأسست بأكاديمية العلوم السوفياتية تمثل أول مركـــز لعلـــم المصطلحات بالاتحاد السوفياتي تأسس بتوجيه من مؤسســـي ذلك العلم بالاتحاد السوفياتي: لـــوط، Lotte وتشـــابلغين TCHAPLYGUINE.

مصطلحات السكة والصياغة

وتطور الدلالـة

د.الموساوي العجلاوي (*)

المحتـوى:

(1) تقديم

شكلت المصطلحات (الألفاظ التقنية والعلمية) العمود الفقري في المعاجم التقنية المستعملة في مختلف عصور الحضارة العربية الإسلامية، وتداول العلماء والتقنيون والحرفيون هذه المصطلحات على نطاق واسع. وكان كل مصطلح يعبر عن عملية أوعمليات معقدة التركيب وكان لكل آلة أو آنية إسم خاص رغم تعدد المستويات والأحجام.

(*) أستاذ بجامعة الحسن II / عين الشق، كلية الآداب – شعبة التاريخ

تحتضن الخزانات مئات الكتب العلمية والتقنية في مختلف العلوم والتقنيات التي عرفتها مجتمعات العالم العربي الإسلامي، واستقراء التراث العربي وخاصة الجانب العملي والعلمي منه، يقتضي بالأساس بناء قنطرة عبور متمثلة في ضبط المصطلحات العلمية والتقنية لفك رموز تلك النصوص. ولدلالة المصطلح دور هام في فهم التأليف، للخروج من دائرة التساؤل أمام النصوص العلمية والتقنية وللوقوف على دقة الدلالة من أجل فهم سليم للنص.

إن هذه العملية كفيلة بالكشف عن جانب مشرق من تراثنا يمكن أن توظف لغته في إثراء معاجمنا في مختلف مناحي العلوم والتقنيات.

(2) مصطلحات الأحجار الكريمة والمعادن:

الياقوت السماوي
أزرق
أزرق لازوردي
أزرق نيلي
أزرق كحلي
أزرق زيتي
– الياقوت الأبيض
المهاوي (البلوري)
– العقيق
– الماس
أصفر
بلوري
زيتوني
أزرق
أخضر
أحمر
فضي
حديدي
– الزمرد

أخضر ذبابي
أخضر ريحاني
أخضر سلقي
أخضر صابوني
– اليشم
– عين الهر
– الجزع
– الذهب
– شاوة
– جوهر
– بلخش (لعل)
– الزبرجد
– البازهير (بادزهر)
– الياقوت الأحمر:
أحمر بلون الورد
أحمر عصفري
أحمر بنفسجي
أحمر رماني
أحمر أرجواني

أحمر لحمي
أحمر مصفر
أحمر يشوبه بياض
– الياقوت الأصفر
أصفر رقيق
أصفر خلوقي –أشبع صفرة من الأول
أصفر جلناري – رماني–
أصفر مذهب
أصفر مشمشي
أصفر تبني
– الفيروزج
– الزجاج الفرعوني
– البنفش
ماذنبي أحمر مفتوح اللون
أحمر كحلي
بنفسجي وهو أسود تعلوه حمرة يسيرة

مطوسة بزرقة خفيفة
أصفر مفتـــوح اللـــون
(أسيادشت)
– المغناطيس
– الشب
– الجمشت
– النشادر
– الكحل
– الزرنيخ
– السادنة
– النرختيشا(مرقيشطة القصدير)
– الزنجارية
– الزنجفر
– موم أسود
– نحاس
– حجر أرميني
– الميناء
– السنباذج
– رصاص أبيض (قصدير)
– الحديد
– الحديد المسقي
– تشعير
– جوهر
– حجر الجص
– زبد القمر
– حماهان – حجر الصرف–
– اليسف (اليصب)
– السبح

– النحاس الأصفر
– النقرة (السبيكة)
– الذهنج
– الزئبق
– النفط
– حجر خام
– حجر محول
– المَلِق
– آنك
– أسرب – رصاص أسود
– إثمد
– أملاح
– أشكورية
– المرتك – المرداسنج أو الآنـك المحروق
– التنكار / نوع من الملح .
– الكبريت
– حجر الطلق
– التوتيا

3) المصطلحات المســتعملة في دور السكة ولــدى الصاغـة بالمغرب ما بين القرنين 7هـ و11هـ / 13م – 17م.

3 – 1 : مصطلحات المعـادن والأتربة

التبر تراب
الذهب السحالة
الذهب الدقات
الذهب التبر
الذهب السبيكة
الذهب العنتون
الذهب الفسالة
الذهب المسوس
الذهب الأخضر
الذهب الإمام
الذهب التهبية/ غبار الذهب
الذهب الإبريز
الذهب البالغ –ما دخل النـــار مرتين وثلاث
الفضة
النقرة
النحاس الأحمر
النحاس الأصفر
النحاس الأبيض
الزئبق
الأسرب = الرصاص الأسود
الآنك = الرصاص
الرصاص
الرصاص المسبوك
الرصاص المعدني
الآنك المحروق
– المرداسنج / المرتك
الكبريت
الفحم
البورق

الشحاير
التنكار
الأطرون
الفرض
الطرطار = الملح المعدني
الحديدة = أكسيد النحاس
الشليمان
الشب
الجبس
طناش
أمزاوغ
أركوس ⇐ Fe_2O_3

3 – 2 –مصطلحات المنتجات المعدنية والحلي

الخبيزة
الأشكورية
الفجرة
الكوجة
الخبث
برادة الوشي
المرتك
الإقليميا
الفضة سبيكة
الفضة المعرضية
الفضة الموبلة
نقرة مفروغة
نقرة قضبان

الخلاخل: خلخال ذهب / خلخال مصموت
الدنانير
الدراهم
الفلوس
اللوزيرة
الخصيصة
السندروس /الصندروس
خيط الصقلي
دباليج / دماليج
نبايل
خرصة
بزيم
مقافل
عصابة
تزارة
منطقة
حلي السيوف
حلي العروس
زجيج بياقوت
حلي مصممة
حلي مفروغة = مقياس فضة سوسي
خلخال
بزايم
قلائد
حلي سمر =
مطبق

فكرون سرج
خاتم سرج
بزيم سرج
المقياس
البزيم التلمساني
المرفق
الرتاج
السوار
عدة لجام
ألواح الأطفال
اللفائف

3–3 : مصطلحات الآلات

الكوجل / الكوجة
الكير (العهد المريني) / الرابوز (العهد السعدي)
أتون الشحيرة
الفرن
فرن الفخار
فرن السبك
فرن الشحيرة
الشعف
الصنج
الجولق = أقفال الجولق
الأزواج
الشقاف
أشخاص الأزواج
آلات وأقلام الفتاح

الميزان
الأعدلية / عدلة العود / الميزان
مهراس / مهراس حديد /
مهراس عود
غربال
البوط
اللقاط
المحابس
الميشق / الميشاق
المراط / الراط
المفاتيح
الإناء
المطرقة / مطرقة حديد
وتد
مجرد حديد / مبرد
مجرة من حديد / مجرة
قضبان
مقطع من حديد
طنجير من حديد
طنجير من نحاس
الطابع
القدرة / قدرة الآجر
ارحات اليد / العهد السعدي
الرحى
الصحفة
زبرة حديد
الكارة
غربال

كاز من حديد
الطبلة
اللولب
القرعة
الانبيق
القابلة
الأشال
الخرق
الشوكة
الإتن
الحمام
الصلابة
العلقة

3–4 – مصطلحات المواد الكيميائية

الخلول
الفسولات
الأرواح
الأملاح
الودك
الشمع
القطع بالماء
ماء الذهب
ماء القطع
غسالة الذهب
ماء ينقع فيه نوى السفرجل
سميد اللصاقة

الزقنة
الدقنة

3 – 5 – المصطلحات التقنية

العيار
السبك
يزوق بالمطرقة
النار اللينة
يقاس بالعيار
بلغ حده من الطيب
التلزز
صنج الهواء
الفايد والعايد
الدافع والصانع
المناكرة
المياومة
وزن العمل
ما طبع بقول الشهر
شاط في الطبع
كروبة
ما يقبض
ما يطبع – طابع العمل – الطابع
ما يندفع
زمام
حرز الدينار والدرهم
متلوف الضرب
خارجية الطوابع
الطوابع الخارجية
كتبت حلاه

تحقيق ما قبض الصانع
تسمية الأجرة
نوع ما صنع
انشراح الدينار والدرهم
ميلق العيار
نارحطب
نار فحم
عشور
المبالغة أو التقصير في النار
الحمى البالغ
تمويج
تكريش
عروس أحمر
لادهومة فيه
سالمة الوجه
الترصيص
التنحيس
التشبيب
الترطيب
الحروشة
طابع التجويز
التبرقع
الدبوسة
الترشيح
تبطيل السبائك
تربيش السبائك
التكريم
القطرال

حمي السبائك
النقص
الكلف
المسمار
التسريح المسوس
الكسر
تلوين
تشحير
تشقف
تطريق
الخبيزة
النواية
الفيحة
يزلقفها
رفدة
زيارة هوائية
دخول زائف
نار الغضا
نار التشحير
عمل الفجرة
الحممة
يرشم في زمام
خريطة
المدورة
رشمة
برادة
الغسل
التقطير

التصعيد
التكليس
التحليل
التشميع
التركيب
المزاج
التفليس
تركيب الفرد من الأزواج
مشقشقا
المتدال القنوت والزوايا
التربيع
قطعة مشرخة
قطعة مطوية
قطعة مسمرة
قطعة مكسورة
قطعة مستوية الصفحة
جسومة الحديد
درس القطعة
تجريش القطعة
الفايد
الألقاب = الضرائب
معونة دار السكة
طابع الفجيرة
الحما
لصاقة الذهب
الوسخ والكحولة
الحل بالماء والرمل
تجسيد

تزجيج
تنشيف
تسبيك
تسوط
تلزق
الربعي
الخمسي
السداسي

3 – 6 – ألقاب الحرفيين والعاملين في دور السكة والصياغة وسوق الصرف

التاجر
الرهاطي
الصيرفي
السمسار
الوقاف
مقدم السوق
الناظر
الأمين
الشاهد
العدل
الجراب
الخلاص
السباك
المداد
الطراق
النقاد
الفتاح
النقاش
السكاك
الطباع
العلاف
الوقاد
المعلم
العامل
المتعلم

4 – دلالة المصطلح العلمي والتقني

تم الوصول إلى فهم مدرك المصطلحات العلمية والتقنية عبر مجموعة من القنوات:

4–1– تميزت بعض المخطوطات في إصرار المؤلف على تقديم تفاسير للمصطلحات كما هو الحال بالنسبة لمؤيد الدين إسماعيل بن الحسن بن علي الطغرائي (توفي سنة 515هـ/1121م) في كتابه مفاتيح الرحمة في أسرار الحكمة، إذ وضع الباب الأول في "بيان الاصطلاحات والرموز وبيان المراد بها وكيف يصرف ذلك".

ونجد عند حمدون الجزنائي تفاسير لبعض المصطلحات ففي الفصل الخامس من كتابه الأصداف المنفضة وعند حديثه عن طرق تجريب سبائك الفضة والذهب الواصلة إلى دار السكة، يتطرق إلى آنية الكوجة، فيقول: "ثم يوضع ذلك المقطوع في كوجة وهي وعاء صغيرة يصنع من دقيق عظم ما ذكي أو نحر من ذوات الأربع وأفضله عظم الغنم يحرق ذلك العظم ثم يدرس ناعما بمهراس أو نحوه ثم يغربل ويعجن بطناش وهو أدقة وبدله إن فقد أمزاوغ وقدمت عليه لرطوبة فيها وقيل تصنع من دقيق العظم المذكور من جبس مدقوقان ثلثها عظم وثلثاها جبس".

ونجد نفس التفسير في كتاب الدوحة المشتبكة للحكيم أبي يوسف.

وقد يقدم بعض المؤلفين تفاسير للعمليات التعدينية كما هو الحال بالنسبة للمزاج، إذ يقول الطغرائي إنه " الكيفية المتوسطة بين كيفيات المختلطات الحاصلة من تفاعل العناصر بعضها في بعض وكسر كل منها شوكة الآخر".

4–2 – نجد بعض المصطلحات دقيقة في معناها بحيث تختزل مجموع عمليات معالجة المعادن وحصرها.

الغسل + التطهير + التنكيس

التقطير

التصعيد

التكليس

التشبيب

كما أطلق على فروع الألوان مصطلح الفروع المركبات

4–3– إن كيفيات مزج أو تصفية أو صهر المعادن تكشف عن معنى المصطلح، فقد إستعمل العرب مثلا معدن الرصاص بمشتقاته في ميادين عدة واستطاعوا أن يحددوا لكل تركيبة مصطلحا خاصا.

الإثمد	أنواع الذهب
الأسرب / الرصاص الأسود	التبر
الرصاص	الذهب
الرصاص الأبيض	الإبريز
الآنك	الدقات

4–4– استنباط مدلول المصطلحات التقنية من خلال فهم العملية الكيميائية المراد تفسيرها داخل النص وتتعلق هذه المصطلحات على الخصوص بمؤلفات دار السكة، أو فهم المصطلح من خلال فهم السياق ومطابقة فهم الدلالة المصطلحية مع النتائج التي يتوصل إليها المؤلف فمثلا نجد في كتاب الدوحة المشتبكة النص التالي:

" فإن عَسُر وجودُ جسم يساوي عظمه عظم المختلط، فتزنه بصنج في الهواء في ميزان محكم، ثم تزيله من الميزان وتملأ كفته بالماء، ثم تضع الممتحن في الكفة فيطلع بعض الماء وترجح الكفة، فتقابله بالصنج في الكفة الأخرى، فتكون هذه الصنج أكثر من صنج الهواء، إن كان جوهرها أخف من جوهر الذهب كان الحاصل من الماء معها أقل ومع الممتحن أكثر، وإن كان جوهرها أثقل من جوهر الذهب كانت أكثر من صنج الهواء، ثم تحفظ نسبة ما بين الوزن في الهواء والوزن في الماء من زيادة الصنج وقلتها، وتفعل ذلك بجسم خالص من الذهب إن كان الممتحن ذهبا أو من الفضة إن كان فضة، فإن استوت النسبتان فهو خالص، وإن اختلفتا فهو مغشوش بقدر الاختلاف. وبهذه الطريقة تمتحن سائر المعادن؟؟

ونجد في نفس المنحى نصّا عند الجزنائي في كتابه الأصداف المنفضة.

وكانت هذه الطريقة تستعمل تجربة وعيار سبائك وحلي الذهب والفضة لمعرفة نسبة تركز المعدنين بناء على كثافة

كل معدن

الذهب : غ / $19{,}3\ cm^3$

الفضة : غ / $10{,}52\ cm^3$

النحاس : غ/ $8{,}92\ cm^3$

وعلى هذا فحجم السبيكة أو القطعة النقدية يتضخم كلما قلت نسبة تركز الذهب في المعدن.

5) المصطلحات = تطور الدلالة.

5 – 1 – إن هذه المصطلحات مرتبطة بمجال التفكير وتقنيات الإنتاج ونلاحظ أن بعضها استعمل خلال قرون طويلة، سواء بالمشرق أو المغرب ويتعلق الأمر أساسا بالمعادن الأساسية كالذهب والفضة والنحاس، والزئبق، والأسرب، والرصاص، والآنك المحروق، والإقليميا، والكبريت، والتنكار، والميلق، والشب ، في حين أن مصطلحات أخرى ظلت مغربية صرفة لأصولها الأمازيغية، ويتعلق الأمر بأمزاوغ، وأركوس – وأطناشر، التي استعملت بالخصوص في مناطق جبال الأطلس الكبير والصغير.

5–2– إن بعض المصطلحات التقنية المرتبطة بعمليات التعدين اختلفت أسماؤها باختلاف المناطق وذلك راجع إلى بعض التباين في طرق الصهر والتعدين نظرا لاختلاف المكونات الكيميائية للمعادن المعالجة.

فمثلا عملية تصفية الذهب تسمى عند الهمداني الدواء وعند ابن يعرة تراب التعليق وعند الحكيم أبي يوسف والجزنائي مصطلح الشحيرة (عملية La cémentation).

فالذهب الوارد على المغرب يختلف في مكوناته الكيميائية عن الذهب المستعمل في مصر، وهذا الاختلاف يؤدي إلى تباين كيفيات (Les procédés) تصفية الذهب، فيستعمل الزئبق والشحيرة في المغرب في حين كان ذهب مصر يحتوي على نسب هامة من الفضة كان يقتضي عزلها عن الذهب بواسطة طرق صهر أخرى.

وأمكن حصر ما يقارب 15 طريقة لتصفية المعادن النفيسة في العالم العربي الإسلامي على الأقل ما بين القرنين 4هـ و10هـ.

5–3– إن بعض المصطلحات المستعملة بالمغرب تغيرت بفضل الاهتمام الذي أصبح يحظى به بعض المعادن ونذكر على سبيل المثال:

الأطرون / النظرون = Nitrate de potassium
sel de l'acide nitrique

فلاحظنا أن هذا الملح استعمل على الخصوص في العصر السعدي تحت مصطلح الأطرون إلى بداية القرن 17م حيث بدأ اهتمام الدول الأوربية بهذا المعدن وأصبح يذكر في المصادر خصوصاً Les sources inédites تحت إسم ملح البارود.

5-4- إن بعض المعادن الهامة استعملت منذ زمن طويل بالمغرب كما هو الحال بالنسبة للتوتيا (كاربونات الزنك) والتي كانت مادة مهمة في صنع النحاس الأصفر الذي كان يصدر من المغرب نحو افريقيا السوداء على الخصوص وتذكره المصادر على الأقل منذ القرن 7هـ/13م، لوجود منجم لهذا المعدن بالقرب من تامدلت (تمزكادوين)، واستعمل معدن التوتيا تحت اسم "حلول" كما ورد ذلك عند السوسي في كتابة المعول (الجزء 8. ص41).

5-5- إن بعض مصطلحات المعادن تغيرت لأسباب يصعب تحديدها، فقد استعمل مصطلح الرصاص الأبيض للدلالة على القصدير Etain، إلى أن عوض هذا الأخير المصطلح الأول و لم يعد يذكر اسم الرصاص الأبيض.

إن العديد من المصطلحات التقنية المتعلقة بمعالجة المعادن وحصرها وسبكها أو تلك المتعلقة بالأحجار الكريمة أو بالألوان، يمكن استعمالها في قواميسنا المعاصرة، فهي مصطلحات دقيقة ومعبرة واستعملت في العالم العربي الإسلامي لعدة قرون؛ ونجد حاليا في عدة تآليف ترجمة العديد من الكلمات من اللاتينية إلى العربية في حين استعملت نفس المصطلحات إبان عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

La malachite $Cu_2Co_3(OH)_2$	نجد مقابلا له	الذهنج
Plomb argentifère		الإثمد
Etain		الرصاص الأبيض القصدير
Scorie		الأشكورية
Arsenic		الزرنيخ
L'azurite		السادنة
Hématite(Fe_2O_3)		الخماهان حجر الصرف
Turquoise		الفيروزخ
Substance métalique		الفلز
La gemme		الجوهر
La cire noire		الزنجفر
Bismuth		النرختيشا

ينطبق نفس الشيء على الألوان، وأسماء الحلي

(6) خاتمـــة

لقد أمكن حصر ما يزيد على 400 مصطلح تمس السك والصياغة والكيمياء، وهذا عمل أولي ومـــا زالـــت تعتريه نواقص عدة،ويتطلب العمل في هذا الميدان الإلمام بالمعارف الكيميائية والفيزيائية إلى جانب المعـــارف اللغويـــة والتاريخية، في إطار مجموعات بحث متداخلة الاختصاصات.

(7) المصادر المعتمدة

تم جرد لوائح المصطلحات المقترحة انطلاقا من بعض كتب الجغرافية والكيمياء والتعدين والسكة.

(7 — 1) كتب الجغرافية

– ابن خرذاذبه ، المسالك والممالك
– اليعقوبي ، البلدان
– ابن حوقل ، صورة الأرض
– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
– المسعودي، مروج الذهب
– الرازي، وصف الأندلس
– البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيـــة والمغرب
– العذري، ترصيع الأخبار
- مؤلف غير مذكور، كتاب الاستبصار
– ابن غالب، كتاب فرحة الأنفس
– الزهري، كتاب الجغرافية
– ابن سعيد، كتاب الجغرافية
– الإدريسي، نزهة المشتاق
– العمري، مسالك الأبصار
– ياقوت الحموي، معجم البلدان
– الحميري، كتاب الروض المعطار
– القزويني، آثار البلاد

(7 — 2)كتب الأحجار الكريمة والكيمياء والمعادن

[مخطوطات]

– أحمد التيفاشي (6هـ/12م)، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار
– ابن الحاج الحسني، الدوحة المشتبكة في المعادن المنطرقة
– مؤيد الدين الطغرائي (6هـ /12م): مفاتيح الرحمة في أسرار الحكمة (تكوين الألوان).
– عز الدين الجلدكي، كتاب البرهان في علم الميزان،
أنواع الدرر عن إيضاح الحجر
– محمد الغمري، الرسائل الغمرية
11 رسالة في علم الكيمياء

- ابن رحال المعدني (12هـ/18م)، ضمان الصناع

- عبد السلام الرجراجي (1181هـ/1767م)، خلاصة الدرر في آلة الحجر (تختص هذه الرسالة بوصف الآلات والأواني المحتاج إليها في صناعة الكيمياء مع بعض الرسوم).

- مؤلف غير مذكور، تأليف في علم التركيب وأسرار فوائد الصنعة (الأصباغ والعقاقير)

- مؤلف غير مذكور، تأليف الخليل للخليل.

رسالة في الكيمياء التطبيقية

- مؤلف غير مذكور، الدوحة المشتبكة في أحكام الجواهر المنسبكة

(7 – 3)كتب السكة

- الهمداني، كتاب الجوهرتين المائعتين من الصفراء والبيضاء

- ابن بعرة، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية

- أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة

- حمدون الجزنائي، الأصداف المنفضة عن أحكام علم صناعة الدينار والفضة.

المصطلح العلمي بين
التأصيل والتجديد

د. إدريس نقوري(*)

1- لا يزال التعريف المشهور الذي أورده الزبيدي في معجمه: " تاج العروس" (مستدرك مادة صلح) للمصطلح: " اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص)، صالحا ليكون منطقا لمناقشة قضية المصطلح العلمي في تاريخنا الفكري والحضاري وفي واقعنا المتعين. والواقع أننا عندما نبحث مسألة تأصيل وتجديد المصطلح العلمي في لغتنا العربية نصطدم بمجموعة أسئلة وإشكالات تتصل كلها بالموضوع الذي تقترح هذه الندوة معالجته من زوايا مختلفة. وإذا انطلقنا من تعريف الزبيدي ومن التعريفات الأخرى التي ظهرت بعده، تبدت لنا صعوبة أولى وهي أن العلماء والطوائف المعنية بأمر المصطلح لم يتفقوا دائما على مبادئ قارة تضع الأسس العلمية الدقيقة لبناء المصطلح العلمي كما أنهم لم يتوطأوا دائما، بادئ ذي بدء، على مصطلح واحد للمدلول الواحد. فكثيرا ما نلاحظ تحيز كل عالم - أو مجموعة علماء- لمصطلحه الخاص، أو لمجموعة الاصطلاحات التي اقترحها ووضعها ثم تبناها تلامذته. وعلى الرغم من الاستقرار النسبي الذي عرفه المصطلح العلمي، فإن الخلاف بقي قائما بين العلماء حول استعمال مصطلح بعينه لأسباب كثيرة. ولعل الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة - في نطاق اللغة والنحو- خير دليل على ذلك.

حدث هذا قديما، أما الآن فحدث ولا حرج، فإن تعصب كل عالم - وكل دولة عربية- للغته الاصطلاحية يثير تساؤلات كثيرة تمس قضية المصطلح في الصميم وتشيع الالتباس والغموض بدل التفاهم والوضوح، ذلك أن المتلقي يجد نفسه أحيانا أمام مفردات مختلفة يراد بها دلالة واحدة.

والحالة الثانية تتمثل في تعدد اللفظ الواحد واستعماله بدلالة مختلفة في أكثر من علم، مثل الخبر، النعت، الصناعة... وغيرها من المفردات التي تفيد دلالة محددة في النحو وفي النقد والبلاغة غير تلك التي تفيدها في علوم أخرى، كالإعلام مثلا...

ومن المعروف أن كثيرا من العقبات التي تواجه المصطلح العلمي في وقتنا الراهن، واجهت أسلافنا في الماضي في عصر التدوين والترجمة واستيعاب معطيات الحضارات المعاصرة لهم. فقد اضطروا، كما هو واضح،

(*) كلية آداب عين الشق / الدار البيضاء

في كتب التاريخ والأدب والحضارة، إلى النقل من السريانية والفارسية والهندية واليونانية، وكان للغة اليونان، أثر كبير في تطوير مصطلحنا العلمي والقدح المعلى في إغناء ثقافتنا وحضارتنا. واستعان أسلافنا بعدة طرق لوضع المصطلح العلمي، منها التعريب ومنها تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، ومنها الترجمة ومنها الاستعانة بالاشتقاق ومنها استغلال المجاز والنحت والتركيب المزجي والمصدر الصناعي... الخ

وكل هذه الطرق وغيرها وسائل علمية لجأ إليها القدماء لتأصيل المصطلح العلمي وحل المعضلات التي واجهتهم في عصرهم، على الرغم من معارضة علماء الاحتجاج الذين حرصوا على نقاوة اللغة العربية وعلى الاحتكام إلى المقاييس التي وضعوها وطالبوا الناس والشعراء والكتاب بالالتزام بها، وعلى الرغم من الخلاف الذي أثير حول لغة القرآن الذي تضمن ألفاظا دخيلة.

2- إذا كان الأوائل قد اجتهدوا في البحث عن حلول للمشكلات اللغوية والاصطلاحية التي اعترضتهم، فإن من حق الأجيال المعاصرة الاستفادة من تجارب السابقين ومن تجارب المرحلة الحضارية الراهنة. ومن الواضح أن عنوان الندوة يركز على التجربة المعاصرة من خلال الجمع بين المصطلحية والمعجمية واستغلال الأولى في بناء الثانية؛ ذلك أن الخطاب الاصطلاحي أصبح يحتل مكانة مرموقة في وقتنا الراهن، ولا شك أنه عنصر فعال في صنع المعجم. والسؤال الذي تطرحه الندوة هو كيف السبيل إلى تأسيس معجم عربي حديث بمصطلحات حديثة؟ وهذا السؤال يفتح أمامنا ثلاثة خيارات أو حلول:

- الأول: أن نتجه في صناعة المعجم العربي الحديث اتجاها تاريخيا يفيد من تجربة الأوائل ويحرص قبل كل شيء، على أصالة العربية ومطابقة المعجم الحديث لمقتضيات الفصاحة اللغوية والسليقة العربية؛ وهذا يعني وضع مقاييس جديدة لعصر احتجاج جديد يدعم القديم ويزكيه.

الثاني: أن نتجه في بناء المعجم العربي الحديث اتجاها تجديديا يحاول مواكبة التطور العلمي المتسارع واستيعاب الطفرة التكنولوجية الهائلة التي تعم العالم حاليا. وقد يتطلب منا هذا الاختيار التساهل في التعامل مع لغتنا ومع وضع مصطلحاتها.

والثالث: اتجاه توفيقي، يحرص على الاستجابة لمتطلبات الأصالة اللغوية وعلى تكييفها، في الوقت ذاته، لشروط المرحلة الحضارية.

إن المواقف الثلاثة المشار إليها أعلاه تعكس الوضع السائد الآن في الساحة العربية في مجالات مختلفة من مجالات الحساسية العلمية التي لا تنفصل طبعا عن الخلفيات الفكرية والاقتناعات الإيديولوجية: هناك فريق الأصالة الذي يدافع عن لغة عصور الاحتجاج وقد يتنازل ويقبل بعصر احتجاج جديد في اللغة: مصطلحا ومعجما...، وهناك فريق المجددين الذي لا يرى ضيرا في توسيع اللغة العربية وفي إثرائها بمفردات جديدة أملاها التطور ودعت إليها الحاجة؛ ويعتبر لغة الإعلام، مثلا- أو لغة الجرائد، كما سماها البعض- بما تتضمنه من ألفاظ واصطلاحات جديدة، سبيلا من سبل تطوير اللغة وتأهيلها لاستيعاب تجربة العصر

المتنوعة والخصبة علميا وحضاريا.

ويوجد إلى جانب الفريقين، طائفة ثالثة تؤثر التوفيق والاعتدال وتنادي بالمصالحة بين الماضي والحاضر وتصر على التمسك بالهوية والأصالة دون أن تنسى أنها تعيش في عصر العلم والحاسوب والصورة وغير ذلك من منتجات التكنولوجيا.

3- إن الموضوع، كما سبق القول، ينصب على الممارسة الاصطلاحية والمعجمية الحديثة ولكن هذا لا يمنع من طرح قضية المصطلح العلمي في إطارها الحقيقي ومن مناقشة العلاقة بين المصطلحية وبين المعجمية في نطاق جدلية الأصالة والتجديد، وهما، كما هو متفق عليه، وجهان لعمله واحدة.

إن تراثنا المعجمي بما يمثل من تجارب ومن اجتهادات علمية، وبما يقترح من منهجيات واتجاهات ومدارس، يعد رصيدا ثمينا وأساسا متينا لصناعة المعجم العربي الحديث. فهو يشمل أنماط المعاجم التي توصل أسلافنا إلى صنعها: معجمات الألفاظ، معجمات المعاني، معاجم تأصيلية أو تأثيلية (وتسمى أيضا معاجم اشتقاقية)، معاجم تاريخية ومعاجم متخصصة: معاجم العلوم والمصطلحات، وغيرها من المؤلفات التي تكون ثروة كبيرة لغوية واصطلاحية.

تضم معجمات اللغة والمعجمات المتخصصة عددا كبيرا من المصطلحات العلمية التي أصلها الأقدمون وأصبحت جزءا من تراثنا العلمي واللغوي. وإن اعتماد هذه المصطلحات في صناعة المعجم العربي الحديث لمن شأنه رفد تجربتنا الجديدة وبناؤها على قواعد صلبة.

وهذه الخطوة تنسجم مع الاتجاه الأول الذي يدعو إلى ضرورة الارتباط بالتراث اللغوي والعلمي وتعزيز استمراره وبعثه.

أما الخطوة الثانية فتفرض دراسة وتقييم المصطلحات الحديثة، بعد إحصائها وتبويبها ورصد مظاهر الأصالة فيها، بهدف الإفادة منها في صناعة المعجم العربي الحديث الذي ينبغي أن يتحقق على مراحل ومن خلال دراسات معجمية متخصصة تتناول مختلف فروع البحث المعجمي والاصطلاحي.

ونذكر في هذا السياق، المشروع العلمي الطموح الذي دعا إلى إنجازه د. أمجد الطرابلسي، ويتعلق بالمعجم التاريخي للنقد العربي والذي تمكن الأستاذ البوشيخي بمجهوده الخاص وإصراره العلمي المشكور، من قطع شوط محمود في تحقيقه بمساعدة ثلة من طلبته.

ولا شك أن صناعة المعجم العربي الحديث بواسطة المصطلحات الحديثة ممكنة بشروط منها تشكيل مجموعات فرق عمل تسهر على إعداد دراسات وأبحاث وتنسق عملها لبلوغ الغاية المرجوة. فعلى سبيل المثال، يلاحظ المتتبع للحركة الأدبية الفكرية في بلادنا انتشار اصطلاحات جديدة في ثقافتنا المعاصرة: في الدراسات الفلسفية، في النقد والبلاغة، وفي اللسانيات، فرضها استعمال العلوم والمناهج المعاصرة مثل البنيوية والسيميائيات والعلوم البحتة وعلوم الإعلام...، حتى إنه ليمكن القول إن اللغة المعاصرة والحديثة تحولت إلى لغة اصطلاحية بسبب كثرة العلوم وتداخلها وتعاضدها. ولذلك يجب الانتباه إلى ما تنطوي عليه صناعة المعجم العربي الحديث من مزالق إذا لم يتم الاحتراز من تفشي، مفردات

وتغييرات لغوية واصطلاحية في لغتنا، تضعنا مجددا، أمام بعض المعضلات التي واجهت علماءنا ومنهم أصحاب المعجمات في المراحل السابقة.

فالتحدي الذي تطرحه صناعة المعجم (Lexicographie) العربي الحديث من خلال إشكالية تأصيل وتجديد المصطلح العلمي، يتصل بالتدفق "المعلوماتي" وبالمنافسة الخارجية، وهي ليست لسانية فحسب، التي أخذت تغزونا، في عقر دارنا وتملأ العين والسمع في مجتمعاتنا المعاصرة.

4- إن اللغة العربية، أو أية لغة أخرى، ليست أحرفا فقط، بل هي أبنية وصيغ وتراكيب وأساليب وأنماط تعبير تتخللها عبقرية خاصة وتدعمها شخصية متميزة هي الشخصية اللغوية التي أفاض العلماء من نحاة ولغويين وفقهاء وشعراء ومفسرين في تعداد خصائصها والتّغني بجمالها وروعتها. ولا يكفي أن نقول إن للغتنا ربّاً يحميها ولا أن نقتصر على ترديد تمجيد ماضيها الزاهر وفتوحاتها الباهرة، ولكن يجب أن نتنبه إلى ما يحدق بها من أخطار وما يتربص بها من دوائر. وإن تفكيرنا في صناعة المعجم العربي الحديث يحتم علينا أولا وأخيراً، الوعي الكامل والعميق بالإشكاليات والرهانات التي يفجرها هذا المشروع الذي إذا أريد له النجاح الكامل فلا بد أن يدرس دراسة علمية متأنية، تفحص أبعاده المختلفة: لغوية وفكرية واستراتيجية، وترسم خطة عملية لإنجازه في إطار شروطه العلمية والحضارية وبرؤية تحرص على التوفيق بين مطلبي الأصالة والتجديد وعلى حماية اللسان العربي: لغة ومصطلحاً وتركيباً، من الأخطار التي واجهته في العصور الماضية أيام الأمويين والعباسيين، وفي بداية النهضة العربية الحديثة.

أما وضعية اللغة العربية في مرحلتنا الراهنة فتستوجب من جميع القائمين عليها والمشتغلين بها، حرصا مضاعفا، ووعياً متواصلاً بالتحديات التي تعترضها وبالغد المشرق الذي ينتظرها إن هم اجتهدوا في خدمتها وأفادوا مما يتيحه العصر من وسائل وأدوات.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
مكتب تنسيق التعريب
الرباط

أعمال
مؤتمر التعريب السابع
لإقرار
مشاريع المعاجم
ونظم الكتابة العربية العلمية

الخرطوم
[illegible]
[illegible]

1995

المحور الرابع

المعجم واللغات الأجنبية

* المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات : أي مصطلح لأي لسانيات ؟

د. مصطفى غلفان

* ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية

د. ليلى المسعودي

*بناء المعجم وتدريس اللغات

ذ. بلقاسم اليوبي

التقرير الختامي لأعمال الندوة

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات

أي مصطلحات لأي لسانيات؟

د. مصطفى غلفان(*)

تقديم:

ينضاف المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات للعدد القليل من المعاجم العربية الحديثة المتخصصة في اللغويات. ويميزه عن سابقيه طابعه الرسمي إذ صدر في تونس سنة 1989 عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. أعده مكتب تنسيق التعريب بالرباط وأشرف على إنجازه جماعة من الكفاءات اللغوية العربية من مصر والجزائر والسودان والسعودية والمغرب وتونس.

لا يتعلق الأمر في هذه الدراسة بفحص تقني للطرق التي اتبعت في صوغ المصطلح من اشتقاق وتوليد ونحت ومعرب باعتبارها أهم الوسائل المتبعة في وضع المعاجم العربية بل إننا سنحاول الإجابة عن الكيفية التي تعامل بها المعجم الموحد مع بعض القضايا المعجمية مثل المادة. ما هي مصادره الأساس في تعامله مع الدرس اللساني العام؟ ما هي السمات النظرية للمصطلحات اللسانية الواردة فيه؟

المصطلح اللساني العربي: أي وضعية؟

الواقع أن وضعية المصطلح اللساني العربي معقدة جدا. "لم تختلف السبل بين الاصطلاحات العربية اختلافها في هذا العلم: القديم الجديد الأصيل الدخيل المتولد الغازي، نعني اللسانيات. والسبب في ذلك أن هذا العلم قد حمل على كاهله كل أسباب التشتت الاصطلاحي بين العرب ثم أضاف إليها عللاً ودوافع تراكمت باقتضاء نوعية المعرفة اللغوية عامة وبمستمليات الدقة اللسانية خاصة"[1].

ومما يزيد في صعوبة هذه الوضعية أن وضع المصطلح العلمي في الثقافة العربية الحديثة يشكل جزءا من قضية مصيرية بالنسبة للأمة العربية من خليجها إلى محيطها هي حركة التعريب في بعدها السياسي والاجتماعي والفكري والثقافي. وقد اختلف العرب في الكيفية التي يجب أن يكون عليها التعريب في مستواه العام، وليس المصطلح إلا زاوية حاسمة منه.

إن اضطراب المصطلح راجع إلى تعددية المناهج المتبعة عربياً في صوغ المصطلح التي تخضع بدورها لمنظور التعريب المتبع في هذا البلد العربي أو ذاك. ومن هذا المنطلق نجد من يصوغ المصطلح العربي مترجماً معناه، وهناك من يعربه، أي ينقله بلفظه الأجنبي مع إخضاعه للوزن والنطق العربيين، ويضع آخرون

---

* أستاذ بكلية الآداب عين الشق – الدارالبيضاء

المصطلح باعتماد الاشتقاق أو التوليد أو النحت، ويرجع آخرون للتراث العربي قصد إحياء ما فيه من مصطلحات. وقد سار على هذه الطرق جميعها كل الدارسين العرب أفراداً وجماعات، مؤسسات وهيئات، تعددت الوسائل والهدف واحد. وقد أدى هذا التعدد في تصور وضع المصطلح "إلى خلق لغات علمية عربية عديدة قائمة الذات"[2].

ولا سبيل لإنكار الحقيقة المتمثلة في غياب أي اتفاق عربي (ولونسبياً) حول المصطلحات اللسانية المتداولة حالياً في الكتابات اللسانية العربية. وهكذا تحولت المصطلحات إلى عائق و "أصبحت مشكلاً قائم الذات عوضاً عن أن تكون مساعداً يقربنا من هذا العلم الدخيل علينا"[3].

لا نريد هنا الخوض في أسباب هذه الوضعية مكتفين بالإشارات السريعة والموجزة لأهميتها :

* اختلاف مصادر التكوين العلمي والمعرفي للسانيين العرب وتوزعهم بين ثقافة فرنسية وإنجليزية وألمانية.

* التفاوت النظري والمنهجي بين المستوى العلمي للسانيين العرب.

* التطور المستمر للبحث اللساني العالمي وظهور المزيد من المفاهيم وهو ما يعني ضرورة توفير مصطلحات لسانية عربية جديدة.

* وجود تراث اصطلاحي نحوي ولغوي عربي يُنْهَلُ منه إما لسد حاجيات الطلب المتزايد وإما لالتباس الأمور على أصحابها.

* سيادة النزعة الفردية –التي تتحول إلى نزعة قطرية– في وضع المصطلح العربي المتخصص وعدم الاكتراث برأي الآخر ولو كان صائباً.

وقد نغني القارئ الكريم عن كل جدل محتمل بشأن ما سبق مشيرين إلى ما يلي:

أولاً: إن المرء ليستغرب لهذا العدد الهائل من الدراسات والأبحاث والتوصيات الرسمية وشبه الرسمية حول المصطلح العربي وكيفية وضعه والمشاكل التي تحول دون انتشاره والعوامل الكفيلة بتدعيم التعريب في بعده الشامل. ويكفي النظر مثلاً في دورية واحدة هي ''مجلة اللسان العربي" التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط لندرك هذا التراكم المعرفي الهام الذي قل نظيره في ثقافات أخرى. ومقابل كل هذا نجد واقع المصطلح العربي يعرف بؤساً استعمالياً ما بعده بؤس.

ثانياً: إن اللسانيين العرب الذين لم يتمكنوا بعد من الاتفاق على تسمية واحدة لمجال تخصصهم لا يمكن أن ننتظر منهم الاتفاق على آلاف المصطلحات. فقد أحصى المسدي حوالي 23 تسمية عربية كمقابل للفظة Linguistique[4]، رغم أنه أغفل في اعتقادنا– مقابلات أخرى مثل تسمية "اللسانية" التي استعملها عادل فاخوري[5].

ثالثاً: باستثناء –قلة قليلة– فإن "المعاجم" العربية المتخصصة في اللسانيات كتباً كانت أو ملحقات ليست معاجم بالمعنى الدقيق، فهي لا تقدم تعاريف محددة كما هو الشأن في المعاجم العادية، بل هي عبارة عن ثبوت بالمصطلحات الفنية أو لنقل إنها قوائم بالمصطلحات اللسانية فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية مع مقابلاتها العربية.

وغير خاف على أحد أهمية المصطلح باعتباره

ركيزة أساسية ودعامة حيوية للممارسة العلمية ذاتها. فليس هناك علم بدون مصطلح. ولهذا السبب أولى العلماء بمختلف مشاربهم عناية فائقة للمصطلح باعتباره مفتاح العلوم. وبهذا المعنى، فإن مسألة وضع المصطلح لا تخص كل مجال معرفي على حدة وكل عالم في مجال تخصصه بل هي أيضاً موضوع علم المصطلح من حيث هو "علم مشترك بين اللسانيات والمنطق وعلم الوجود وعلم المعرفة والتوثيق وحقول التخصص العلمي وينعته الباحثون السوفياتيون بأنه علم العلوم"[6].

وإذا نحن استحضرنا هذه الأوليات أدركنا مدى صعوبة وضع المصطلح اللساني العربي.

مادة المعجم الموحد

يضم المعجم الموحد 3059* مادة لغوية رتبت "ترتيباً ألفبائياً انطلاقاً من اللغة الإنجليزية مع مقابلات فرنسية وعربية. كما زود هذا المعجم بفهرسين عربي وفرنسي مرتبين ترتيباً ألفبائياً ومزودين برقم كل مصطلح كما ورد مرتباً في الإنجليزية"[7].

ومن الواجب التنويه بسهولة الاطلاع على المعجم الموحد واستعماله وذلك بفضل الفهارس العربية والفرنسية المرتبة والمرقمة بشكل يسهل مأمورية مستعمل المعجم أياً كانت اللغة التي ينطلق منها في عملية البحث عن المصطلح.

غير أن المعجم الموحد يبقى في نهاية الأمر عبارة عن ترجمة عربية لقائمة من مصطلحات اللسانية. ولا شك أن في هذا العمل مجهوداً لا يمكن أن يدرك قيمته الحقيقية إلا المشتغل باللسانيات العربية والعامة أو بالترجمة إلى العربية وكل مهتم باللسانيات بصفة عامة.

ما يمكن مؤاخذته على المعجم في هذا الباب هو الاقتصار على وضع المقابلات العربية رغم أهمية هذا الصنيع. لقد غاب الجانب الثاني في معجم متخصص من هذا المستوى وهو جانب التحديد والتعريف. ومن المؤسف أن المعجم الموحد – رغم الإمكانات المادية والكفاءات المشاركة في هذا المشروع الهام- لم يتجاوز ما قامت به معاجم سابقة لاسيما المجهود الفردي لمحمد الخولي ورشاد الحمزاوي. "إن قاموساً مختصاً يكتفي بكشف المصطلحات في ذاتها دون شرح لها ولا ضرب أمثلة لدلالتها لهو محدود الفائدة إذا ما ارتجى منه الناس أن يعينهم على اقتحام حقول المعرفة ولا سيما اللسانيات"[8].

لا يشير المعجم الموحد بالتفصيل إلى المصادر التي اعتمدها اللهم إلا ما يمكن فهمه ضمنياً من خطة العمل التي سار عليها المشرفون، حيث قام -مكتب تنسيق التعريب بـ:

"-مراسلة الدول العربية ومؤسساتها المتخصصة لموافاة المكتب بما يتوفر لديها من مصطلحات في مؤلفات التعليم العالي[9].

وورد في مقدمة المعجم أن مكتب تنسيق التعريب توصل بمجموعة من المصطلحات وردت عليه من بعض الأساتذة أمثال عبد القادر الفاسي وعبد الرحمان حاج صالح وعبد اللطيف عبيد وسعد عبد العزيز مصلوح"[10].

إن ما يستوقفنا هو الإشارة إلى "استخراج المستعمل من المصطلحات في مؤلفات التعليم العالي".

فما معنى مؤلفات التعليم العالي؟ هل هي الكراسات الجامعية أم الكتب الجامعية المنشورة؟ أم ماذا؟.

إننا لا ندري بالضبط طبيعة هذا الجرد للمصطلحات. ما يمكن تأكيده بالنظر للخريطة الاصطلاحية العربية في مجال اللسانيات أن المعجم الموحد لا يجسد واقع تنوع الاستعمالات الاصطلاحية المتداولة في أهم الكتابات اللسانية العربية الحديثة وأشهرها، بل نكاد نجزم أنه لا يمثل إلا النزر القليل منها. إن تنفيذ خطة العمل المشار إليها سابقا يستلزم بكل بساطة أن نجد الآثار الواضحة للمصطلحات اللسانية الرائجة في أهم الدول العربية لاسيما تلك التي بلغ فيها البحث اللساني درجة علمية لا يستهان بها.

إن المفروض في معجم رسمي أن يدرس كل المصطلحات وأن يختار الشائع منها ليتم تعميمها وتوحيد اللسانيين العرب حول استعمالها. فهدف كل عمل اصطلاحي هو التوحيد أولا والابتكار ثانيا. فماذا عن هذا الجانب في المعجم الموحد؟

المعجم والانفراد الاصطلاحي

كنا نريد لهذا المعجم أن يكون أساسا معجما موحدا. بيد أننا وجدناه يضيف متاعب أخرى للقارئ العربي من خلال اقتراحه مصطلحات لسانية جديدة مكان مصطلحات شاعت عربيا. من هذه الاستعمالات الجديدة النحو التقسيمي كمقابل عربي ل 564 grammaire de constituants وهو ما درج على ترجمته عربيا بنحو المكونات.

صحيح أن المبدأ المتحكم نظريا ومنهجيا في هذا النوع من التحليل النحوي المعروف هو التقسيم الثنائي والتراتبي للمكونات. ويبدو أن المشرفين أنفسهم لم يتمكنوا من التخلص من المصطلح المتداول أي "المكونات" خاصة وأن مداخل أخرى في المعجم قابلت 2258 Constituants immédiats بالمكونات المباشرة.

ومن المقابلات التي خرجت عن المألوف مقابلة المصطلح 801 Distribution وما تفرع منه باللفظ العربي استغراق كما في 803 distributionnalisme بالنظرية الاستغراقية أوالقسمية، و 802 Analyse distributionnelle بالتحليل الاستغراقي و 804 Loi de distribution بقانون استغراقي.

قد يكون في مثل هذا الصنيع مجهود فكري متميز يشهد لأصحابه بالبراعة اللغوية وحسن الاطلاع بما لهذه المقابلات المقترحة من أساس نظري مستمد من الرياضيات، ولكن المصطلح رغم تقنيته وتجريده المستحبين، له دلالة ترتبط أيضا بالاستعمال العادي وهو هنا لفظ التوزيع مقابل distribution المتداول في كل المعاجم والقوائم المصطلحية العربية.

وانفرد المعجم الموحد بمقابلة مصطلح 2667 Structuralisme وما يتفرع منه من عبارات بلفظ البنوية، ومنه التحليل البنوي والمستوى البنوي والمعنى البنوي وعلم المعنى البنوي وتمارين بنوية. ولا شك أن الصيغة المقترحة تطابق قواعد الصرف العربي جملة وتفصيلا، ولكن الذي يكتب الانتشار الواسع للمصطلح ليس وجهه اللغوي فحسب بل استعماله من قبل المختصين، وتوصيات مؤتمرات التعريب تسير في هذا الاتجاه من خلال النص على "تفضيل الكلمة

الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة"[11] ومن أمثلة الانفراد الاصطلاحي في المعجم الموحد نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

605 Co-occurrence = تواقع، والمألوف: توارد

511Complementizer = المحمول بـه، والمألوف مصدري.

984 Grammaire d'états finis= نحو المراتب النهائية.

19 Acceptabilité = استحسان.

2907 inacceptable = غير مستحسن.

89agrammaticalité = عدم الاستقامة (عدم السلامة من اللحن).

935Linguistique explicative = اللسانيات التعليلية.

936 Linguistique Explicative diachronique = اللسانيات التطورية التعليلية.

509 Distribution complémentaire = التعاقب بالتنافي، والشائع هو التوزيع التكاملي.

92 Agreement =توافق والشائع مطابقة أو تطابق.

167 Metalangage = وضع ثان والمألوف ما وراء اللغة.

1675 Métalinguistique =خاص بالوضع الثاني أو خاص بالتحقيق في اللغة.

1622 Proposition principale = الجملة المحمول عليها.

1741 morphème/moneme = دالة نحوية أو عنصر دال.

1745 Analyse morphologique =تحليل إلى دوال.

1709Modalité= حكم الكلام [إثبات، نفي استفهام تعجب] ومعاني النحو.

1708Contenu modal = المعنى الحكمي للكلام.

1738 Statut de la phrase = حكم الكلام.

1411 Intuition = وجدان.

1568 Signe linguistique = علامة الدليل اللغوي.

506 Compétence = الملكة اللغوية.

1132 Grammaticalité = السلامة النحوية.

وبذلك نضيف متاعب جديدة للقارئ العربي. ولا شك أن تعدد المساهمين في المعجم واختلاف وجهات نظرهم ومستويات تكوينهم اللساني ساهم في وجود نوع من عدم التجانس والتماسك في التعامل مع المقابل العربي.

والواقع أن هذا التضارب والتنوع في المصطلحات كان من بين الملاحظات التي وجهت للمعجم وهو بعد عبارة عن مشروع. جاء في دراسة تقويمية لمشروع المعجم أن "الترجمات المقترحة للمصطلحات اللغوية قد تنوعت بل تضاربت أحيانا وانطلقت في تنوعها هذا من اجتهادات فردية أو مدرسية أو إقليمية جعلت من العسير على القارئ العربي في المشرق والمغرب أن يتابع نتاج أخيه متابعة تخلو من العناء والمشقة، وصار من الصعب عليه اختراق حاجز البحث للوصول إلى المضمون المراد"[12]. إن مهمة مكتب تنسيق التعريب من خلال المعجم الموحد أن يضبط عملية تعريب المصطلح وينسق بين الاقتراحات المصطلحية.

مصطلحات المعجم بين الإبداع والاستعادة

تشكل المصطلحات السابقة –وغيرها مما يضيق

المقام بذكره- إبداعا متميزا يعكس مجهودا جديرا بالتنويه والتقدير. غير أن في المعجم الموحد أيضا مصطلحات تم استعادها من التراث اللغوي العربي القديم إما مباشرة وإما بكيفية غير مباشرة. ويلاحظ القارئ أن المعجم غالبا ما يقابل بعض المصطلحات معلقا عليها وهو "عند العرب كذا".

والحقيقة أن بعض مداخل المعجم الموحد قد تربك القارئ من خلال إحالاتها لمصطلحات لقوية قديمة نتيجة التأويل والقراءة التي مارسها المعجم على التراث اللغوي العربي من حيث هو مصطلحات وتصورات في ضوء المصطلحات اللسانية الحديثة. وهكذا يقابل المعجم بعض المصطلحات الجديدة بجملة من المصطلحات العربية القديمة التي لا تخلو من غموض والتباس. جاء في المعجم الموحد:

20 Auxiliaire = فعل مساعد (الأفعال الناقصة والنواسخ).

41 Actualization و = Réalisation = تأدية الحرف أو إخراج الحرف في التراث.

466 Cohesion = ترابط (شدة الاتصال وعدمها عند النحاة العرب).

487 Comment = خبر الجملة في النحو.

515 Fragement complétif = جملة محمولة (لها موضع من الإعراب).

580 Contexte situationel = مقتضى الحال.

658 Declarative mood = خبر في مقابل الإنشاء.

770 Diptote غير منصرف (الممنوع من الصرف).

928 Expansion فضلة (كل ما يزاد على المسند والمسند إليه في مقابل العمدة).

1038 Friction = احتكاك، تسريب عند ابن سينا رخاوة عند النحاة والقراء.

1040 Inflexion vocalique = إتباع (الإمالة في العربية نوع منه).

1090 Cas génétif = حالة الإضافة (مضاف ومضاف إليه).

1117 Gnomic present tense = صيغة الثبوت، مضارع للدلالة على العادة والتكرار.

1468 Kineme = وحدة الإشارة الجسدية، الحركة في مقابل السكون في النحو العربي.

1501 Langue = لغة، لسان عند سوسور أو الوضع في مقابل الاستعمال عند العرب.

1508 Larynx = حنجرة (أقصى الحلق عند العرب).

1661 Voyelle neutre مصوت محايد، مصوت مخفى عند العرب. وتكررت الملاحظة نفسها بصدد اللفظ الإنجليزي 1693 Middele vowel و 1820 Neutral Vowel مصوت وسطي مخفى عند العرب.

1746 Morphemics = علم الصرف (عند العرب).

2526 Shifter = متحولة المبهم في النحو العربي.

2865 Topicalisation = التحديث، الابتداء في النحو العربي:

ولا يهم أن تكون المقابلات المقترحة أو على الأصح هذه التأويلات سليمة أو خاطئة ولكن الأمر يتعلق بطبيعة المعجم المتخصص نفسه الذي يجب أن

يتوخى الضبط والدقة بعيدا عن كل التباس فكري أو لغوي.

إن مقابلة Topicalisation بمصطلح الابتداء فيها من الناحية اللسانية كثير من التبسيط الذي لايسمح بفهم الطرح اللساني الحديث لمثل هذه الظواهر اللغوية في العربية وغيرها. إن هذا المصطلح على جانب كبير من التعقيد كما بينت ذلك الأعمال اللسانية العربية ذاتها.

ويقترح المعجم مقابلة Semantics 2488 بعبارة علم المعاني، عوض علم الدلالة وواضح أن عبارة علم المعاني تحيل في الثقافة العربية لعلم المعاني كرديف للبيان والبديع.

وقد نتج -والحق يقال- عن مقابلة معنى Sémantique نوع من التناسق والانسجام في صوغ عبارت اصطلاحية أخرى تنتمي لنفس الحقل المفهومي، غير أن عبارات أخرى كشفت عن النقص في هذا الاختيار ويتعلق الأمر بالمداخل Triangle sémantique التي قوبلت بـ: المثلث الدلالي للمعنى وعلم المعاني العام 1079 الذي أردف بعلم دلالة المعاني و Sémantique linguistique 1567 الذي قوبل بعلم المعاني اللغوي.

إن مثل هذا الصوغ لاينسجم والدقة المتوخاة في معجم متخصص، فلماذا تم استدعاء الدلالة مجددا عندما اقترح المعجم عبارات مثل "نظرية الحقول الدلالية" 2478 و "حقل دلالي" 2477 و "ثنائي الدلالة" 325 و "نظرية ثنائية الدلالة" 827و "أحادية الدلالة" 1732 و "مجال صرفي دلالي 1758 و "تطور شبه دلالي" 2265 وتحول دلالي 118؟

ففي هذه المداخل كان بالإمكان استعمال لفظة "معنى" مما يبين بوضوح أن مقابلة "Sémantique" بالدلالة هي أكثر ألفة وشيوعا وانسجاما من حيث صوغ المصطلح اشتقاقا ونسبة وهذا هو الأساس في وضع المصطلح العلمي. ولقد كان للمعجم في هذا الباب اجتهاد مشكور عليه حين أبدع أحيانا، بعيدا عن قائمة المصطلحات النحوية القديمة وذلك حين قابل Antécédent 168 بالمعود إليه متفاديا المقابل العربي "السابق أو المقدم" وهو الشائع في الكتابات اللسانية العربية المتخصصة، فلماذا لم يعمم المعجم هذا النمط من المصطلحات تفاديا لكل التباس؟.

والواقع أننا لانتفق مع ماتذهب إليه بعض توصيات مؤتمرات التعريب حين توصي "باستخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد"[13] إن هذا الأسلوب -في اعتقادي- غير مستحب في وضع المصطلح الذي يجب أن يكون متميزا عن غيره من الاستعمالات سواء منها العادية أو المتخصصة القديمة. إن هذا لا يقلل من قيمة المصطلح العربي القديم ولكن عملية الاستعادة هاته لها جوانب سلبية على القارئ العربي لأن شحن المصطلح الجديد بالدلالة القديمة لايبين الفرق بين الممارسة اللسانية القديمة والحديثة وماتتطلبه من دقة وضبط في التصور والرؤية المنهجية على حد سواء..

إننا لسنا ضد اختيار هذه المصطلحات وإنما المطلوب هو وضوحها وعدم التباسها باعتبار ذلك من مقومات العمل الاصطلاحي نفسه. إن المصطلح هو لغة العلم ولا علم بدون مصطلح دقيق وواضح

ومتميز عن غيره. ويتضح أن المعجم دفع بهذه الاستعادة الاصطلاحية -العودة للمصطلحات القديمة- ليمزج بينها وبين التأويل الذي يعتمد إعادة قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، حيث نجد مقابل Concaténation 387 سلسلة وصل العناصر وضده البناء في نظرية الخليل وأتباعه"، وفي مدخل "Lexia 1522 لفظة في المدرسة الخليلية". ونجد "signifiant 2537 Segment كلمة في النحو العربي، المذهب الخليلي". ما هي نظرية الخليل؟ ومن هم أتباعه؟ ما المقصود بالمدرسة الخليلية؟ وما هو وضع مثل هذه العبارات في معجم متخصص؟.

لن يجد القارئ العادي ولا حتى بعض المختصين جوابا عن مثل هذه الأسئلة. وفي تقديرنا أن في مثل هذا الكلام إحالة لتصور أحد أبرز المساهمين في المعجم الموحد(14) الذي كان أثره واضحا في صوغ عدد لايستهان به من المصطلحات اللسانية الواردة في المعجم الموحد بل وفي توجيهه نحو الشكل الذي جاء عليه.

اضطراب النسق الاصطلاحي:

لم يسلك المعجم الموحد طريقا واحدا لمقابلة المصطلح اللساني باللفظ العربي. ولا يكفي أن تكون لدينا قائمة بالمصطلحات كما مر بنا في الملاحظات السالفة، ولكن الأهم أن يكون لنا قواعد نسقية في صوغ هذه المصطلحات بشكل يضمن نوعا من الاتساق والأناقة والمرونة في استخراج المقابل المناسب. ونقدم بعض الأمثلة الواضحة في هذا الباب: فالسابقة A قوبلت أحيانا ب "لا" كما في: لامقطعي 246asyllabic، لا أصلي athematic 250 لامنبور atonic 252 لاتركيبي asyntaxic 249؛ وأحيانا قوبلت بـ "عدم" كما في asymetry of organ 247 بعدم التوافق العضوي، وعدم الاستقامة 89agrammatical وأحيانا تمت مقابلة المصطلح بما يعنيه مباشرة في اللغة العربية كما في المصطلح 20asemantic الذي قوبل بـ "محال" بدلا من لادلالي أو عدم الدلالة كما كان متوقعا. وكذلك مقابلة association بالتداعي كما في champ d'association 241 مجال التداعي و associations relation 242 علاقات التداعي. لكن نجد في المدخل 240association etymology تغيير بالتوهم. ولا نفهم السر في التخلي عن المقابل العربي مادام واضحا ولا التباس فيه.

ومن أمثلة عدم التناسق الاصطلاحي وضع مقابل عربي واحد لعدة مصطلحات غربية مثلا: أن اللفظة العربية تركيب قوبل بها: Combinaison 479 و Sytagme الفرنسي و Phrase الإنجليزي 2113 ومنها اشتق تركيب فعلي أو اسمي و568 Construct وقريب منها Construction 570 و Nexus 1821. وبعيدا عن هذا المعنى قابل تركيب Synthèse 2793 ضد تحليل. ونجد عبارة دراسة الانتظام التركيبي في مقابل المصطلح Syntactic 2776 لكن المصطلح Syntagme قوبل بوحدة بنائية، وقوبل 1920 participal phrase بمجموعة اسم الفاعل أو مجموعة اسم المفعول، فهل يكون التركيب والبناء والمجموعة شيئا واحدا؟

إن المصطلح العلمي المتخصص لايقبل إطلاقا هذا النوع من الترادف. إن شرط المصطلح الصحيح أن يكون متميزا عن غيره، غير قابل للترادف إلا إذا كان ينتمي لمجالات معرفية متعددة.

غير أن المعجم الموحد قام بمقابلة عدة مصطلحات بمقابل عربي واحد كما في المداخل التالية Altération 119 تحول، تغيير وChange 411 تحول. وDrift 825 اتجاه للتطور، و Mutation 1777 تحول صوتي و Transmutation 2888 تحول وظيفي و Shift 2588 تحول.

وعلى الرغم مما في هذه المصطلحات من تقارب معنوي ومفهومي من حيث أنها جميعا تدل على التغيير والتحول والتحوير والتطور والتبدل فإن ذلك لايبرر البتة مقابلتها بلفظ واحد هو التحول.

ومن هذا القبيل أيضا أن كلمة "توافق" تقابل Concord530 و Conformité Congruence 541 و Correspondance 622. و Equivalence 893. وقد نتج عن هذا التعدد التباس بعض المصطلحات حيث قوبل: Mot déictique 678 اسم الإشارة و 689 Pronom démonstratif اسم الإشارة منفصل 690 Adjectif démonstratif اسم الإشارة دون تمييز بين ما هو صفة وما هو ضمير إشاري في اللغة الفرنسية. ولا بد من التذكير بأن "مصطلحات علم محدد من العلوم تشكل فيما بينها نظاما لا يحقق الغاية من وجوده ما لم تكن العلاقات المتبادلة بين عناصره متميزة دلاليا ومتجاوبة مع النظام المفهومي للعلم موضوع البحث"(15).

المعجم الموحد:أي مصطلحات لأي لسانيات؟

يضم المعجم الذي بين أيدينا 3059 مدخلا يندرج عدد كبير منها ضمن ما يمكن أن نسميه "مصطلحات عامة" أي التي ليست أساسية بالنسبة للموضوع المبحوث فيه، مقابل المصطلحات الخاصة "أي المصطلحات الضرورية لتمثل النظرية اللسانية وأصولها وتطبيقها بحيث يجب أن تردفي أي مشروع لساني قبل غيرها"(16). ذلك أن عددا وافرا من مصطلحات المعجم الموحد يتناول جوانب عامة جدا في دراسة اللغة تتعلق بالخط والكتابة والنقوش والإملاء والقراءة وتعليم اللغة وأمراض اللغة والترجمة والشعر والبلاغة والعروض ونشأة اللغة وأنظمة سيميولوجية أخرى كما يتبين من الجرد التالي لبعض مداخل المعجم الموحد:

* الخط – الكتابة – النقوش:

بدل خطي 105، عمه الكتابة 91، ألفباء 115 كتابة ألفائية 116، دراسة الكتابة الألفائية 117، كتابة اصطناعية 225، 287 علامة إعجام، 340 كتابة محراثية، فن الخط 368، سديلة 397، محرف 413، خط مسماري 640، كتابة يدوية 641، ألفبائية سيريلية 644، دافنقارية 727، علامة إعجام 737، نظام الكتابة الكلاكوليتية في السلافية قبل استعمال السيريلي 1098، ألفبائية غوتية 118، علم الكتابة الوظيفي 1139، وحدة خطية 1142، خطاطة (علم دراسة الخط) 1143، علامة كتابية 1144، مختلف الكتابة 1174، هيراطيقية (نوع من الكتابة المصرية القديمة) 1182، رمز هيروغليفي 1183، هيروغليفي 1184،معجم لغات متحد الكتابة 1202، متحد

الكتابة 1204، اشتراك في الكتابة 1205، كتابة انطباعية 1272، تصحيح كتابي مغلوط 1415، علامتا الاقتباس 1418، حرف خطي 1517، ربط (في رموز الكتابة) 1539، معامل القراءة والكتابة 1587، مورد الحرف 1600، كتابة مقطعية 1607، حرف عادي 1700، كتابة تمثيلية 1747، كتابة باستخدام الرموز 1869، علم الخطوط والمخطوطات القديمة 1958، قوسان 1976، كتابة عامة (نظام الكتابة باستخدام رموز عامة) 1996، نقش حجري 2043، تهجئة حجرية 2044، كتابة مختزلة 2100، ترقيم 2276، علامة المد 2294، علامة التنصيص 2302، كتابي 2443، استعمال الكتابة المختصرة 2804، علامة مميزة في الكتابة 2848، نقل كتابي 2886، الكلتب 3044، كتابة 3045، نظام الكتابة 3046، لغة مكتوبة 3047.

* الإملاء – القراءة:

تهجئة غير خاطئة 361، تعسر القراءة 835، تعسر الإملاء 837، تهجئة متعددة النطق 1175، تهجئة مشتركة 1203، تهجئة تمثيلية: وحدة كتابية رامزة للفكر 1241، الأمية 1252، الأمي 1253، تهجئة لغوية 1604، نظام التهجئة، النظام الإملائي 1936، لفظة تقرأ طردا وعكسا 1959، هجاء تصويري 2120، كتابة تصويرية 2121، تهجئة معكوسة 2404، تهجئة (قواعد الإملاء) 2620، هجاء تصويري 3041.

* تعليم اللغة:

ثنائي اللغة 315، ازدواجية اللغة 317، الطريقة المباشرة في تعليم اللغات الأجنبية 774، طريقة القواعد والترجمة في تعليم اللغات الأجنبية 1128، ألفبائية تعليمية 1330، برنامج اللغة المكثفة 1356، تخطيط لغوي 1496، توحيد لغوي 1497، تعليم اللغة 1499، حصر في تعليم اللغات 1542، تمرين لغوي 1558، تبليل (تقويم النطق وإعادة البلة) 1605، أحادي اللغة 1722، أحادى اللغة 1725، و2918 متعدد اللغات 1766، نحوتعليمي 2018، المتعدد اللغات 2144 متعدد اللغات 2145، ماقبل تعليم الكتابة 2184، تعليم مبرمج 2230، برمجة 2231، تمارين بنوية 2674، مهارة لغوية 2963.

* أمراض اللغة:

عمه 88، مصاباة أوعمه التركيب 90، عمه الكتابة 91، عمه القراءة 97، حبسة أمهيه 133، عمه الألحان 138، حكلة، رتة 153، حبسة 185، عسلطة 187، عمه لغوي 260، حكلة 833، تعسر عضوي للكلام 834، تعسر النغم 836، تعسر التطويح 839، رطانة حبسية 1454، عسلطة قرائية 1967، حبسة حسية 2506، عيوب الكلام 2607، علم أمراض الكلام 2612، علاج الكلام 2619، منطقة فيرينكا (في الدماغ) 3015.

* ترجمة :

ترجمة آلية 278، اقتراض بالترجمة 369، ترجمة بتصرف 1031، مترجم شفوي 1382، ترجمة شفوية 1383، ترجمة حرفية 1588، اقتباس بالترجمة 1595، ترجمة آلية 1618، ترجمة آلية 1653، ترجمة حرفية 1680، ترجمة فورية 2553، ترجمة آلية 2820، مترجم 2885، ترجمة حرفية 3034.

* الشعر والعروض:

مقطع شعري 367، زحاف 379، الضرورة

الشعرية 1141، سجع 1200، وحدة شعرية 1235، تقطيع البيت 1652، وزن الشعر (بحر)1686، علم العروض 1687، ضرورة شعرية 2138، فن الشعر 2139، شعر 2140، نثر 2249، علم العروض 2254، قافية 2413، كلمة مقفاة 2414، إيقاع 2415.

*** البلاغة والعروض:**

جناس استهلالي 102، صورة بيانية 139، تورية 161، طباق 177، مجاز شائع 378، عكس 421، كناية 909، تعبيري 940، التعبيرية 944، مجازي 978، أسلوب مجازي 979، تعبير /صورة/ بياني 980، صورة بيانية 981، فصاحة 1003، كلام جزل 1015، مبالغة 1222، مجاز شائع 1628، كناية بالسبب 1673، استعارة 1679، مجاز مرسل 1685، استعارة مختلطة 1702، كناية تتريه 1822، مجاز جملة 1969، وجوه التعبير 1970، وصل في البلاغة 2028، تعريض 2197، استعارة 2540، مجاز مرسل 2770، صورة بيانية 2900.

*** نشأة اللغة:**

نظرية البوهرة (نظرية في نشأة اللغة) 341، نظرية المواضعة الأصلية 766، نظرية التعجب في أصل اللغات، 1364 نظرية الأصوات الانفعالية في أصل اللغة 2152، نظرية الترنم في أصل اللغة 2555، نظرية تاتائية 2815، نظرية اليوهيهو 3049.

*** أنظمة سيميولوجية غير لسانية:**

لغة الحيوان 157، لغة اصطناعية 224، لغة اصطناعية 286، لغة الإيماء 332، لغة مصنوعة 569، أنظومة Dia système 754، اصطلاح وثائقي لغة تنظيم الوثائق 807، دراسة أسماء أعلام الأنهار والبحيرات 1219، أيقونة 1236، دراسة الأيقونات 1237، إعلاميات 1317، معلومات 1318، معالجة المعلومات 1320، نظرية المعلومات 1321، لغة اتصال دولي بما فيها اللغات الاصطناعية 1365، وحدة إيمائية 1467، وحدة الإشارة الجسدية 1468، دراسة إيمائية 1469، إيمائية 1696، نظام الاتصال بالإشارات 1997، لغة الإيماء 2539، دراسة أسماء الأماكن 2867، لغة عالمية 2927، رسم الأدلة الحيوانية 3059.

*** مختلفات**

معجم ثنائي اللغة: 316، 403 مركز بروكا، مركز ورنك 404، لغة الثقافة 636، نقل ثقافي 637، علم الضبط الآلي 642، دراسة بيئة اللغة 841، نظرية المعرفة 886 بين لغوي ثقافي 1441، أدب شفوي 1925، محظور 2803، معامل الأمية 1587، عامل ديني 1590.

ولا شك أنه بإمكان القارئ ملاحظة بعض المصطلحات المكررة أو على الأصح المقابل العربي الواحد لأكثر من مصطلح أجنبي وهي ظاهرة يجب تجاوزها لأن المصطلح المقبول هو المصطلح المتميز عن غيره إذ لا مترادف في الصياغة الاصطلاحية. وقد كان بإمكان المعجم الموحد تعويض هذه المصطلحات العامة بمصطلحات متخصصة تمثل مختلف مستويات التحليل اللساني تنتمي لمختلف التيارات اللسانية المعاصرة[17] ذلك أن المعجم الموحد لم يتعامل مع اللسانيات في شموليتها بل ركز اهتمامه على المصطلحات التي تنتمي للسانيات البنيوية كما هو وارد في المعجم. إنها بنيوية تكاد تنحصر في وظيفية مارتيني. وهكذا غابت كثير من المصطلحات

المستعملة في اتجاهات بنيوية أخرى ومصطلحات التوليدية والتحويلية المتداولة عالمياً وعربياً.

معجم مصطلحات لسانية أم مصطلحات صوتية؟

هناك ملاحظة أساسية تتعلق بطبيعة المصطلحات الواردة في المعجم، فهو يقدم عدداً وافراً من المصطلحات الصوتية حتى ليظن القارئ نفسه أمام معجم متخصص في علم الأصوات. والواقع أن عدد المصطلحات التي لها علاقة مباشرة -اشتقاق/ نسبة- بمجال الأصوات فاق تسعمائة (900) مصطلح دون عد للمصطلحات التي ارتبطت بالتحليل الصوتي مثل المتقابلات التمييزية ومتقابلات التباين ومتقابلات التحديد وغيرها من المصطلحات المستعملة في التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي على حد سواء. بل إن بعض المصطلحات ذات المفاهيم المتعددة، لم يورد المعجم إلا الجانب الصوتي منها.

قوبل المدخل 45Addition بإقحام صوت دونما إشارة لاستعمالات أخرى مثل تحويلة الزيادة. وقوبل مصطلح 55 Adjacency باتصال دون أي ذكر لاستعمال شائع هو الآخر في النحو التوليدي التحويلي المعروف Case Adjacency Principle. وتصدق الملاحظة ذاتها على المداخل التالية: 11 abstrait صوت مجرد و19 absorption تماثل في مقابل تجانس صوتي وقوبل 1702 Command بالأمر مع إهمال تام للاستعمال التوليدي لهذا المصطلح أي مبدأ التحكم. وقوبل 2027 Performatif: إيقاعي دون إشارة للاستعمال المشهور عند أوستين [إنجازي] ومثله 1254 illocutionnaire الذي قوبل بإنشائي دون ذكر لمفهوم القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام.

ولست أدري -بعد كل هذا السيل من المصطلحات الصوتية- كيف أن بعض الدارسين يرى أن "علم الأصوات التجريبي وعلم الأسلوب الإحصائي منه لم يحظيا بعناية كافية على حين حظيت المستويات الصرفية والنحوية والدلالية باهتمام ظهر أثره واضحاً في عدد المصطلحات التي اختص بها"(18). هل أريد لمعجم في اللسانيات أن يكون معجم علم الأصوات؟ ما علاقة مصطلحات الأسلوبية بموضوع معجم متخصص في اللسانيات؟ ليس المهم في المعجم المتخصص أن يكون انعكاساً لاهتمام بعض الباحثين والمتخصصين في قطاع لساني معين يلبي رغباتهم وتطلعاتهم وحدهم، بل الأهم هو أن يعكس المعجم المتخصص بأمانة وموضوعية مجمل التطورات التي وصلها البحث اللساني في صيرورته المحلية والعالمية.

مصطلحات غائبة

تكملة لما سبق يتضح أن عدداً من المصطلحات اللسانية لم يرد في هذا المعجم، بعضها يتعلق بعلم الصوت والدلالة والتداول وبعضها يتعلق بالمدارس اللسانية الحديثة.

ورغم عناية المعجم الفائقة بالأصوات فإن بعض المصطلحات المتعلقة بأنواع النبر كنبر الإطالة accent grave ونبر العوض accent circonflexe و accent mélogique ومصطلحات صوتية مثل architype وحركة اعتماد الصوامت والسواكن voyelle

d'appui et point d'appui و débit وغيرها ممـا لا يوجد لها أثر في المعجم. كما يلاحظ غياب بعض المصطلحات صرفية ومعجمية مثل archilèxème و archisèmeme. وبصفة عامة لانعثر على بعض المصطلحات التي تم تداولها بكثرة في اللسانيات البنيوية مثل: اختيار وخانات هوكيت وتحليل المضمون Analyse و analyse de contenu componentielle المعروف عند بانديكس ومحور التوزيع Axe de distribution و Axe de séléction و Axiologie عند مارتيني و valence و Stemma و ambivalence المعروفة في النحو الارتباطي عند طنيير وهاريس.

وفي مجال التداول مثلا اكتفى المعجم بتعريب المجال [براغماتية 2172] رغم وجود مقابلات عربية مثل تداول وذرائعية. وما ورد في الموحد من مصطلحات تداولية لايتجاوز بعض المفاهيم العامة المعروفة في الفكر اللغوي لما قبل ظهور اللسانيات مثل السامع والمخاطب والخطاب وفعل الكلام بل إن مصطلحات الحجاج لاوجود لها رغم تداولها في بعض التصورات البلاغية خاصة الغربية منها. كما أنه لاوجود لمصطلحات نظرية التلفظ Théorie enonciative ومصطلحات مثل القدرة التواصلية Compétence communicative والأفعال الإنجازية والمعاينة والتمثيل الدلالي وأفعال الخطاب والأفعال المباشرة وغير المباشرة ومصطلحات مسلمات الحوار، وبالجملة كل ما روجته الأبحاث التداولية والوظيفية من مصطلحات.

ويصدق الأمر أيضا على نظرية النحو التوليدي حيث نجد مصطلحات قليلة ليست في مستوى ما قدمته هذه النظرية من أفكار وتصورات جديدة بل ليست في مستوى ما قدمته بعض الدراسات العربية الجادة في هذا الباب. ما نجده من مصطلحات توليدية تشترك فيه مدارس لسانية أخرى عاصرت ظهور النحو التوليدي كتحويلية هاريس ونموذج المركبي. ومع ذلك فكثير من المصطلحات الرائجة في هذه الاتجاهات ليست موجودة مثل Automate و Autoctone و مختلف القيود على التحويلات Contraintes وسلكية التحويلات Cyclicité وتحويل الإلصاق Affixe والنقل Mouvement مما هو معروف في الأدبيات اللسانية التوليدية التحويلية في نماذجها الأولى. ومن المصطلحات التوليدية التي لايوردها المعجم الموحد نذكر: dislocation و Focus و Focalisation و المراقبة، المجال، المزحلق، الملء المعجمي، الربط، القالب، القالبي modulaire ترميز س خط، أثر، تحتية، رائز، مخصص، وماشابه كذلك مما هو مستعمل بكثرة في الكتابات التوليدية العربية صحيح أن أي المعجم لا يمكنه أن يدرج إلا المصطلحات التي استقر أمرها وكثر استعمالها وأصبحت جزءا من المتداول بين المختصين. لكن مسألة عدم استقرار المصطلح ومرحليته النسبية هي في العمق جزء من النظرية العلمية ذاتها التي لاتثبت على حال. والمصطلحات الغائبة عن المعجم مضى على ظهور بعضها أكثر من أربعين سنة وشكلت قسطا من نظريات لسانية حديثة تجاوزت حدود المحلية، ولا غنى عنها بالنسبة للمهتم باللسانيات العامة المعاصرة. ثم إن للمعجم المتخصص وظيفة تاريخية تتمثل في

حفظ المصطلحات التي تم تداولها في فترة معينة من تاريخ ممارسة علمية معينة.

ملاحظات عامة

نسجل في نهاية هذه الدراسة بعض مظاهر الارتباك في المعجم الموحد:

* تكرار كثير من المصطلحات وذلك بورودها في صيغة المفرد وصيغة الجمع كما في علم اللسان وعلوم اللسان في مقابل (Science of Langage).

* وجود مصطلحات ليست لها أي أهمية اصطلاحية مثل 847 Elévation مدح أو تعظيم.

* تضارب واضح في استعمال بعض المفاهيم الجوهرية في اللسانيات: فالمفهوم sens يقابل بالدلالة والمعنى وأحيانا أخرى 2337 Référence وشتان ما بين المفاهيم.

* تعميم استعمال بعض المصطلحات حيث قوبلت اللفظة Forme حيثما وجدت بنظيرتها العربية صيغة..لكن Forme استعملت عند بعض البنيويين هيلمسليف للدلالة على صورة التعبير وصورة المضمون أي استعمال آخر لمصطلح Forme لا يمكن مقابلته بالصيغة.

* عدم الحرص على وضع الفروق الدقيقة بين المصطلحات. فالتمييز بين القدرة والملكة اللغوية غير وارد حيث قوبلت Compétence506 بالملكة اللغوية وقوبلت faculté de langage بالقدرة على الكلام. ومعلوم أن هناك فرقا بين المفهومين على الأقل من الناحية النظرية عند كل من سوسور وشومسكي، وكذلك Acquisition de la langue و apprentissage. مبدئيا ليس تعلم اللغة هو اكتسابها، كما أن التمييز الدقيق بين Langue و Langage من جهة والكلام من جهة أخرى غير واضح. والمعجم لايدقق في الفرق بين 2819Taxonomie و 2902 Typologie حين يقابل المصطلحين ب "تصنيف". فالتنميط هو غير التصنيف. التنميط جانب أساسي في التحليل اللساني راهنا بل هو من أهداف بعض التيارات اللسانية مثل النحو الوظيفي الذي يسعى إلى تحقيق الكفاية النمطية. إن وضع المصطلح يقتضي بالضرورة الرجوع إلى السياق الطبيعي الذي وردت فيه ضمن إطار نظرية لسانية معينة، وإلا فإن صوغ المصطلح سيصبح ترجمة مباشرة بحثا عن مقابل عربي وكفى.

* عدم توضيح بعض العبارات أو التعريف بأسماء الأعلام الواردة في المعجم. ففي بعض المداخل مثل: مدرسة الحالة الإعرابية. المدرسة النظامية. مدرسة الأجناس والمستويات عند هاليدي. ما هي مدرسة الحالة الإعرابية وما هي المدرسة النسقية ومن هو هاليدي؟ إلى غير ذلك من المعلومات التي قد يحتاجها كل من يرجع للمعجم. فتوفير المعلومات من مهام المعجم أيضا.

* تضخيم شكل المقابل العربي وهو ما يطلق عليه أحيانا التضخيم الفيزيائي للمصطلحات [رشاد الحمزاوي]. فالمصطلح الواحد يقابل في غالب الأحيان بأكثر من كلمة. وهذه بعض الأمثلة: مقابلة المصطلح الواحد بعبارة من كلمتين أو أكثر:

Stem2644= مبنى الكلمة Stop2648= حرف شديد،،...الخ.

مقابلة مصطلح ذي كلمتين بعبارة عربية من

أربع كلمات: 2512 Sentence modifier = مخصص للدواخل على الجملة و2425، Root creation تقابل إنشاء على الحكاية الصوتية.

* وجود مقابلات عربية غير مفهومة مثل:

-علامة الدليل اللغوي مقابل signe1568 linguistique

– المقوم الجملي 1381 composante interprétative

– نظرية العامل الأمريكية théorie du gouvernement et de liage 1121.

– الماضي المركب الأول مقابل 2025passé composé

– الماضي المركب الثاني 2007plus que parfait 2455 second-perfect و past perfect الماضي السابق مقابل 2454 passé antérieur والماضي المنقطع الثاني.

* الجمع بين التوليد والتعريب: ذلك أن بعض المصطلحات وضعت لها مقابلات عربية ووردت معربة أحيانا أخرى. ومنها مصطلح phonologie:الذي قوبل في المدخل 2106 بالصوتيات الوظيفية وقوبلت بعض المصطلحات مثل:2101 phonological analysis بتحليل صوتي أو: تحليل فونولوجي. وقوبل 2102 phonological change بتحول صوتي. أما المصطلح التسمية 2462segmental phonology فقوبل بالعبارة علم الحروف المقطعة.

كي لا نختم

لم يحسم المعجم الموحد في أمر كثير من المصطلحات اللسانية التي أثارت أكثر من نقاش في الكتابات اللسانية العربية الحديثة ويتعلق الأمر بتسمية اللسانيات نفسها، فالمعجم أبقى على مقابلة فقه اللغة بـ (2053Philologie)، وهي مقابلة غير موفقة في نظرنا. كما لاحظنا تعدد المقابل العربي للمدخل Linguistics1564 الذي قوبل باللسانيات وعلم اللسان وتداخله مع علوم أخرى مثل Science du langage الذي قوبل أيضا بعلم اللسان (1565). وقوبل الجمع Sciences of language بعلوم اللسان وزاد اللفظ الفرنسي الأمر اختلاطا حيث وجدنا Sciences linguistiques بالجمع حيث كنا ننتظر المقابل العربي علوم لسانية. وليس حال العلوم المجاورة للسانيات بأحسن حال حيث وجدنا 1563 Linguistic psychology و Psycholinguistics 2268 تقابل العبارة العربية علم النفس اللغوي وهي عبارة غير دقيقة لأنها تدرج في إطارها العبارة الفرنسية (Psychologie du langage) وهو مجال أدرج مباشرة في إطار ما عرف بالسيكولسانيات. نفس الشئ بالنسبة للسانيات الاجتماعية كمقلبل 2570 Sociolinguistique دون أن يذكر المعجم العبارة الفرنسية Sociologie du langage. وأبقى المعجم الموحد على كثير من المصطلحات معربة دون مقابل جديد لها كما هو الشأن بالنسبة لبراغماتية واللسانيات الإثنوغرافية واللسانيات الإثنولوجية وسنيم وتاكميم [2808] وما اشتق منها مثل تاكميمي وتاكميمية وتاكما [2806] وكانيم وغيرها مما ورد دون مقابل عربي.

وهذه بعض المصطلحات التي وردت معربة في

المعجم:

أطلس 851، 1552، 745، أيقونة 1236، بدل تاكميم 113، براغماتية 2172، بلريم 2131، تاكمة 2806، تاكميم 2807، التاكميمية 2809، تحليل تاكميمي 2808، تحول فونيمي 2065، تقابل فونيمي 2066، دايافون 751 دراسة الأيقونات 1237، دسبل 656، ديموطيقي 691، ديموغرافيا اللغة 1557، ساندهي 2422، سديلة 397، سينم 399، السينمات 398، عالم فونيمات 2067، فونولوجي 2057، فونيم تخالفي 795، كايني 1467، كاينيم 1468، كتابة صوتية فونيمية 2069، كتابة صوتية إثنولوجية 903، كرونيم 425، كريول 628، كلوسيماتية 1102، كلوسيم 1103، كلوسوليليا 1105، كينيمية 1469، لغة كلاسكية 427، مونولوج 1726، مونيم وظيفي 1054، 1720، نؤيم 1824.

إن هذه القائمة من المعربات وهي مرشحة للزيادة بسبب التطور الهائل الذي يعرفه البحث اللساني العالمي تعكس مدى الصعوبات التي ماتزال تواجه تعريب اللسانيات وتبين أن الطريق إلى سد هذا الفراغ الاصطلاحي الهام لا يتأتى إلا بالانخراط كليا في الدرس اللساني وجعله بحثا علميا في جامعاتنا ومراكزنا العلمية. "فالعلم الذي نخوض فيه منسوخ وليس مستوعبا ولذلك فإن التشويش الطارئ على المصطلحات يبدو طبيعيا لأننا نستهلك منه بحسب ما يعرض علينا وباعتبار طلبنا منه"[19].

هذه إذن جملة من الملاحظات العامة بشأن المعجم الموحد وهي كما يلاحظ القارئ لا تمس في شيء الاختيارات الكبرى التي سار عليها المعجم في وضع المصطلح وصوغه من اشتقاق وتوليد ونحت وما إلى ذلك. وأملنا أن يتجاوز المعجم الموحد سلبيات ونواقص تجارب عربية أخرى ويحقق ما عجز عنها آخرون من توحيد في الاستعمال ودقة في صوغ المصطلح وتناسق في اشتقاقه. وذلك بالنظر للإمكانات البشرية والمادية التي تتوفر عليها الهيئة المشرفة على وضع المعاجم.

الهوامش

* تشير الأرقام المصاحبة للمصطلحات لرقم المدخل في المعجم الموحد.

1) عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات ص55، الدار العربية للكتاب، تونس1984.

2) محمد مجيد السعيد: دور موسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته. اللسان العربي عدد 29 ص148.

3) رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية ص75 اللسان العربي عدد18/1 1980.

4) المسدي: المصدر المذكور ص72.

5) عادل فاخوري: اللسانية التوليدية. منشورات لبنان الجديد بيروت 1980.

6) علي القاسمي: النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح ص 127 اللسان العربي عدد 1987/29 وينظر كذلك في القاسمي: المصطلحية علم المصطلحات: اللسان العربي عدد 18/ 1-1980 الرباط.

7) المعجم الموحد: ص13.

8) رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية العربية الحديثة. ص15 حوليات كلية الآداب تونس عدد 1977/14 تونس.

9) المسدي: قاموس ص: 96.

10) المعجم الموحد ص11.

11) نفسه ص11.

12) التوصيات المنبثقة عن مؤتمر التعريب السادس، اللسان العربي ص33 عدد 1988/31.

13) سعد مصلوح: دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة ص22 عالم الكتب القاهرة 1989.

14) توصيات مؤتمر التعريب السادس، اللسان العربي ص33 عدد 1988/31.

15) يتعلق الأمر بالاستاذ عبد الرحمان حاج صالح صاحب دراسة بعنوان المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي، وقد قدم البحث المذكور للندوة الدولية التي نظمتها اليونسكو بالرباط في أبريل 1989 حول وضعية اللسانيات وتطورها في العالم العربي.

16) القاسمي نفسه ص127.

17) الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية 2/ص214.

18) يكفي الرجوع للملحقات الواردة في بعض الكتابات اللسانية العربية الحديثة لأحمد مختار عمر والفاسي الفهري وحلمي خليل وأحمد المتوكل وحسن بحيري: "نظرية التبعية عند طنبير" علاوة على قوائم الباحثين اللسانيين التونسيين التي بإمكانها أن تقدم لنا مادة غنية بمصطلحات في الموضوع.

19) سعد مصلوح نفسه ص21. لقد اقترح هذا الباحث إضافة 140 مصطلحا أخذ بعضها بعين الاعتبار لاحقا إذ أن ملاحظاته المشار إليها هنا قدمت للمشرفين على المعجم قبل أن يطبع. وفي نفس السياق كان أحد الباحثين العرب (Mohammed Amayrah -analytical study of Arabic Modern Linguistic Terms) اللسان العربي عدد 1989/31 ص19 وما بعدها، قد لاحظ غلبة المصطلح الصوتي ضمن مجموعة من المعاجم العربية اللغوية الحديثة بالنسبة للمصطلحات التي تبتدئ بالصوائت K و U و V، وهي ملاحظة تصدق أيضا على المعجم الموحد.

مراجــع

- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربيـــة للتربية والثقافة والعلوم تونس 1989.
- محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنـان - بيروت 1982.
- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثـــة في اللغة العربية، حوليات كلية الآداب - تونس عــــدد 1977/14.
- محمد حسن باكلا وآخرون: معجم مصطلحات علـــم اللغة الحديث - مكتبة لبنان - بيروت 1983.
- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات الـــدار العربيـــة للكتاب - تونس 1984.
- بسام محمود بركة: معجم اللسانية -عـــربي فرنســـي: 1985 جروس بريس طرابلس لبنان 1985.

Amayrah Mohammed A; Analytical Stady of modern arabic linguistic terms, in ALLISSAN ALARABI N°31/1988, RABAT.

- محمد رشاد الحمزاوي: مشاكل وضـــع المصطلحـــات اللغوية أو تقنيات الترجمة. اللسان العربي عـــدد 18 الجزء 1 سنة 1980.
- علي القاسمي: النظرية العامة والنظرية الخاصـــة في علـــم المصطلح، اللسان العربي عدد 1987/29.
- علي القاسمي: المصطلحية علم المصطلحـــات: اللســـان العربي عدد 18/ 1-1980 الرباط.
- التوصيات المنبثقة عن مؤتمر التعريب السادس، اللســـان العربي عدد 1988/31.
- سعد مصلوح: دراسات نقدية في اللســـانيات العربيـــة المعاصرة. عالم الكتب القاهرة 1989.
- ع.الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال الدار البيضاء 1985.

ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية
(مقاربة لسانية)

د. ليلى المسعودي (*)

مدخل:

يتضمن هذا العرض ثلاثة أقسام:

1- القسم النظري الذي سنقدم فيه لمحة عن الأسس المنهجية والمبادئ.

2- القسم التطبيقي الذي سنقوم في إطاره بقراءة لـ (معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية)لمؤلفه (سموحي فوق العادة) مكتبة لبنان؛ 1986).

3- القسم العملي الذي يشتمل على شقين:

* الشق الأول الذي سنسطر فيه مجموعة من الإجراءات تلخص تصورا جديدا لإعداد قاموس في المجال الدبلوماسي.

* الشق الثاني الذي سنقدم فيه مجموعة البحث DICO DIPLO

القسم الأول: لمحة عن الأسس المنهجية والمبادئ

1- في البداية سنقف عند بعض التسميات المرتبطة بالأصناف المعجمية المتخصصة وهي:

*- القاموس

*- المعجم

* الملفظة

* الملسنة

وتتميز فيما بينها ببعض السمات تتضح من خلال المعايير الآتية:

(*) أستاذة بكلية الآداب بالقنيطرة - (المملكة المغربية)

1 – طريقة المعالجة

تنتمي الأعمال المعجمية إلى نوعين: فإما أن تكون لغوية أو أن تكون موسوعية

2– خصائص المسرد

تطبع المسرد خصائص معينة تتلخص في:

– الوظيفة

– التمثيلية

– المحدودية

3– خصائص المادة

تتضمن المادة المداخل وتكون مصحوبة بالتعاريف (القاموس والملفظة والملسنة) وغير مصحوبة بها في (المعجم).

4– خصائص التعريف

يكون التعريف:

– إجرائيا أو وصفيا أو إيقونيا (بالرسم)

5– عدد اللغات

يميز عدد اللغات الأصناف المعجمية فيما بينها.

مثال:المعجم لا يكون أحادي الأصناف المعجمية فيما بينها.

المعجم لا يكون أحادي اللغة أما القاموس فيكون إما أحادي اللغة أو متعدد اللغات.

6– الموقف اللساني

يختار المعجمي توجها ينتهجه في عمله ، فيكون الموقف الذي يتقيد به إما معياريا وإما وصفيا.

7– البعد الزمني

تتسم الأعمال المعجمية إما بالآنية (التزامنية) وإما بالتزمن.

8– الوظيفة

تكون وظيفة المؤلف المعجمي إما التأليف وإما التفكيك.

واستنادا إلى المعايير الثمانية المسطرة سنقدم أعلاه محددات الأصناف المعجمية وسماتها في الجدول الموالي:

جدول المحدّدات التصنيفية

للمعاجم المتخصصة

الأصناف / المعايير	القاموس	معجم	ملفظة	ملسنة
طريقة المعالجة	لغوية أو موسوعية	لغوية	لغوية أو موسوعية	لغوية
خصائص المسرد	الوظيفية	الوظيفية	التمثيلية	المحدودية
خصائص المادة	المداخل + التعريف	المداخل	المداخل + التعريف	المداخل + التعريف
خصائص التعريف	إجرائي/ وصفي أو إيقوني	إجرائي	إجرائي/ وصفي أو إيقوني	إجرائي / وصفي أو إيقوني
عدد اللغات	أحادي اللغة / متعدد اللغات	متعدد اللغات (ثنائي ثلاثي...)	أحادي اللغة	أحادي اللغة
الموقف اللساني	معياري	معياري	وصفي	وصفي
البعد الزمني	آني	آني	آني أو تزامني	آني أو تزامني
الوظيفة	التأليف	التأليف	التأليف	التفكيك

ملاحظة: أستلهمنا المعايير الواردة في هذا الجدول من المحاضرات التي كان يلقيها د: بيرنار كيمادا (Quemada) في السنوات 1990-1998 بالمدرسة الفرنسية بباريس في جامعة السوربون.

ويبين الجدول أن المعجم يكون متعدد اللغات في حين أن القاموس يمكن أن يكون أحادي اللغة أو متعدد اللغات كما يتسم الأول بغياب التعاريف والاكتفاء بتقديم مجموعة من المصطلحات في شكل مقابلات معجمية تنبني على علائق التكافؤ القائم أو المفترض بين اللغة المصدر واللغة أو اللغات الهدف.

أما الملسنة والملفظة فكلاهما يتسمان بالطابع الأحادي والموقف الوصفي ولن نهتم بهما في هذا البحث لأننا اخترنا الاشتغال على المؤلفات المتعددة اللغات(ثنائية أو ثلاثية) وينصب اهتمامنا على صنفين هما المعجم والقاموس.

ب- الأسس المنهجية والمبادئ

ينبني التصور والتخطيط المعجميين على مبدأين أساسيين هما:

1- مبدأ الاتساق الداخلي

2- مبدأ التماسك المفهومي

1- مبدأ الاتساق الداخلي

ويراد به الانضمام المتكامل لمختلف أجزاء المعجم أو القاموس شكلا ومضمونا ويتضح الاتساق الداخلي من خلال "شجرة الميدان" التي يجب أن تصمم بشكل محكم في بداية العمل وتقتضي أن يضبط الميدان الرئيس ثم الميادين الفروع، فإذا اختلت هذه العملية أو إذا أنجزت بشكل غير رصين انعكس ذلك بالسبب، لا بالايجاب على العمل بأجمعه.

وإضافة إلى تصميم "شجرة الميدان" يجب تحديد "الشبكة المفهومية" لكل حقل وضبطها من خلال مسارد جزئية تدمج داخل المسرد العام.

2- مبدأ التماسك المفهومي

يستند مبدأ التماسك المفهومي إلى مقياسين أساسيين هما:

- العلاقة الأحادية الأفقية:

وهي العلاقة الكامنة بين الدليل اللغوي والمفهوم

ففي اللغة العامة يسمح بتعدد الدلالات المفهومية للدليل الواحد وبتعدد الدلائل للمفهوم الواحد أما اللغة المتخصصة فإنها تحتم وجود علاقة أحادية ذات مدلول مصطلحي واحد.

- العلاقة التراتبية العمودية:

تربط المصطلحات علائق تستند إلى مبدإ التراتبية حيث إنها تنطلق من السمة التعميمية- التي يشترك فيها المصطلح مع مصطلحات أخرى- إلى السمات التخصيصية التي يمتلكها مصطلح بعينه.

القسم الثاني: قراءة تحليلية لمعجم الدبلوماسية

بعد هذا التقديم الموجز لبعض الأسس المنهجية والمفاهيم الإجرائية في مجال المعجمية المتخصصة، سنقوم في القسم الثاني من هذه الورقة بقراءة تحليلية ونقدية لـ" معجم الدبلوماسية".

وسندلي بمجموعة من المعلومات عن هذا المؤلف في شكل بطاقة تعريفية.

1- البطاقة التعريفية

- إسم المؤلف : سموحي فوق العادة
- إسم المدينة : بيروت
- دار النشر : مكتبة لبنان
- سنة النشر : 1974
- الطبعة 1986 (الثانية)
- عدد الصفحات :479 ص+ مسرد الألفاظ الفرنسية (30 ص) + مسرد الألفاظ العربية (38 ص)
- اللغة المصدر : الإنجليزية
- العدد التقديري للمداخل : 5000 إلى 5500 مدخل.

2- البطاقة التقنية

تهدف هذه البطاقة إلى تقويم للمؤلف المذكور من خلال الأسئلة التالية:

- إلى أي صنف من الأصناف المعجمية ينتمي هذا المؤلف؟

- في أي خانة يمكن إدراجه؟

- ما هي كيفية معالجة المعطيات؟

- ما هي نوعية التعريف المقدمة؟

- هل هي واردة بانتظام بعد كل مدخل؟

- هل المداخل خاضعة للتنميط المعجمي؟

- ما هي المجالات الفرعية في هذا المؤلف؟

- هل يمكن إعادة "بناء" شجرة الميدان من خلال المسرد العام؟

- هل يفي المؤلف بشروط مبدأي الاتساق الداخلي والتماسك المفهومي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة يمكن إبداء الملاحظات التالية:

أ- لا ينتمي المؤلف المذكور إلى صنف بعينه لأنه يدمج بين أوصاف المعجم وصفات القاموس فيقدم التعاريف تارة و يغيبها تارة أخرى.

مثال:

انظر الصفحة الملحقة بالبحث وهي مأخوذة من المؤلف نفسه. ولقد أضفنا ترقيما للمداخل لكي تسهل الإحالة عليها عند الحاجة، والملاحظ أن مدخلين فقط (رقم 3 و 15) يتضمنان التعريف في حين أن كل المداخل الأخرى لا تصحبها التعاريف.

ب- تشكو معالجة المعطيات من الحشو والترداد الناتجين عن الافتقار إلى منهج صارم وانعدام التنميط بالإضافة إلى تغليب مفردات وتعابير اللغة العربية.

مثال:

- اتخذ إجراءات تنفيذية
- اتخذ إجراءات قانونية
- اتخذ التدابير
- اتخذ التدابير الجماعية
- اتخذ تدابير فعالة
- اتخذ خطوات إيجابية
- اتخذ قرارا

- اتخذ لقبا جديـــدا
- اتخذ المبـــادرة
- اتخذ موقف الدفـاع
- اتخذ موقف المهاجـم
- اتخذ موقفا لايتلاءم مع التحالف
- اتخذ موقفا حازما ... الخ

وكل هذه العبارات واردة كمداخل في المؤلف المذكور، مع أنها تنتمي إلى المستوى اللغوي العـام ومكانهـا الطبيعي هو القاموس اللغوي لأنها لا تمتلك سمات تخصيصية مرتبطة بالمجال الدبلوماسي.

ج- لا تخضع المداخل المدرجة إلى مقاييس واضحة وتنتمي الوحدات إلى مختلف الفئات النحوية من أفعـال وأسماء و ظروف وصفات إضافة إلى الجمل والتعابير المبتذلة.

مثال:

- لاحظ بأسف واهتمـام
- تظاهر بعدم الاكتـراث
- لاحظ بارتيـــاح
- دقيق في مواعيـــده
- ليس بوسعنا أن نتجاهل
- اصطاد في الماء العكـر
- أصغى إلى عين العقـل
- احتفظ بزمام المبـادرة
- أحال على اللجنة المختصة
- أحال قضية إلى لجنـــة
- أحال موضوعا على اللجنة
- ملفق منمـق بالأكاذيـب
- النصاب القانوني لنجاح التشريح
- وقف موقف المتفـــرج
- وقف مكتوف اليديـــن
- وفقا لتعليماتكـــــم
- ... الخ

والأمثلة كثيرة من هذا النحو حيث إنها تمثل ثلثي عدد المداخل المدرجة في هذا المؤلف الذي يغلب عليه طابع التكرار والحشو.

د- يفتقر المؤلف إلى الاتساق الداخلي الذي يقتضي تصورا واضحا مبنيا على شجرة للميدان متكافئة جذوعها ومتكاملة فروعها.

حقيقة أن المجال الدبلوماسي شاسع لأنه يشكل نقطة التماس بين علوم مختلفة واختصاصات متنوعة غير أن هذا لا يبرر انعدام الرؤيا في التصور وغياب التخطيط في مرحلة التحضير المعجمي مما أدى إلى إنجاز مؤلف غير متخصص ليست فيه أدنى إشارة إلى الميادين الفروع والمصطلحات المتخصصة التي عومت في خضم مفردات اللغة العامة.

هـ- يصعب كما أسلفنا إعادة بناء "شجرة الميدان" نظرا إلى غياب الإشارة إلى الميادين الفروع غير أن قراءة متأنية للمؤلف تبين أن الميادين التي أخذت منها المداخل تتلخص في :

1. اللغة العامة
2. القانون الدولي العام
3. المنظمات الدولية
4. العلوم السياسية
5. التاريخ

تشغل اللغة العامة حيزا وافرا يمثل الثلثين في المؤلف كما ذكرنا، أما القانون الدولي والمنظمات الدولية والعلوم السياسية فلا تمثل سوى الثلث إضافة إلى إحالات على بعض الأحداث التاريخية لا ندري لماذا ذكرت دون سواها.

و- يفتقر المؤلف إلى التوازن داخل الحقول المفهومية.

مثال 1: يورد المؤلف " المطرقة والمنجل" وهما الشعار المرسوم على علم الاتحاد السوفياتي (سابقا) وينتمي إلى حقل الشعارات الواسع بما فيه الدولية كالشعارات الخاصة بالمنظمات الدولية وغير الحكومية وتلك الخاصة بالدول والأمم...إلخ.

وكان من المفروض أن يتطرق المؤلف إلى فرع من حقل الشعارات وأن يعلل اختياره كأن يذكر شعارات الدول العربية بكاملها وبعض الدول الأخرى بالنظر إلى العلاقات المتميزة التي تربطها بالأولى وهذا طبعا إذا تعذر عليه ذكر كل دول العالم لأسباب تقنية أو غيرها.

مثال 2: يدرج المؤلف بعض الألقاب ويترك الأخرى.

مثال 3: يذكر المؤلف اسم إقامة رئيس الدولة أو مقر وزارة الخارجية لبعض البلدان دون غيرها.

مثال 4: يعلن عن بعض الرموز الثقافية دون أخرى كجائزة لينين.. الخ.

ز- ليس موقف المؤلف واضحا بخصوص البعد الزمني فهو يكتسي الصبغة التاريخية أحيانا وأحيانا أخرى يكون آنيا صرفا.

مثال : "بعثة ولاء" وهي البعثة الرسمية التي كان قداسة البابا يفرض على الملوك في العصور القديمة إرسالها لتهنئة وتقديم الولاء بمناسبة ارتفاعه وارتقائه السدة البابوية.

فما هي الجدوى من إدراج مدخل خاص بـ"بعثة ولاء " بالمفهوم البابوي علما أنها لم تعد واردة الآن؟

مثال:"نيافة"وهو لقب الكاردينال [ويقال أن الكاردينال ريشوليو هو أول من أحدثه وخصه بنفسه ثم شاع استعماله بين الكرادلة].

والعبارات الموضوعة بين معقوفتين تحيل على معلومات تاريخية حول هذا اللقب ومعلوم أن هدف المؤلف ليس تأريخا . والإشارات العابرة إلى معطيات تاريخية قد تسبب نوعا من البلبلة في المعالجة المعجمية لأنها لا ترد بشكل منتظم إضافة إلى أن هذه الإحالات ليست موثقة ويكتفي المؤلف أحيانا بلفظة "يقال" لإدراجها...!

كما أن المؤلف يذكر بعض الأحداث التاريخية مثل محاكمات نورمبرغ أو بعض الاتفاقيات المتجاوزة كالمحور الذي عقدته ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية عام 1936 والذي انضمت إليه اليابان عام 1940 وكان معروفا باسم محور برلين-روما- طوكيو.

كما أنه يشير إلى تكتلات وتحالفات انهارت مثل الكتلة الشرقية والكتلة الغربية .

وخلاصة القول إن هذا المؤلف يفتقر إلى منهج صارم في معالجة المعطيات كما أنه أصبح متجاوزا من حيث مضامينه من المنظور الجيوسياسي ولقد تغيرت خريطة العالم في السنوات الأخيرة لأن التطورات الملحوظة على الساحة الدولية أدت إلى إعادة النظر في مجموعة من المبادئ والمفاهيم.

لذا أصبح من الضروري التفكير في مؤلف ثان يواكب المستجدات الحالية ويتلاءم ومتطلبات العلاقات الدولية حاليا.

القسم الثالث: نحو تصور جديد لإعداد قاموس في مجال الدبلوماسية

أ- تحديد المجال وإنجاز "شجرة الميدان" التي تضمن الاتساق الداخلي للمعجم.

- **محاولة تحديد المجال الدبلوماسي**

يمكن تعريف الدبلوماسية من خلال وظائف ثلاث وهي:

1. التمثيلية:

تهدف الدبلوماسية إلى تمثيل مصالح الدولة في الخارج باحترام مجموعة القواعد والأعراف والمبادئ الدولية التي تنظم العلاقات القائمة بين الدول والمنظمات الدولية.

2 التفاوض:

تستند الدبلوماسية إلى التفاوض في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية... الخ، كما تلجأ إلى السبل السلمية في تسوية النزاعات وحلها بواسطة المباحثات والمفاوضات والمساعي الحميدة والوساطة الدولية أو باللجوء إلى مجلس الأمن أو القضاء الدولي... الخ.

3. حماية الحقوق والمصالح:

تسعى الدبلوماسية إلى الحفاظ على مصالح الدولة وحماية حقوق مواطنيها القاطنين خارج أرض الوطن في ظل الأنظمة والقوانين المحلية والدولية.

انطلاقا من الوظائف الثلاث سنحاول حصر الميادين الفروع:

• الميادين الفروع:

– المرتبطة بالتمثيلية

• العلاقات الدولية

• القانون الدولي

• المراسم والتشريفات

• تقنيات التواصل

– المرتبطة بالتفاوض

* تقنيات التفاوض في مختلف الميادين (السياسية، الاقتصادية) بالاستناد إلى علوم إنسانية كعلم النفس و علم الاجتماع..

* تقنيات التواصل والوثائق المتبادلة في العلاقات الدولية.

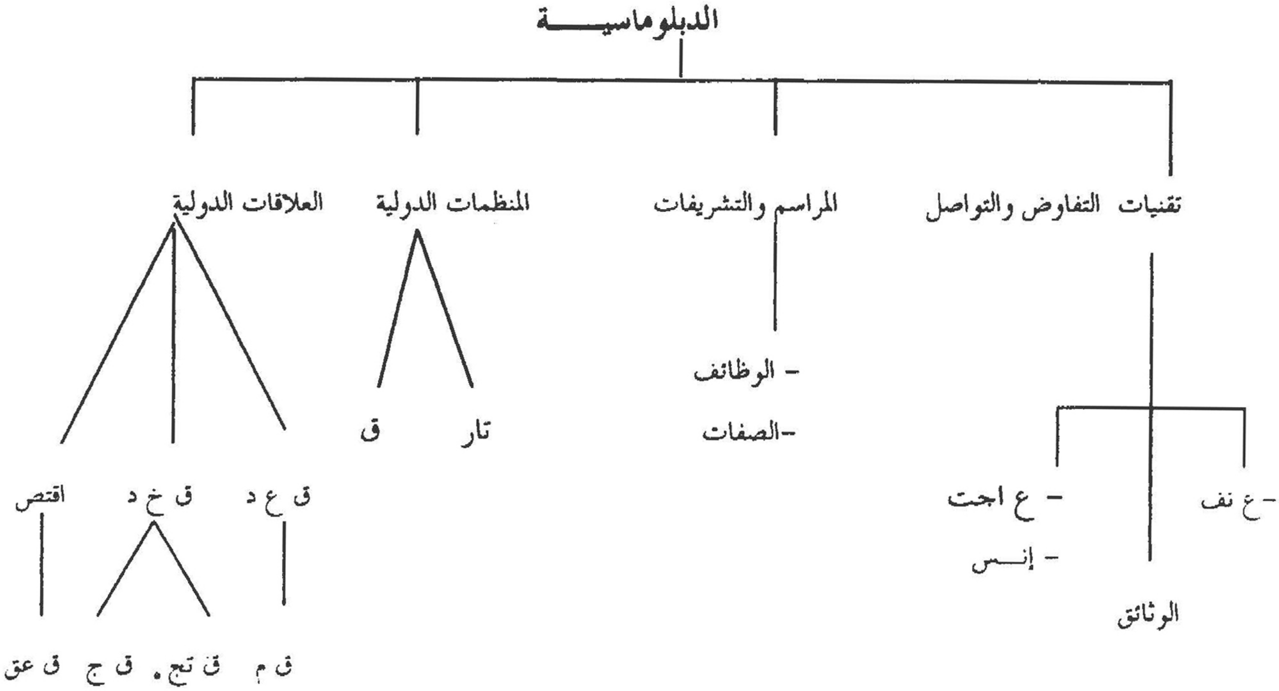
– المرتبطة بحماية الحقوق والمصالح

• القانون الدولي والعلاقات الدولية

• المنظمات الدولية وغير الحكومية

وبعد حصر الميادين الفروع، أرسينا شجرة الميدان الخاصة بالدبلوماسية والتي ارتسمت ملامحها على الشكل التالي:

• شجرة الميدان:



ب- الرموز المستعملة للإشارة إلى الميادين الفروع:

- ع نف = علم النفـــس
- ع اجت = علم الاجتمـاع
- إنس = إناســـة
- تار = تاريــــخ
- ق = قانـــون
- ق ع د = قانون عام دولي
- ق خ د = قانون خاص دولي
- اقتص = اقتصــــاد
- ق م = قانون مدنـــي
- ق تج = قانون تجـاري
- ق ج = قانون جنائـــي

ق عق = قانون عقـــاري

- توا = تواصـــــل
- تفا = تفـــــاوض

ولقد ارتأينا إدراج هذه الميادين لارتباطها الحميم الدبلوماسي وفي ضوء التصور العام، تكونت مجموعة البحث (dico- diplo) إعداد قاموس الدبلوماسية (فرنسي/ عربي) في مرحلة أولى، ثم ثلاثي اللغة (عربي/إنكليزي/فرنسي) في مرحلة ثانية.

ج- كيفية معالجة المعطيات:

من ميزات هذا المشروع، أنه يفي بشروط المعالجة المعجمية المتخصصة التي قدمناها، منها على وجه الخصوص:

- إلزامية إيراد التعريف بعد كل المداخل وفي كل اللغات المستخدمة لضمان جودة المؤلف وجعله أداة صالحة في الوقت نفسه للتفكيك والتأليف.
- إلزامية الإشارة إلى الميادين الفروع لرصد مفهوم المصطلح في إطار الحقل المفهومي الذي يرد فيه.
- إلزامية انتماء المداخل إلى فئة الاسم وليس الفعل نظرا لطبيعة الحقول المفهومية التي يتطرق إليها القاموس.

واستنادا إلى التعليمات أعلاه، تتم المعالجة المعجمية في جذاذات على الشكل التالي:

مدخل	entrée
ميدان الاستعمال	domaine d'emploi
التعريف	définition
التعليق	commentaire

تتضمن كل جذاذة مدخلا وميدانا للاستعمال وتعريفا في اللغتين العربية والفرنسية، أما التعليق ،فإنه غير إجباري. وسنسوق في ما يلي مثالا للمعالجة المعجمية في هذا القاموس:

تنازل عن الجنسية	Abdication de nationalité loc. f.
ق د خ	dr. int.priv.
ترك الشخص لجنسيته الأصلية واختيار جنسية أخرى.	Pour une personne, action de renoncer à sa nationalité et d'en choisir une autre.
الاعتماد الدبلوماسي (أو: "الاعتماد اختصارا).	Accréditation n.f.
ق د	dr. int.pub.
الاعتراف الرسمي للسلطات الحكومية في دولة ما بالممثل (أو المفوض) الدبلوماسي لدولة أخرى (مفوضة).	Reconnaissance officielle d'un représentant diplomatique d'un Etat (acréditant) par les autorités d'un autre Etat (accréditaire)

د- كيفية ضبط الحقول المفهومية:

يجب التقيد بمعايير صارمة لضمان التجانس والتماسك المفهومي،

سنسوق مثالا لحقل الوثائق المستخدمة في المجال الدبلوماسي وتشتمل على أربعة أصناف:

1- الوثائق التي تهم التعيين

2- الوثائق التي تستخدم في المراسلات

3- الوثائق التي تستعمل في الاتفاقيات

مثال:

الوثائق 1- الوثائق التي تهم التعيين

Accréditation Accreditation	اعتماد
Agrément Agreation	قبول
Lettre de provision Consular commission	براءة قنصلية
Exequatur Exequatur	إجازة قنصلية
Lettre de créance Letters of credence	أوراق/ كتاب الاعتماد

الوثائق 2- الوثائق التى تستخدم في المراسلات

Note verbale Note verbale	مذكرة شفهية (شفوية)
Lettre de protestation protestation note	مذكرة احتجاجية
Lettre de rappel Letter of reminder	مذكرة تذكير

الوثائق 3 -الوثائق التي تستخدم في الاتفاقيات

Acte Act	عقد
Acte additionnel Additional Act	عقد إضافي
Acte final Final act	عقد ختامي
Acte d'acceptation	عقد قبول
Accord Agreement	اتفاق
Accord en forme simplifiée	اتفاق غير شكلي
Traité solennel	اتفاق شكلي
	معاهدة

وبالطبع ليس الحقل الوارد كاملا ولقد ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر قصد التمثيل للمنهجية المتبعة التي يتقيد بها أعضاء مجموعة DICO DIPLO.

- **تقديم مجموعة DICO DIPLO**

أنشئت هذه المجموعة سنة 1994 بعد تجربة تدريس طالت بضع سنوات إذ كان جل أعضاء المجموعة يدرسون بمعهد التكوين التابع لوزارة الخارجية بالمملكة المغربية.

- د. بقنطار – أستاذ العلاقات الدولية
- د. بكور – أستاذ القانون الخاص الدولي
- د. الجعايدي – أستاذ الاقتصاد
- د. الزكاري – أستاذ علم الاجتماع
- د. الصيحي – أستاذة الآداب الفرنسية
- د . المدني – أستاذ القانون الدستوري
- د. المسعودي – أستاذة اللسانيات
- د. الوكاري – أستاذ القانون العام

تشتغل المجموعة بشكل منتظم في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (بالقنيطرة) بتنسيق مع المجلس الدولي للغة الفرنسية (باريس).

وللحصول على معلومات إضافية، يمكن للباحثين المهتمين الاتصال بمنسقة المشروع:

د. ليلى المسعودي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ص.ب: 401- القنيطرة – المملكة المغربية.

ملحـــق

1- note (to-) with regret and concern || noter avec regret et intérêt

لاحظ بأسف واهتمام

2- note (to-) with satisfaction || note avec satisfaction.

لاحظ بارتياح

3- note verbale (fr.) || note verbale

مذكرة شفهية: هي مذكرة خطية تتبادلها وزارة الخارجيـة والبعثات المعتمدة لديها، توقع بـــالأحرف الأولى فقــط وتحمل خاتم وزارة الخارجية أو البعثة الدبلوماسية وتـاريخ الإرسال. وترمي المذكرة الشفهية إلى عرض بعض القضايـا أو التقدم ببعض المطالب، وهـــي الأكـثـر اسـتعمالا في المراسلات الدبلوماسية.

4- note , circular || note circulaire

مذكرة تعميم

5- note, to deliver a || remettre une note

سلم مذكرة

6- note, diplomatic || note diplomatique

مذكرة دبلوماسية

7- note, marginal || note marginale (ou en marge).

ملاحظة على الهامش

8- note, protest || note de protestation.

مذكرة احتجاج

9- notes, exchange of || échange de notes.

تبادل مذكرات

10- notice || préavis

إشعار مسبق

11- notice board || tableau d'annonces

لوحة الإعلانات

12- notice of termination || notification de terminaison, de fin.

إخطار بالانتهاء

13- notice, without prior || sans préavis

بدون سابق إنذار

14- notice, worthy of || digne d'attention

يستحق الاهتمام، جدير بالاهتمام

15- notification || notification

تبليغ وإبلاغ (إخطار): هو اطلاع شخص مســـؤول أو بعثة دبلوماسية، رسميا، على نبإ، أو وثيقة، أو موضـوع، أو حادث، أو حالة، أو إجراء، بحيث ينشأ عن هذا الاطـلاع نتائج حقوقية أو سياسية معينة.

16- notification, regulations and || les règlements et les notifications

الأنظمة والإخطارات (التبليغات)

17-notion of equality || notion d'égalité

فكرة المساواة

18- notwithstanding the provisions of article two || malgré les clauses de l'article deux

بالرغم من أحكام المادة الثانية

19-nuclear energy || énergie nucléaire

الطاقة الذرية

20-nuclear parity || égalité nucléaire

التعادل النووي (بين قوتين متقابلتين أو أكثر)

21- nuclear test explosions || explosions nucléaires d'essai.

تفجيرات نووية تجريبية

22- nuclear war || guerre nucléaire

حرب نووية

بناء المعجم وتدريس اللغات
(اللغة العربية نموذجا)

ذ. بلقاسم اليوبي(*)

مقدمة:

لعل قضايا المصطلح والمعجم وما يرتبط بهما من أكثر القضايا المعاصرة إلحاحا، وأكثرها مدعاة لاهتمام العلماء والباحثين العرب. فالمصطلح والمعجم مرتبطان ترابطا جدليا؛ والبحث فيهما غدا ضرورة قومية واجتماعية وتربوية وعلمية. والمصطلح والمعجم هما اللذان يستوعبان اللغة، وبقدر غناهما تكون غنية، وهي تحيى بإحيائهما، وهما يتطوران بتطورها وينتشران بانتشارها وتداولها.

لقد حظيت قضايا المصطلح والمعجم في مجال التكنولوجيا والمعلوميات باهتمامات ودراسات متنوعة، وأصبحت الآن محورا هاما في المؤتمرات واللقاءات العلمية والتطبيقات في مختلف مجالات البحث والدرس. وتأتي هذه الندوة "المصطلحات الحديثة ودورها في صناعة المعجم العربي الحديث " لتنضاف إلى حلقة الجهود الجبارة التي تقوم بها كثير من المؤسسات والمعاهد والهيئات ببلادنا، يستحق القائمون عليها والمنظمون لها والساعون في إنجاحها التشجيع والشكر والتنويه.

غني عن البيان أن المعلوميات والتكنولوجيا الحديثة قد غزتا اليوم قطاعي التربية والتعليم، الأمر الذي جعلهما تقلبان مفاهيمهما رأسا على عقب. وقد أثار إدماجهما في مجال التعليم انتباه كل من المربين والمتعلمين والمسؤولين على حد سواء، وبذلك لم يعد التعاطي بالحاسوب ومعالجة البيانات حكرا على أهل الاختصاص، بل أصبح استعمال الأنظمة الحاسوبية المعلوماتية في متناول جل المستعملين بدءا من المؤسسات التجارية والصناعية والمراكز الكبرى والمعاهد العليا للأبحاث والدراسات، فالخدمات الصحية والمؤسسات التربوية حتى دخول المنازل من غير استئذان.

هذا الأمر بات معلوما لدى القاصي والداني، إلا أنه مع ذلك يمكن أن نبدي بعض الملاحظات الأولية:

1- منذ بداية ظهور تقنيات المعلوميات ووسائل الاتصال المدمجة، نلاحظ أنها قد اتخذت من اللغة الإنجليزية أساسا لها، ومظاهر ذلك عديدة وواضحة

(*) أستاذ بكلية الآداب / فاس

تتمثل في عناصر العتاد ولغات البرمجة وملحقاتهما. وقد حاول الأوربيون والآسيويون مواكبة هذا الانفجار المعلوماتي التكنولوجي وعملوا على تطوير العتاد والبرمجيات لتتوافق مع مطالب استخدام لغاتهم؛ في حين بقيت اللغة العربية تعاني من هذا التحدي رغم كثير من الجهود التي يبذلها بعض العلماء في بعض مراكز البحث.

2- على الرغم من كون اللغة العربية لغة ذات ثقافة واسعة وحضارة عريقة تمكنان من الولوج إلى مكتبة غنية جدا تاريخيا وأدبيا وعلميا ودينيا، فإن الاهتمام المخصص لتطوير استراتيجياتها البيداغوجية والتعليمية لا يزال محدودا جدا. فعلا لقد تطورت أساليب تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية في كل من أمريكا وأوربا وبعض دول آسيا وإفريقيا خلال السنوات الأخيرة -وربما يعود ذلك أساسا إلى عوامل مرتبطة ومتكاملة فيما بينها: سياسية، اقتصادية، دينية- إلا أنها ما زالت لم تستفد كثيرا من الأبحاث والتطبيقات التي تدمج التقنيات التكنولوجية الحديثة في الوقت الذي نجدها تطبق بشكل واسع جدا في بيداغوجية وتعليم اللغات الأخرى.

3- لقد أدى التدريس والتواصل بلغات غير العربية إلى :

أولا- تأخر عام بين المتعلمين: لأن استيعاب لغة الأم واستعمالها في الحياة اليومية يشجع المتعلمين على المشاركة والإبداع، ويمكّن مصطلحاتها من النمو المطرد ويساهم في خلق الألفاظ للتعبير عن المفاهيم والأفكار المستجدة.

ثانيا- تراجع في انتشار وتعميم المصطلحات العربية الفصيحة وحلول المصطلح المستورد محلها: إن صياغة المصطلح العلمي وتعميمه ونشره وتداوله بين المتعلمين والمتواصلين باللغة العربية أمر يغني المعجم العربي الحديث ويساهم بالتالي في ثراء المصطلحات الجديدة ويسهل ولوجها إلى الدرس اللغوي العربي. فنحن نشهد ما تقذف به كل يوم، بل كل ساعة، معاهد البحث والدراسات، سواء داخل الوطن أو خارجه، من مفاهيم جديدة تحتاج إلى:

أ- وضع وصياغة مصطلحات تعبر بدقة وضبط عن هذه المفاهيم المستجدة، وتجميعها ودراستها في معاجم متخصصة، وذلك لأن صياغة المصطلح وضبطه مع ما يمكن أن يرافقه من تفسير وشرح وتداول يعد الوسيلة الأولى لبناء المعاجم المتخصصة التعليمية، وهذا شكل من أشكال تنظيم وتطوير المعارف عن طريق أهم وأجدى الوسائل العصرية المدمجة: التكنولوجيا المعلوماتية والمعاجم المصطلحية.

ب- تذليل العقبات أمام الباحثين في العلوم العربية وذلك بتوفير هذه المعاجم المتخصصة وبنائها بشكل مستمر وتضمينها ما استَجَدَّ من مصطلحات وشرحها وتنظيمها بحيث تكون ملائمة للمفاهيم والأفكار المراد إبلاغها أو التعبير عنها.

ج- إيجاد استراتيجيات بيداغوجية ديداكتيكية تمكن من إدماج هذه المصطلحات وما تحمله من مفاهيم في المناهج الدراسية بحيث يتم التعامل بها وتداولها

واستعمالها بين متعلمي اللغة العربية سواء من لدن أبنائها أومن لدن الأجانب متعلميها أو معلميها.

إن معارف المتعلم سرعان ما تصبح متجاوزة، خاصة في عالم سريع التغيرات، إذا لم يعمل على تجديدها وتطويرها وتداولها باستمرار، وهي حقيقة تعطينا فكرة عن أهمية هذا الإدماج وهذا الانفتاح. وصدق من قال: علموا أولادكم غير ما علمتم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم.

كل هذه المعلومات والملاحظات جعلتنا نفكر في مشروع بناء معاجم مختصة متعددة اللغات، وهو المشروع الذي نحاول أن نقدم أهم معطياته ومبادئه في هذا العرض.

4- بعض ملامح مشروع بناء معجم اصطلاحي لتدريس اللغات:

إن إدراج الوسائل التكنولوجية الحديثة داخل المؤسسات التعليمية من أجل تغيير النظم التربوية والرفع من مستوى المسارات البيداغوجية أصبح الآن واقعا تفرضه الظروف العلمية والتكنولوجية العالمية الحاضرة بالنظر إلى أهميتها الاجتماعية والثقافية، وضرورة تحتمها الرغبة الملحة في انفتاح المؤسسات التعليمية على محيطها الاجتماعي وعلى ميدان الشغل. هذا الواقع العلمي والتقني ذو الأهمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذه الضرورة التي تدعو إلى إيجاد سبيل الالتقاء بين المؤسسات التعليمية والمحيط الخارجي يحاولان أن يجدا هدفهما في الاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة ومن التجارب المنوطة بها، ولعل هذا هو الهدف الأساسي من كل اختراع تكنولوجي والذي يتجلى في وضع وسائل تقنية فعالة تمكن الإنسان من الانفتاح على محيطه الخارجي وذلك من أجل تواصل عالمي وإنساني.

هذا الإدماج للتكنولوجيا التربوية في المشاريع والتطبيقات البيداغوجية للغة العربية يستوجب دراسات حول: التخطيط والإنجاز والتقييم للمسار التعليمي التعلمي، ويعني ذلك:

– التقييم والضبط للاستعمال المتزايد للوسائل التكنولوجية ومتابعة دراسة سبل إدراجها في النظام التربوي.

– التنظيم العلمي للتطبيقات البيداغوجية عن طريق الاستعمال المعقلن لهذه الوسائل التكنولوجية واعتماد فلسفة بيداغوجية تأخذ بعين الاعتبار العناصر النفسية والاجتماعية واللسانية.

وبتعبير آخر إن إدماج التكنولوجيا في تدريس اللغة العربية يجب أن يركز في فلسفته على:

– ما هو ثقافي لغوي: فيما يتعلق بالمادة المتعلمة (المعروضة- المقترحة).

– ما هو نفسي واجتماعي: فيما يتعلق بتكييف واختيار المواد المتعلمة في توافقها مع الجمهور الهدف.

– ما هو بيداغوجي تفاعلي: وهو يتعلق بكل ما يتصل بالنظام الآلي المعتمد لتسهيل الفعل البيداغوجي وإغناء العمل التعلمي.

إن بيداغوجية بهذه المواصفات تهدف إلى اعتماد أهم المبادئ المستجدة التي تتيحها الدراسات والمقاربات التواصلية اللسانية والمعرفية الساعية إلى ترسيخ القدرات التواصلية لدى المتعلمين آخذة بعين الاعتبار الأبعاد اللغوية والثقافية والاجتماعية لهذه القدرة التواصلية التي تكون لدى المتعلمين معرفة علمية

وعملية شفهية وكتابية. وهي بيداغوجية أسميناها ببيداغوجية التعبير الحر المشترك PELP .

والتسمية هنا ليست فقط استدعاء العنصر اللغوي أو الثقافي، كما لا تحدد في عرض المفاهيم اللفظية والتعبيرية، بل تشمل كل العناصر التي تسهم في ترجمة أفكار المتعلم بصورة مرنة للشركاء الآخرين في العملية التعليمية، وهناك من يسميها بالبيداغوجية التوافقية La Péd/Conver.

والترجمة المتضمنة هي ترجمة سياقية تناصية بالأساس، وبذلك فهي ترجمة مداخل معجمية تناصية سياقية تفتح أمام المستعمل طريق الدخول في ثقافة اللغة المتعلمة.

وعلى المستوى الدلالي يقدم البرنامج شروحات دلالية سياقية للمصطلحات المفتاح أولا باللغة العربية ثم بلغات أخرى في نوافذ متعددة. وللمتعلم أن يبدأ من حيث شاء، والانتقال إلى حيث أراد. هذه الشروحات غالبا ما تكون مصحوبة بصور وألوان وبيانات وهي ما يعرف بأنظمة الحاسوب الفائقة الوسائط والتي هي عبارة عن تطوير وإضافات لأنظمة النصوص والملفات المتشابكة.

وعلى المستوى الثقافي يضع البرنامج أمام المستخدم معاني ودلالات أخرى للمصطلح ويقدمه له حسب ما يمكن أن يرد فيه من استعمال في إطار سياقات لغوية وثقافية قريبة من تلك التي ورد بها في النص المقترح. وهي سياقات قد تهم استعمالات أخرى لنفس الكاتب، داخل مؤلفه الذي أخذ منه النص، أو داخل منظومته الفكرية. والهدف من هذه الشروحات والمقاربات هو تنويع وتنمية المعرفة الثقافية وتطوير الحصيلة اللغوية وتعزيز أساليب التمرين والتدريب لدى المتعلمين. فعن طريق دمجهم في حمام ثقافة اللغة المتعلمة ترى المتعلم يلاحظ ويسجل ويخزن المعلومات اللغوية والتاريخية والدينية والاجتماعية وغيرها، فإذا رجع من سفره داخل النص رجع مزودا بقدرة لغوية وثقافية تمكنه من التواصل والتعبير والتحاور مع أبناء تلك اللغة وتلك الثقافة.

وعلى المستوى التركيبي تتم معالجة المصطلحات من حيث بنياتها التركيبية واستعمالها النحوي. والمعالجة من هذا النوع ينبغي أن تكون خدمة للنص، وبذلك يكون موضوعها لغة كاتب معين، ومتن معين، وتحديد المعاني والدلالات والسياقات التركيبية بحسب المنظومة الفكرية للكاتب والمؤلف. وهنا يتم التعرض للعلائق التي تربط المصطلح بباقي المصطلحات داخل النص وداخل المنظومة الفكرية لصاحب النص، كما تتم الإشارة إلى القواعد النحوية التي تتحكم في تركيب ذلك المصطلح داخل الجملة أو داخل الوثيقة بصفة عامة.

وفي المستوى الأخير، مستوى التواصل والتفاعل والتقويم، تتم عملية اختبار المتعلم بالمعلومات المعروضة عليه وتقويم المعرفة التي حصل عليها من خلال سفره داخل النص ومعرفة مدى قدرته على الاستيعاب والفهم والتخزين، وبالتالي التعبير وإعادة الإنتاج. يتضمن البرنامج جملة من التمارين الغاية منها وضع المتعلم مسؤولا عن نفسه مع كثير من تقنيات التشجيع والمساعدة والإعادة والذهاب والرجوع إلى النص الأصل من أجل التحقق واسترجاع المعلومات.

هذا والحقيقة أن هذه الأعمال مازالت في

بداياتها، ونحن إذ نقترحها نأمل أن تكون مساهمة فعالة في تطوير البحث العلمي في مجال بناء وصناعة معاجم عربية اصطلاحية حديثة تستعمل وتشتغل في التدريس والتعليم. إن تطبيقات PELP ترتكز على التفاعلية التي تفضل وتؤكد على المشاركة التامة والتدخل الذكي للمتعلم من خلال استعماله واستخدامه الشخصي للتقنيات التكنولوجية المتاحة لديه بمشاركة ومساعدة أصدقائه في مجموعة القسم. وتجدر الإشارة إلى أن القدرة التواصلية التعبيرية تتكون لدى المتعلمين في نفس الوقت الذي يكتسبون فيه القدرات اللغوية والثقافية، إذ بدون الأولى لا يمكن الحديث عن الثانية، وهذه الأخيرة هي التي ينبغي التفكير فيها مليا عند بناء معاجم اصطلاحية لغوية وثقافية يكون الهدف منها المساعدة في تدريس اللغة والثقافة العربيتين.

لبناء هذا النوع من المعاجم وفق هذه الأسس المنهجية والمبادئ البيداغوجية اشتغلنا على مرحلتين: مرحلة التطبيق ومرحلة التنظير، لأن التطبيق في نظرنا يجب أن يكون قاعدة للتنظير كما يجب أن يكون سابقا له. وللجمع بين المرحلتين قمنا بإنجاز برنامج لغوي تواصلي تفاعلي يتضمن حاليا ستة مكونات وإن كانت ما زالت في مستواها التهييئي بانتظار أن تتم عملية البرمجة والتوزيع والتقييم والاستدراك، وهذه المكونات هي:

1- المكون الصوتي

2- المكون المعجمي

3- المكون الدلالي

4- المقاربة الثقافية لكل مصطلح مع ما يرافق ذلك من تفسير تناصي بلاغي أسلوبي لهذه المصطلحات.

5-التحليل السياقي للمصطلح الوارد في النص المختار.

6- الدراسة التواصلية التفاعلية التقويمية.

فعن طريق الدراسة الصوتية للفونيمات، والشرح المعجمي للمصطلحات، والتناول الدلالي السياقي، والمقاربة للحمولات الثقافية التي يزخر بها المصطلح مع ما يرافق ذلك من تحليل تركيبي وتفسير تناصي بلاغي أسلوبي يمكن للمتعلم الإبحار في بحر من المعلومات اللغوية والثقافية والأفكار التي يقدمها النص المختار بشكل منظم وبصورة أنيقة وجذابة.

فعلى المستوى الصوتي يمكن لمستعمل البرنام التعرف على أصوات اللغة العربية وأن يستمتع بها صوتا (سمعا) وشكلا (خطا وكتابة). كل فونيم من فونيمات النص يمكن تحريكه أو ضغطه بواسطة الفأرة، لتنفتح أمام المستخدم مجموعة من النوافذ متعددة الألوان واللغات، مختلفة الأشكال والمعلومات. وفي حالة رغبة المتعلم التعرف على نطق الفونيم أو الكلمة فإن له أن يضغط بالفأرة على موضع الفونيم أو الكلمة من خلال الجهاز النطقي المخزن داخل الحاسوب ليستمع إلى كيفية نطقه صحيحا فصيحا.

وعلى المستوى المعجمي يمكن لمستخدم البرنام التعرف على ترجمة الكلمات العربية ومقابلاتها في لغات أخرى بمجرد اختيار الكلمة المراد التعرف عليها ثم اختيار اللغة التي يتقنها ويجيدها ليجد ترجمة للمصطلح بأحدث الوسائل التكنولوجية، وهي أعمال تنتظر النضج لتوزع على شبكة الانترنيت من أجل استعمال أوسع وفائدة أعم.

وفي الختام نرجو أن يفتح هذا المشروع باب

النقاش البناء، وأن يكون هدف الحوار والاقتراحات والملاحظات بخصوصه، والتي نرحب بها، تنمية الأفكار وتشذيبها، قاصدا من وراء كل هذا:

1- جعل المعجم العربي يحظى بنصيبه في الاستفادة من المعطيات التكنولوجية الحديثة وإمكانات استثمار مصطلحاته في المجالات البيداغوجية والتعليمية والثقافية.

2- دراسة المصطلحات العربية بمنهج يراعي خصائصها ولا يغفل تطورها، بغية فهم نظام اللغة العربية ونشر علومها، مع محاولة تقريبها من الآخرين بأساليب وطرق جديدة دون المساس بجوهرها.

التحليل الأكستيكي لنبر الكلمة في اللغة العربية

د.عبد الحميد زاهيد(*)

تقديم

عرف (Fonagy 1980 p 125) النبر بأنه "كيان لساني فوق مقطعي (prosodie) ذو وظيفة لسانية (Fonction Linguistique) و هي إظهار المقطع، والذي تتكون ماهيته من أكبر جهد زفيري (expiratoire) ونطقي (Articulatoire). وهذا الجهد ينعكس على المستوى الأكستيكي بتغيرات متميزة في السلسلة النغمية للتردد الأساسي (courbe de fréquence fondamentale) وسلسلة الضغط (courbe de pression sonore) وفي تمديد المدة الزمنية (Durée)".

فالتحليل الأكستيكي يرتكز على دراسة التردد الأساسي، والمدة الزمنية والضغط، والأحزمة الصوتية(Formants vocaliques) في المقطع المنبور (Syllabe accentuée) ومقارنته بالمقطع غير المنبور(accen- syllabe non tuée) .

درس(Fry 1955) للمدة الزمنية والضغط لمجموعة من الثنائيات الإنجليزية التي يلعب النبر فيها دورا تمييزيا- (Fonction distinctive) مثل:(Object- Object) واستخلص بأن المدة والضغط يتغيران بعامل حضور وغياب النبر في الكلمة.

بعد هذه الدراسة، أمكن التعرف بشكل أعمق على التحليات الأكستيكية للمقطع المنبور وذلك بفضل (Liberman 1960) و(Lindblom 1963) و(1967 Liberman) و(Brown et Mcglone 1974) و(1978 Gay). أما بالنسبة إلى الفرنسية، فقد وضحت (1983 Vaissière) أن المقطع المنبور ليس بالضرورة أكثر ضغطا من المقطع غير المنبور. وفي اللغة اليابانية، فإن (Mitsuya et Sugito 1978) وضحا أن النبر لا يغير المدة الزمنية للحركة.

فالهدف من التحليل الأكستيكي هو تحديد العنصر أو العناصر الفيزيائية التي يتحقق بها النبر بغية ربط علاقة تراتبية بينها، لأن "الحركات المنبورة، بصفة عامة، تكون ذات تردد أساسي أكبر ومدة زمنية أطول مقارنة مع الحركات غير المنبورة" (1977 Wayne).

وما التحليل الأكستيكي " إلا مستوى من المستويات الأخرى التي تعالج الظواهر فوق مقطعية" (Vaissière 1983).

(*) أستاذ بجامعة القاضي عياض — كلية الآداب (مراكش)

وسنركز في هذا البحث، على الماهية المادية للنبر وتجلياته الأكستيكية (Acoustique)، في اللغة العربية، كما سنبحث أيضاً في علاقة النبر بقمة السلسلة النغمية (courbe mélodique)، وعلاقة النبر بحركة سلسلة التردد الأساسي (Mouvement de la courbe fondamentale).

عرض للدراسات النبرية في اللغة العربية:

إن أغلب الدراسات التي أنجزت حول النبر في اللغة العربية هي دراسات فونولوجية،نعرض مثلا لِـ (1969 Abdou)، (Brame 1971)، (Maccarthy 1979) و(1981 Bohas et kouloughli)، أما الدراسات الصوتية (phonétique)، فحظها قليل. فبالنسبة إلى Ghalib ، تنحو المقاطع المنبورة إلى كونها أكثر ترددا وأكثر ضغطا، مقارنة مع المقاطع غير المنبورة. ويرى kouloughli et Bohas أن المقاطع القصيرة المنبورة أكثر قوة، وهذا ما يعطيها خصوصيات صوتية وفونولوجية تميزها عن المقاطع القصيرة غير المنبورة. أما Belkaid، من جهته، فيرى أن الحركات المنبورة كيفما كان جرسها (timbre) فإنها لا تتمتع بمدة زمنية أهم من غير المنبورة*. وانطلاقا من عينات مؤلفة(stimulés synthétisés) وضح (Rajouani 1988) أن التردد الأساسي هو العامل الأساسي في إدراك النبر في اللغة العربية.

غاية البحث وإشكالاته.

1- غاية البحث هو دراسة التجليات الأكستيكية للنبر في اللغة العربية. ولكن، للوصول إلى هذا الهدف، اعترضتنا مشاكل ذات طابع منهجي تتمثل في كيفية التعرف على المقطع المنبور، ومدى إمكانية الانطلاق من القواعد الفونولوجية كمعيار لتحديد النبر (*). إضافة إلى ذلك، فإن هذه القواعد قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التناقض. لهذه الاعتبارات، تبين لنا أنه ليس من المنهجي أن ننطلق مما هو فونولوجي لبناء تحليل صوتي. ولحل هذه الإشكالات، لجأنا إلى ما يعرف في علم الأصوات بالاختبار الإدراكي (Teste de perception)، والذي سوف نشرح إجراءاته لاحقا.

2- الغاية الثانية لهذا البحث هي دراسة علاقة النبر بالسلسلة النغمية، وعلاقة النبر أيضاً بحركة سلسلة التردد الأساسي.

منهجية البحث (Méthode)

المتن (Corpus) :

المتن الذي اشتغلنا عليه يتكون من 247 كلمة، تتراوح مقاطعها من مقطعين إلى خمسة مقاطع. ولقد راعينا في المتن أن يكون ممثلا لجميع البنيات المقطعية في اللغة العربية وكذا جميع حركاتها. وقد قمنا بتسجيل المتن من طرف ثلاثة رواة (Sujets) مغاربة في مختبر الصوتيات بباريس 3.

- آليات التحليل المختبري (Matériel d'analyse instrumentale) :

تم تحليل هذا المتن في مختبر الصوتيات في باريس 7 وقد اعتمدنا على ما يلي:

- المدة الزمنية: برنامج(Maxspeech lap programme)
- التردد الأساسي والضغط (Martinoscope)
- التحليل الإحصائي (Stat view)
- السلسلة النغمية(mangographe)

الاختبار الإدراكي:

للاعتبارات السالفة الذكر، لجأنا إلى الاختبار

الإدراكي الذي سوف نحدد بواسطته مكان النبر في اللغة العربية، واعتمدنا، لإجراء هذا الاختبار، على 17 مستمعا (Auditeur) عربيا يتقنون اللغة العربية، حيث تم استدعاؤهم إلى مختبر الصوتيات، وطلب منهم بعد سماعهم كل كلمة من كلمات المتن، تحديد المقطع المنبور، لأن "الأذن تستقبل انطباعات عامة" (1961 Rigault) و"الهدف من التحليل المختبري هو تكملة العمل غير الكامل والناقص للأذن، وأن ميدان الآلات يبدأ عندما ينتهي عمل الأذن". 1961 (Malmberg).

فالأذن ضرورية في المرحلة الأولى لتحديد مكان النبر، لأنها تدرك النبر كارتفاع حاضر في المقطع المنبور وغائب في المقطع غير المنبور، ولكنها لا تملك الإجابة عن سبب هذا الارتفاع وهذه القوة. وهنا سيأتي التحليل الأكستيكي لينهي عمل الأذن مبديا لنا التجليات الأكستيكية التي يتميز بها المقطع المنبور مقارنة مع غير المنبور.

النتائج:

1- المكونات الأكستيكية.

تظهر نتائج تحليل التردد الأساسي أن الحركة المنبورة (Voyelle accentuée) تتمتع بارتفاع في التردد بنسبة 83.33% ما عدا ثلاثة تحققات من مجموع 18 (18=6 حركات uu-u-ii-i-aa-a ×3 رواة (Sujets).

وإذا نحن أمعنا النظر في الحالات الثلاث التي لا تتسم بهذا المنحى نجد حالتين يتساوى فيهما تردد الحركتين، المنبورة وغير المنبورة. وأما الحالة الثالثة فإن الحركة غير المنبورة ذات تردد أكبر من المنبورة.

والجدول الآتي يوضح ذلك بتفصيل:

الرواة	ر1		ر2		ر3	
الحركات	من	غ من	من	غ من	من	غ من
A	177	142	180	175	179	147
Aa	174	156	199	190	189	163
I	159	140	194	180	175	146
Ii	166	179	202	203	219	168
u	170	141	194	180	179	146
u u	180	182	212	205	224	197

جدول 1: قيم تردد الحركات المنبورة وغيرالمنبورة ب (hz).

ر = راو.

من = منبورة

غ من = غير منبورة

أما حصيلة الضغط،نجد أن الحركة المنبورة أكثر ضغطا من غير المنبورة في 55ر55% من الحالات، في حين أن 44.45% من الحالات، فإن المنبورة تساوي أو أقل من غير المنبورة، أنظر الجدول 2 :

الرواة	ر1		ر2		ر3	
الحركات	من	غ من	من	غ من	من	غ من
A	19	20	17	15	19	20
Aa	21	21	17	17	24	23
I	21	15	15	13	19	18
Ii	20	15	13	13	20	21
U	18	15	12	14	20	14
Uu	19	20	14	11	24	21

جدول 2:قيم ضغط الحركات المنبورة وغير المنبورة القيم ب (db).

أما نتائج المدة الزمنية، فتبقى غير مميزة للمقطع المنبور، ويتضح ذلك من النسب الآتية:

38.88 % الحركة المنبورة أكبر من غير المنبورة.

27.27% الحركة المنبورة أصغر من غير المنبورة.

33.33% الحركة المنبورة تساوي غير المنبورة

الرواة	ر 1		ر 2		ر 3	
الحركات	من	غ من	من	غ من	من	غ من
a	6	6	7	7	8	6
aa	15	14	14	15	13	13
i	6	6	6	5	6	6
ii	14	13	11	12	13	10
u	8	6	6	7	6	8
uu	13	13	12	11	11	12

جدول 3: قيم مدة الحركة المنبورة وغير المنبورة القيم ب cs.

ولقد اعتمدنا في تحليلنا الإحصائي على Test T الذي يوضح لنا مدى إيجابية الفارق بين الحركة المنبورة وغير المنبورة.

2- حركة سلسلة التردد الأساسي(Mouvement de la courbe du fondamental.).

سؤالان أساسيان يطرحان في علاقة النبر بالسلسلة النغمية.

أ- هل قمة السلسلة النغمية توازي دائما مكان النبر في الكلمة؟

ب- ما هي طبيعة التردد الأساسي للحركة المنبورة وغير المنبورة ؟

راعينا في تحليلنا هذا مكان النبر في الكلمة ، وذلك بغية اختبار ما إذا كان انتقال النبر في الكلمة له علاقة بقمة السلسلة وطبيعة التردد، فركزنا تحليلنا على الكلمات ذات النبر على المقطع الأخير وما قبل الأخير (Pénultième) وما قبل قبل الأخير (antépènultième) والمقطع الأول.

لمسنا في الأصناف الثلاثة (الكلمات ذات النبر على المقطع الأخير، وما قبل الأخير وما قبل قبل الأخير) اتجاهات مشتركة عند الرواة الثلاثة، فقمة السلسلة تكون دائما على الحركة المنبورة، ونفسر ذلك بالجهد النطقي الكبير الذي يتطلبه نطق الحركة المنبورة والذي يترتب عنه توتر الحبال الصوتية، وزيادة في ارتفاع التردد الأساسي. أما الصنف الرابع (النبر على المقطع الأول) فإن الرواة لا يشتركون في نفس المنحى، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

	ر1	ر2	ر3
المقطع الأخير	% 90	% 80	% 60
ما قبل الأخير	% 90	% 100	% 100
ما قبل قبل الأخير	% 50	% 90	% 90
المقطع الأول	% 0	% 90	% 30

جدول 4: يوضح نسب التقاء النبر بقمة السلسلة النغمية في أصناف الكلمات الأربعة.

تكون حركة التردد الأساسي للحركة المنبورة مقارنة مع قبل المنبورة (preaccentuée) وبعد المنبورة(postaccentuée))، صاعدة (/) (montante) أو صاعدة متبوعة بانحدار (/‾) (montante + chute) وكلما اتحدت قمة السلسلة مع مكان النبر، يكون التردد الأساسي صاعدا أو صاعدا متبوعا بانحدار. وإذا غاب هذا الاتحاد ، بدا شكل التردد الأساسي مستويا (-) (plat) أو هابطا (\) (descendant). ونفسر هذا الصعود بتوتر في الحبال الصوتية، وكلما زاد التوتر زادت قيمة التردد، وبدا على الرسم الطيفي (sonagramme) على شكل صاعد. وأما هبوط سلسلة التردد، فمعناه ارتخاء في الحبال الصوتية.

الجدول التالي يوضح ذلك بتفصيل.

	ح قبل المنبورة	ح المنبورة	ح بعد المنبورة
المقطع الأخير	صاعدة هابطة مستوية	صاعدة أو صاعدة + انحدار	
ما قبل الأخير	هابطة مستوية	صاعدة أو صاعدة + انحدار	هابطة مستوية
ما قبل قبل الأخير	هابطة مستوية	صاعدة أو صاعدة + انحدار	هابطة مستوية

جدول5: يوضح طبيعة حركة التردد الأساسي للحركة المنبورة وقبل المنبورة وبعد المنبورة

ح = حركة

يخلص من هذا التحليل أن النبر في اللغة العربية تحكمه ثلاث علاقات:

1- النبر / قمة السلسلة.

2- النبر/ حركة صاعدة للتردد الأساسي.

3- قمة السلسلة/حركة صاعدة للتردد الأساسي

خلاصة:

النتائج المستخلصة من هذا البحث هي كما يلي:

- التردد الأساسي هو المكون الأكستيكي الأساسي الذي يتحقق به النبر في اللغة العربية.

- يبقى مكون الضغط أقل دلالة إن قورن بالتردد الأساسي ، أما المدة الزمنية فتبقى غير متأثرة بالنبر في اللغة العربية.

- يؤكد التحليل الأكستيكي النتائج المحصلة في الاختبار الإدراكي، وذلك بتميز المقاطع المنبورة بارتفاع في ترددها الأساسي.

- يوازي مكان النبر في اللغة العربية أعلى قمة في السلسلة النغمية للوحدة المنبورة (Unité accentuelle).

- تكون حركة التردد الأساسي للحركة المنبورة صاعدة أو صاعدة يتبعها انحدار، وكلما اتحد مكان النبر بقمة السلسلة تولد عن ذلك القانون السالف الذكر.

بيليـــوغرافيـــا المصـــادر والمراجـــع

1- ANDRE , J (1957)
« Accent , timbre et qualité dans les emprunts du latin au grec ».
Bulletin de la société de linguistique 53:138 - 158.

2- AVRAM , A (1967).
« Sur le rôle de la fréquence dans la perception de l'accent en roumain ».
Proceedings of the sixth international congress of phonetic sciences:137-141.

3- BERGER, M.D (1955)
« Vowel distribution and accentual proeminence in modern English ». word 2: 138-158.

4- BOLINGER D.L (1958).
« On intensity as a qualitative improvement of pitch accent ».lingua 7: 175-182.

5- BENGUEREL , A.P (1973).
« Corrélats physiologiques de l'accent en français ». Phonética 27:21-35.

6- BEAUCHEMIN, NA (1971).
« Corrélation des durées sous l'accent en français ».
Proceeding of the 7th international congress of phonetic science, Montréal: 60-865.

7- BOHAS, G.et K Ouloughli, J.M (1981)
« Processus accentuels en arabe ».
Analyse théorique 1: 1-59.

8- CALLAMAND , M (1967).
« Etude expérimentale des composantes de l'accent en français ».
Studies in language and language behaviour 5:381-394.

9- ENOCH, P (1967).
« L'accent en hébreu israélien, ses fonctions et sa nature phonétique ».
Revue de phonétique. appliquée 6:3-15.

10- FRY, D.B (1955)
« Duration and intensity as a physical correlation of linguistic stress ».
Journal of acoustical society of America 27: 765-768.

11- FONAGY , I(1966).
« Electrophysiological and Acoustic correlates of stress and Stress perception ».
Journal of Speech and Hearing Research 9:231-244.

12- FONAGY , I (1980)
«L'accent français: accent probabilitaire ».
Studia phonetica 15: 123-133.

13- KOULOUGHLI , D. E (1976).
« Contribution à l'étude de l'accent en arabe littéraire ».
Annales de l'université. d'Abidjan, série H linguistique : 115-130.

14- MALMBERG, B (1962):
« Analyse instrumentale et structurale des faits d'accent ».
Actes du 4ème congrès des sciences phonétiques.Helsinki : 456-475.

15- MALMBERG ,B (1966):
« Analyse des faits prosodiques, problèmes et méthodes ».
Cahier de linguistique. théorique et appliquée 3:99-107.

16- RIGAULT , A (1970).
« L'accent dans deux langues à accent fixe, le français et le tchèque ».
Analyse des faits prosodiques.Studia phonética 3.1-12.

17- RIGAULT, A ET ARKWRIGHT,T : (1972).
« Les paramètres acoustiques de l'accent en tchèque ».
Proceeding of the 7 th international congress of phonetics sciences.Mouton: 1004-1011.

18- ROSSI , M (1967)
« Sur la hiérarchie des paramètres de l'accent ».
Proceeding of the 6 th international congress of phonetics sciences.Prague.: 779-786.

19- ROSSI ,M (1969)
« L'accent de mots et ses limites ».
Acte du X ème congrès international des linguistes. Bucarest :175-180.

20- ROSSI , M (1970).
« Au sujet des paramètres de l'accent ».
Proceeding of the 6 th International congress of phonetics sciences. Prague: 779-786.

21- ROSSI , M (1971)
« L'intensité spécifique des voyelles ».
Phonéticav 24 N 3. 129-161.

22- WAYNE , L(1977)
« Acoustic correlates of stress and juncture ».
Southern California , occasional paper in linguistics. Studies instress and ac..

الخليل بن أحمد والكتاب

د.حنا حداد (*)

يظهر لكل من يقرأ كتاب سيبويه أو يقلب صفحاته، أن الرجل قد أكثر من ذكر اسم الخليل بن أحمد والرواية عنه والإشارة إليه، كثرة جعلت عبد السلام هارون محقق الكتاب يحجم عن رصد أرقام المواطن التي ورد اسمه واسم يونس بن حبيب فيها بحجة أن اسميهما قد كثرا في الكتاب كثرة مفرطة[1] .

كما أن علي النجدي ناصف في كتابه " سيبويه إمام النحاة" لم يرصد المواطن التي ذكر اسم الخليل فيها بشكل مفصل ، واكتفى بالقول: " إن جملة ما روى عنه في الكتاب (522) مرة، وهو قدر لم يرو مثله ولا قريبا منه عن أحد من أساتذته" [2].

ولا أذكر – فيما أعلم– أن باحثا قد أولى هذا الجانب من كتاب سيبويه بعض اهتمامه، فقام بعمل فهرس واف لما نقله سيبويه عن الخليل، أو رصد مواطن هذا النقل في كتابه وتحدث عنها. ومن هنا، جاء اهتمامي بهذا الجانب من الكتاب وببعض ما يتصل به من القضايا، فكانت هذه الدراسة.

*****

المتتبع لما نقله سيبويه عن الخليل في كتابه، يتبين له أنه قد ذكر اسمه صراحة، أو عناه دون تصريح باسمه في (548) موضعا، وهو رقم يزيد عما ذكره ناصف ب(26) موضعا، وقد تنوعت الإشارة إلى الخليل والإحالة إليه وذكر اسمه في الكتاب تنوعا كبيرا فكانت جملة الأشكال التي ورد النقل عنه فيها اثنين وأربعين شكلا تمثلها النماذج التالية:

النموذج الأول: وفيه يذكر سيبويه اسم الخليل ويترحم عليه، مثل:

وزعم الخليل رحمه الله.

وقال الخليل رحمه الله.

وسألت الخليل رحمه الله.

وروى الخليل رحمه الله. وغير ذلك.

النموذج الثاني: وفيه يغفل سيبويه اسم الخليل ولكنه يعنيه ويترحم عليه، مثل:

وزعم رحمه الله.

وسألته رحمه الله.

وسألناه رحمه الله. وغير ذلك.

النموذج الثالث: وفيه يذكر سيبويه اسم الخليل دون ترحم ، مثل:

وزعم الخليل.

وقال الخليل.

وأنشدنا الخليل. وغير ذلك.

(*) أستاذ بجامعة اليرموك — إربد (الأردن)

النموذج الرابع: وفيه يغفل سيبويه اسم الخليل- وان كان يعنيه- ولا يترحم عليه، مثل:

وزعم.

وقال.

وسألته.

وأنشدنا. وغير ذلك.

والذي يلفت الانتباه، أن عدد المواطن التي لم يترحم فيها سيبويه على الخليل، تفوق كثيرا تلك التي ذكره وترحم عليه فيها. فقد بلغ عدد المرات التي لم يترحم عليه فيها (419) مرة، مقابل (129) مرة هي التي ترحم عليه فيها.

كما أن الذي يلفت الانتباه، أن عبارات الترحم على الخليل، جاءت جميعها في الجزءين الأول والثاني من تجزئة هارون، أي في القسم الأول من الكتاب. أما الجزء الثالث والرابع، وهما بقية الكتاب فقد جاءا خاليين تماما من عبارات الترحم هذه [3]، فما الذي تعنيه هذه الظاهرة؟ وما الذي يستفاد منها في تحديد تاريخ تأليف الكتاب ؟

يقول عبد السلام هارون:"لا ريب أنه ألف بعد موت الخليل (160هـ)لأن مخطوطات الكتاب نجد فيها كثرة التعقيب على قول الخليل بعبارة"رحمه الله" [4].

ويقول علي النجدي ناصف : "لا نعرف متى بدأ سيبويه يصنف كتابه، ولا متى فرغ منه لا جملة ولا تفصيلا. على أني وجدت في الكتاب جملة عابرة يمكن أن تكون إشارة إلى جملة الوقت الذي كان يصنفه فيه... حيث يقول: ... وهذا قول الخليل رحمه الله.

ثم يتابع ناصف قائلا: وما رأيت سيبويه يدعو لشيخه بالرحمة إلا في هذا الموضع، ولا رأيته يذكره في هذا الباب إلا في هذا الموضع أيضاً... فإن كان النص الذي نقلناه آنفا هو ما خطه سيبويه في الكتاب و لم تكن الجملة الدعائية دخيلة فيه، صح لنا القول إنه رحمه الله صنف بعض الكتاب في حياة الخليل وصنف البعض الآخر بعد موته " [5].

والذي قاله ناصف بهذا الصدد صحيح، فإن جملة "رحمه الله" لم ترد في الكتاب الذي طبع في بولاق (وهي النسخة التي كانت بحوزته عند تأليف كتابه) إلا في الموطن الذي أشار إليه [6]. وهذا يؤكد أن النسخ الخطية التي اعتمد عليها هارون في إصدار طبعته التي بين أيدينا، ليست هي النسخ التي كانت أساساً لطبعة بولاق.

وإذا صح لنا أن نأخذ جملة " رحمه الله" إشارة لتحديد تاريخ البدء في تأليف الكتاب، وأن البدء في تأليفه، كما يقول عبد السلام هارون، كان بعد موت الخليل، فإن العرف والمنطق يفرضان أن تكون جملة " رحمه الله" منثورة في الكتاب بأجزائه الأربعة. ولكننا وجدنا هذه الجملة الدعائية في القسم الأول من الكتاب (الجزءان الأول والثاني)-كما أسلفنا- و لم نعثر عليها البتة في القسم الثاني منه(الجزءان: الثالث والرابع). فهل يعني هذا أن سيبويه كان قد وضع مادة القسم الثاني من كتابه في حياة الخليل، ثم وضع مادة القسم الأول منه بعد وفاته بترتيب معكوس؟

ليست هذه النتيجة مما يطمئن إليه، وليست الجملة الدعائية " رحمه الله" بهذا الوضع الذي جاءت عليه في الكتاب إشارة صالحة لتحديد التاريخ الذي بدأ سيبويه تأليف كتابه فيه، لأنها- في تقديرنا- جملة مقحمة على أصل الكتاب، وضعها الناسخون الذين تعاقبوا

على نسخه. والذي نميل إليه أن زمن تأليف الكتاب ما زال مجهولا لنا، إلا إذا صح الخبر الذي ذكره الزبيدي في طبقاته، وصورته: " حدثنا أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي عن إبراهيم بن السري، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبي: تعال نحيي علم الخليل"[7].ونصر هذا ، هو ابن علي بن نصر بن علي الجهضمي زميل سيبويه ورفيقه في التلمذة على الخليل [8]. فإن صح هذا الخبر فإن سيبويه قد شرع في تأليف كتابه، بعد موت الخليل دون تحديد لسنة بعينها.

والذي نميل إليه، أن النسخة (النسخ) التي اعتمد عليها هارون وجعلها أصلا لنشرة الكتاب الذي نتداوله اليوم، هي نسخة (نسخ) أحدث عصرا أو أغنى عبثا وأثرى زيادة من تلك التي كانت أصلا لنشرة بولاق. ودليلنا على هذا أنا وجدنا سيبويه في نشرة هارون يترحم على الخليل ويونس معا. والذي لا خلاف عليه أن يونس بن حبيب كان حيا بعد وفاة سيبويه، وأنه نظر في كتابه، وأنه صدقه فيما نقل عنه. فقد قالوا: " لما مات سيبويه قيل ليونس : إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة في علم الخليل، فقال يونس: ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله ؟ جيئوني بكتابه. فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى قال :" يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عني" [9].

وإذا كان سيبويه قد توفي بعد يونس، فكيف نفسر إذن قول سيبويه في غير موضع من كتابه: " وزعم يونس والخليل رحمهما الله [10]. وقوله: " وهذا قول يونس والخليل رحمهما الله"[11] وقوله: و لم يجز يونس والخليل رحمهما الله [12]. كيف نفسر مثل هذا إلا أن يكون الذي نسخ هذه النسخة قد نسخها بعد موت الرجلين بأمد، وأضاف إليها هذا الترحم عليهما.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترحم على يونس بخاصة، لم يرد في الكتاب إلا في هذه المواضع التي أشرنا إليها، على الرغم من أن اسم يونس قد ذكر في الكتاب من أوله إلى آخره في (200) موضع [13]. كما أن اسمه كثيرا ما كان يقترن مع اسم الخليل في خبر واحد وسماع واحد. ومع هذا، نجد الترحم على الخليل وحده دون يونس مثل قوله:

وزعم الخليل رحمه الله ويونس [14].

أو: وسمعناه من الخليل رحمه الله ويونس [15].

أو: وسألت الخليل رحمه الله ويونس [16].

أو: وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس [17].

وغير هذا من التفاوت في النظر إلى الرجلين والتفريق بينهما، الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد أن الذين تعاوروا نسخ الكتاب كانوا مختلفي المشارب موزعي الأهواء. وليس من حرج بعد هذا إن ادعينا أن هؤلاء النساخ قد خلطوا بين أجزاء الكتاب الأم، وأنهم قد أضافوا إليه، من جملة ما أضافوا، بعض لشواهد الشعرية بعد أن أسقطوا بعضها الآخر (18) ، وأنهم رتبوا بعض مواده ترتيبا عشوائيا، هو أقرب إلى ترتيب الوراقين منه إلى ترتيب النحاة وفقهاء العربية ، فجاءت بعض مواد الكتاب في غير موضعها الذي يجب أن تكون فيه، ومن غير رابط يربطها بما حولها أو موجب يفرضها حيث جاءت. وقد كشف علي النجدي ناصف رحمه الله عن هذا الوجه من اضطراب

الترتيب في الكتاب فقال: " على أن ثمة أبوابا تبدو في موضعها غريبة مقحمة لم أستطع أن أجد تأويلا لمقامها حيث تقيم" [19].

كما تحدث عما أصاب الكتاب من تحريف وتصحيف، وما أضيف إليه من زيادة وتعليق فقال: " ولقد تعرض الكتاب لبعض ما تعرضت الكتب القديمة له من تغيير في نصوصها وتحريف. وأول ما أصابه من ذلك، زيادات أضيفت إليه من تعليقات الأخفش على حواشيه، ويظهر أن أمر هذه الزيادات كان معروفا ومسلما، لا يكاد يجهله أحد أو يماري فيه أحد" [20]. ومن بين هذه الزيادات ما نسب لأبي الخطاب الأخفش كما هو معروف [21]، ومنها أيضا ما نسب لأبي عمر الجرمي [22].

أما الأخفش، فعلاقة سيبويه به علاقة معروفة ومشهورة. فهو من أساتذته الذين أخذ عنهم وتتلمذ عليهم. وقد ذكره سيبويه وروى عنه في كتابه سبعا وأربعين مرة[23].

وأما الجرمي، فهو صاحب نسبة كثير من شواهد الكتاب الشعرية إلى قائليها. فقد أثر عنه قوله: نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا. فأما الألف فعرفت أسماء قائليها فأثبتها. وأما الخمسون فلم أعرف قائليها [24].

وقد تحدث الإخباريون وكتاب التراجم عن أبي عمر الجرمي، فعرفوا به وذكروا له الفضل في أنه كلن مع رفيقه أبي عثمان المازني السبب في إظهار كتاب سيبويه للناس ومعرفتهم أنه له، بعد أن هم الأخفش بادعائه لنفسه أو كاد.

كما تحدثوا عن إعجاب الجرمي بسيبويه وكتابه، مع أن الجرمي- كما زعموا- لم يلق سيبويه و لم يعرفه معرفة شخصية[25]، وهو ما لا نعتقده، وما لا يجب أن يؤخذ به.

فقد مر بنا أن الجرمي قال: نظرت في كتاب سيبويه... الخ. وليس في هذا الخبر ما يشير إلى أن الجرمي قد لقي سيبويه أو لم يلقه. كما لا يستفاد من هذا الخبر أن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية أولا. غير أن السيوطي يروي لنا هذا القول المنسوب للجرمي بشكل مغاير يثير غير قضية وتساؤل. فقد قال السيوطي: قال الجرمي: في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتا. سألته عنها فعرف الفدو لم يعرف خمسين [26].

فضمير الغائب من قوله (فسألته) والفاعل المقدر بالضمير المستتر لكل من الفعلين (عرف) و(يعرف) عائد على سيبويه، وهذا يعني أن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية وأنه اطلع على كتابه في حياته وأنه سأله عن الشواهد الشعرية فيه فعرف سيبويه أصحاب ألف منها و لم يعرف أصحاب الباقية.

والجديد في هذه الرواية للخبر يضعنا أمام احتمالين:

الأول: أن رواية الخبر كما أوردها السيوطي صحيحة، وأن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية، وأنه اطلع على كتابه وسأله عن بعض جوانبه. وكان الإخباريون قد زعموا أن الجرمي لم يعرف سيبويه و لم يلقه، وأن الكتاب لم يكن متداولا و لم يعرفه الناس إلا بعد وفاة صاحبه، كما يستفاد من هذه الرواية، أن سيبويه كان يحتج في كتابه بالشعر الذي لا يعرف قائله.

الثاني: أن السيوطي قد وهم في هذا الخبر فساقه من الذاكرة ونسب للجرمي ما لم يقله، على الرغم من شهرة هذا القول وتداول الناس له. وبهذا، يكون السيوطي قد أساء إلى سيبويه من حيث لم يقدر.

والذي نميل إليه من هذين الاحتمالين هو الأول، إذ ليس عندنا ما يمنع أن يكون الجرمي قد عرف سيبويه معرفة شخصية وأنه التقاه وسأله وناقشه في كتابه.

فكل من الرجلين بصري الموطن.

وكل من الرجلين من عصر واحد.

وكل من الرجلين قد ناظر الفراء.

وكل من الرجلين قد أخذ بعض علمه عن يونس وأبي زيد.

وكل من الرجلين مشغول بالنحو مهتم بقضاياه.

إلى غير ذلك من الأمور التي يشترك فيها الزملاء والأقران في كل عصر، فكيف يعقل إذن، ألا يلتقي رجلان توافرت لهما هذه المزايا والظروف؟ وكيف يعقل ألا يجتمعا في بعض الدرس عند واحد ممن تتلمذا عليهم، أو في البلد الذي عاشا فيه؟.

لسنا ننكر أن سيبويه أسن من الجرمي، فقد أجمع الذين أرخوا للرجلين على أن الجرمي توفي سنة 225هـ، ولكنهم اختلفوا على وفاة سيبويه فجعلوها في واحدة من السنوات المحصورة بين 161هـ-194هـ[27]. نقول: لسنا ننكر الفارق السني بين الرجلين، ولكننا ننكر أن يكون هذا الفارق السني حائلا دون أن يلتقي الرجلان وهما من بلد واحد، وعقبة تحول دون أن يعرف كل منهما الآخر وهما متعاصران. ولهذا، تكون رواية الخبر كما أوردها السيوطي- عندنا- أكثر دقة وصدقا من تلك التي ذكرها سواه. ويكون الجرمي بذلك قد عرف سيبويه عن قرب والتقاه وسأله وناقشه في كتابه. ويكون سيبويه استنادا إلى هذا قد احتج في كتابه بشعر لا يعرف قائلوه، وما لا يعرف قائله ليس بحجة كما أجمع عليه العارفون بهذه الصناعة.

ولعل ما يدعم هذا الذي ندعيه عن احتجاج سيبويه بالشعر المجهول القائل، أنا وجدنا سيبويه يسمع الشعر ممن يملكون أن يعرفوه بقائله، ولكنه لا يسألهم عنه، فكأنه لا يريد أن يعرفه. أو كأن الذي يهمه من الشعر ما جاء فيه لا من قاله. فقد استشهد في كتابه بقول الشاعر:

وهيج الحي من دار فظل لهم

يوم كثير تناديه وحيهله

ثم علق على الشاهد بقوله: " **وأنشدناه هكذا أعرابي من أفصح الناس وزعم أنه شعر أبيه**" [28].

فلو كان سيبويه معنيا بمعرفة قائل هذا الشاهد لسأل هذا الأعرابي عن اسم أبيه، ولنسب البيت إلى قائله، ولكنه لم يفعل فبقي الشاهد في كتابه حتى يومنا هذا لا يعرف له قائل، إلا أنه لرجل من بني أبي بكر بن كلاب أو من بجيلة[29].

وأكثر من هذا، فقد وجدنا سيبويه يسمع بعض الشعر من أصحابه الذين قالوه، ثم يستشهد به في كتابه دون أن يذكر اسم من قاله. فقد استشهد في كتابه بقول الشاعر:

فتى الناس لا يخفى عليهم مكانه

وضرغامة إن هم بالحرب أوقعا

ويقول الشاعر:

إذا لَقِي الأعداءَ كان خَلاتَهُمْ

وكَلْب على الأدْنَيْنَ والجَارِ نَابحُ

ثم علّق على الشاهدين بقوله: " **كذلك سمعناهما من الشاعرين اللذين قالاهما**" (30).

ولو أن سيبويه كان يعرف الشاعرين صاحبي هذين الشاهدين لذكر اسميهما. بل لو كان الشاعران من المشهورين، لما بقي الشاهدان حتى اليوم من جملة شواهد الكتاب التي لا يعرف لها قائل. وهذا ما يشجعنا على القول: إن سيبويه لم يكن يهتم كثيرا بمعرفة أصحاب الشواهد التي يحتج بها، ولم يكن عنده فرق بين أن يكون الشاعر الذي يحتج بشعره مشهورا أو مغمورا. أو هو ممن يجوز الاحتجاج بشعرهم أولا. وهذه قضية تستوجب النظر.

وثمة قضية أخرى في الكتاب تستوجب النظر أيضا، ونعني بها عودة الضمير في قول سيبويه: (وسألته) أو (وقال) فقد قال أبو سعيد السيرافي: وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلّما قال سيبويه " وسألته" أو " وقال" من غير أن يذكر قائله، فهو الخليل (31).

والصحيح أن هذا التعميم من السيرافي ليس شاملا ولا ينسحب على كثير مما جاء في الكتاب من قوله : " وسألته" أو " وقال" فلو أنا قرأنا- مثلاً- في الصفحة (126) من الجزء الأول من الكتاب (باب الأفعال التي تستعمل وتلغى) لوجدنا سيبويه يقول بالحرف : وسألته عن أيّهم، لِمَ لَمْ يقولوا : أيّهم مررت به؟ فقال: لأن أيّهم هو حرف استفهام... الخ ولم يرد للخليل في هذا الموطن ذكر، بل كان الذكر فيه للأخفش،وهو المعني لا الخليل.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المتأمل فيما نقله سيبويه عن الخليل، يجد أن بعضه مما لم يسمعه مباشرة من الخليل، بل إنه مما روي له على لسانه أو ذكر له أنه قاله، وهو ما يستفاد من قوله: " وقد ذكر لي بعضهم أن الخليل قال " (32). وقوله : " وحدثني من لا اتهم عن الخليل أنه سمع" (33). وقد يكون في هذين النقلين دليل على أن الرجل قد وضع كتابه بعد موت الخليل، وإنْ لم يكن من القوة بمكان.

تصويب:

لاشك في ان تحقيق كتاب ككتاب سيبويه وعمل الأقاليد له والفهارس المختلفة لما جاء فيه وخدمته بالشكل الذي ظهر فيه، من الأعمال التي لا تطاول. ولا سيما إذا كان الذي نهد لهذا العمل وقام به شيخ المحققين المعاصرين عبد السلام هارون رحمه الله فهو أستاذ الأساتذة وعلم الأعلام في هذا المجال. غير أن الكمال لله وحده، فقد عثرت على تحريف واضح في نص مشترك بين الصفحتين (176) و(177) من الجزء الرابع من الكتاب يجدر ألا يبقى كما هو عليه. أما النص فهو:

" وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيتُ رَجُلأْ فيهمز.وهذ حُبْلَأْ. وتقديرهما: رَجُلَعْ وحُبْلَعْ فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخف عليهم".

هذا هو النص.

أما التحريف فهو في قوله : (رَجُلأْ) وتقديرها (رَجُلَعْ) إذ ليس في هذه الكلمة ألف لتكون قريبة من

الهمزة، كما كانت الألف في (حبلى). وقد ضبطها هارون رحمه الله كما أثبتناها هنا، وقد وردت الكلمة بالضبط نفسه في طبعة بولاق (285/2) و لم يلتفت إليه أحد.

والصحيح أن الكلمة هي (رجلى) بفتح الراء وسكون الجيم، على وزن (فعلى) مثل : عجلى وسكرى. ويؤكد هذا ما جاء في لسان العرب [34]:

... وامرأة رجلى مثل عجلى... الخ.

****

وبعد هذه الوقفة مع بعض ما يتعلق بالكتاب وصاحبه، فهذا فهرس مفصل بأرقام الصفحات التي ورد اسم الخليل فيها صراحة أو إيماء في كتاب سيبويه الذي حققه عبد السلام هارون رحمه الله، وهو المتداول الآن بيننا، والذي عليه الاعتماد فيما ينشر من البحوث والدراسات نظرا لنفاد طبعة بولاق والطبعة المصورة عنها. وقد وضعته في شكلين:

الشكل الأول: وفيه سردت أرقام الصفحات التي ذكر اسم الخليل أو أشير إليه فيها وفق ترتيب صفحات الكتاب بأجزائه الأربعة، دونما نظر إلى شكل التعبير الذي تضمن الاسم أو الإشارة.

الشكل الثاني: وفيه رصدت أشكال التعبير التي تضمنت التصريح باسم الخليل أو الإشارة إليه، دونما تقيد بالترتيب الذي جاءت عليه في الكتاب.

* * *

الشكل الأول

الجزء الأول:

72،92،102،159،166،193،274،279،(مرتان)،283، 286 (3 مرات)،291،(3 مرات) 295،323،347،351،361 (مرتان) 374 (3مرات) 375، 377، 378 (مرتان)374،389، 393،394،395 (3 مرات) 400،409،428 (مرتان) 437 (3مرات).

الجزء الثاني:

13 (مرتان) 14،26،41 (3مرات) 47(مرتان)48،59، 60 ،65،66،74،75 (مرتان) 76 (مرتان) 77،80،83 ، 84، 85 (مرتان) 92،101(مرتان) 105،108،110،112 (مرتان)، 116 مرتان) 117،119،120 (مرتان) 127، 129، 131، 134، 135، 138، 149، 153 (4 مرات)154، 159، 160، 162،164،169،171،172،180 (مرتان) 182، 183(3مرات) 184 (4مرات) 186، 187 (مرتان) 188، 191، 192،195،196 (مرتان) 197،199 (مرتان) 205، 206، 207، 210،211،212،214،218،221 (مرتان) 225، 226،227 (مرتان) 228،235(مرتان)236، 238،255، 263، 265،267،273،275،276،281،286،287،292،293 (مرتان) 308،314،323،330 (مرتان) 335،338 (مرتان) 344،348،350،354(3 مرات) 357،360،369 (مرتان) 370، 372،374،378 ، 382، 388، 389،397 (مرتان) 398،399،401،402،404 (3 مرات) 407 (3مرات) 409 (3 مرات) 415.

الجزء الثالث:

5 (مرتان) 14،16 (مرتان)17،20،23،36، 37،38، 46، 50،51،54،59،60 (مرتان) 63 (4 مرات) 64 (3مرات) 65،73،79،86،87 (مرتان) 88 (مرتان) 94،97، 100 (مرتان) 101 (مرتان) 102 (مرتان) 103،104 ، 105، 106(مرتان) 107،108،116،119،122 (مرتان) 123(مرتان) 126،127،128،129،130 (مرتان)

133، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 144، 145،
147، 148، 149 (مرتان) 151، 161 (مرتان) 162(مرتان)
163، 174 ، 186، 193، 197، 203، 204، 205، 206،
217 (مرتان) 218 (5مرات) 219، 220، 224 (4مرات
225(3مرات) 227، 228، 232، 233، 236 (مرتان)237،
245، 246، 261، 263، 264، 266، 278، 281، 282
(3مرات)283، 286 ، 287، 288، 289 (3مرات) 290، 291
(مرتان) 293، 294 (3مرات) 295، 302، (3مرات)
303، 305، 307، 310 (3مرات) 311 (مرتان) 312
(4مرات) 314، 316، 317، 320، 321 (مرتان) 324،
325 (3مرات) 326، 328، (مرتان) 329 (مرتان) 330
(مرتان) 331، 332 (3مرات) 333، 335، 336، 337
(مرتان) 339 (مرتان) 340، 341، 345 (مرتان) 346،
347، 348، 350، 353، 361، 361، 362، 363 (مرتان)
374 (مرتان) 376، 378 (مرتان) 380، 382، (مرتان)
384 (مرتان) 385 (مرتان) 387، 392، 396، 400
(مرتان) 405، 410 (مرتان) 411، 413 (مرتان) 418،
419، 426 (مرتان)430، 432، 436، 439، 445، 448،
456، 461، 462، 464، 467، 474، 475، 476، (مرتان)
477 (مرتان) 481 (مرتان) 482 (مرتان) 483 (مرتان)
484 (مرتان) 487 (مرتان) 490، 497، 499، 500،
501، 507، 509، 522 (3مرات) 525، 529 ، 532، 535،
542، 549 (مرتان) 552، 562، 564، 577، 599 (3مرات)
620، 622، 623، 624 (مرتان) 636، 639، 648 .

الجزء الرابع:

40، 59، 61، 75، 97، 115(مرتان) 135، 148، 155، 162،
169 (3 مرات) 172، 176 (مرتان)181، 184، 200، 210 ،
214، 217، 223، 228، 241، 279، 323، 329 (4 مرات) 330،
332، 333(مرتان) 344، 355، 356 (مرتان) 358،
365، 366، 374 (مرتان) 377، 379 (مرتان) 380، 381،
386 (مرتان) 387 (مرتان) 393 (4مرات) 395،
398، 399 (3مرات)، 401، 405 (3مرات) 409، 419، 443،
444، 455.

الشكل الثاني

الجزء الأول:

وقد ورد اسم الخليل في هذا الجزء (44) مرة، ترحم عليه في (25) موضعا، و لم يترحم في (19) موضعا. وهي كما يلي:

* وزعم يونس والخليل رحمهما الله : 428.
* وزعم الخليل رحمه الله: 159، 291، 295، 323، 347، 348، 361، 374(مرتان) 375، 378، 384، 394، 395، 409.
* وزعم الخليل: 72، 286، 351، 361، 374، 393، 428.
* وزعم : 274، 291.
* قال الخليل رحمه الله: 286، 395 (مرتان) 437.
* قال الخليل : 166، 279، 283، 400.
* قول الخليل رحمه الله: 92، 286، 291، 437.
* قول الخليل :102.
* تفسير الخليل رحمه الله: 377.
* تفسير الخليل :437.
* وحدثني ... عن الخليل: 279.
* وكان الخليل : 193.
* وهو عند الخليل :378.
* ولا أعلم الخليل: 389.

الجزء الثاني:

وقد ورد اسم الخليل في هذا الجزء صراحة وإيماء (153) مرة. ترحم عليه في (104) مواضع. ولم يترحم في (49) موضعا. وهي كما يلي:

* وزعم الخليل رحمه الله:13، 26، 47، 76، 83، 84، 85، 101، 108 (مرتان)، 116 (مرتان) 127، 129، 169، 172، 180، 188، 196، 197، 205، 207، 211، 218، 221، 225، 226، 227، 235، 238، 255، 265، 267، 275، 276، 235، 237، 255، 265، 267، 267، 275، 276، 292، 335، 344، 350، 354، 404، 407، 409، 415.

*وزعم رحمه الله: 13.

* وزعم الخليل: 59، 65، 75، 112، 131، 135، 162، 221، 323، 323، 378، 399، 409.

* وزعم : 47، 228، 235، 273، 354، 369، 409.

*وقال الخليل رحمه الله:41(3مرات) 74، 85، 105، 120، 171، 184، 186 (مرتان) 187(مرتان) 192، 196، 199، 206، 227، 287، 293 (مرتان) 314، 330، 354.

* وقال الخليل: 66، 119، 138، 153.

* وقال: 120، 153 (3مرات) 183 (3مرات) 184 (مرتان) 212، 404 (مرتان) 407.

* قول الخليل رحمه الله:76، 77، 112، 195، 263، 281، 330، 338، 348، 360، 374، 382 .

* قول الخليل: 117، 164، 357.

* ويقول : 397.

* وسألت الخليل رحمه الله : 48، 60، 154، 210، 236، 286، 308، 398، 407.

* وسألته رحمه الله: 369، 370، 402.

* وسألناه رحمه الله: 372.

* وسألت الخليل : 149.

* وسألته : 160، 180.

* تفسير الخليل رحمه الله: 389، 401.

* وجعل الخليل رحمه الله: 199.

* وحدثنا الخليل: 110.

* وذكر الخليل رحمه الله: 80.

* وروى الخليل رحمه الله: 134.

* وسمعناه من الخليل رحمه الله: 214.

* وسمعته من الخليل: 92.

* وكان الخليل يقول: 75، 191، 388، 397.

* ولم يجز يونس والخليل رحمهما الله: 159.

* وهذا قول يونس والخليل رحمهما الله: 14، 338.

الجزء الثالث:

وقد ورد اسم الخليل في هذا الجزء صراحة وإيماء في (278) موضعا، لم يترحم سيبويه على الخليل في أي موضع منها. وهي كما يلي:

* الخليل قال: 16.

* قال الخليل: 37، 123، 147، 148، 163، 232، 312 (مرتان) 320، 335، 340، 341، 382، 418، 497، 507، 522 (مرتان) 525، 562، 622، 648.

* قول الخليل: 17، 23، 79، 128، 144، 197، 206، 217، 224، 281، 294 (مرتان) 295، 303، 317، 325، 326، 329، 347، 361، 378، 383، 385، 385، 396، 411، 419، 426 (مرتان) 430، 436، 439، 456، 461، 464، 474، 500، 542، 577.

* وقال :64، 193، 203، 204، 205، 220، 224، 225 (مرتان)

الجزء الرابع:

وقد ورد اسم الخليل في هذا الجزء صراحة وإيماء (47) مرة. لم يترحم سيبويه على الخليل في أي موضع منها، وهي كما يلي:

* حدثنا الخليل: 115، 169 (3مرات) 181.

* انشدنا الخليل: 214.

* أنشده الخليل: 115.

* وجعل الخليل: 329.

* وسمعت الخليل: 455.

* * *

وبعد، فعلى الرغم مما قيل عن طبعة الكتاب الصادرة عن بولاق من أنها أصح الطبعات[35] السابقة، وما وصف عبد السلام هارون رحمه الله نشرته به، فإن الكتاب بصورته الأقرب إلى الصورة التي تركها عليه صاحبه، ما زالت- في اعتقادنا - مجهولة لنا، بعيدة عن متناول أيدينا. والله أعلم.

الهوامش و التعليقات

1. الكتاب 181/5- هامش.
2. سيبويه إمام النحاة ص 93.
3. جملة صفحات"الكتاب" الذي نشره هارون(1975) صفحة.وجملة صفحاته في طبعة بولاق (920) صفحة. وينتهي الجزء الأول من نشرة بولاق عند الصفحة (190) من الجزء الثالث من نشرة هارون.
4. الكتاب (هارون)24/1.
5. سيبويه إمام النحاة ص130-131(بتصرف). وتجدر الإشارة هنا إلى أن علي النجدي ناصف إنما يتحدث عن الكتاب الذي طبع في بولاق سنة 1316-1318هـ في جزءين.
6. الكتاب (بولاق) 48/1.
7. طبقات النحويين واللغويين ص75.
8. طبقات النحويين واللغويين ص75 وبغية الوعاة 211/2.
9. طبقات النحويين واللغويين ص52.
10. الكتاب (هارون) 428/1.
11. نفسه 14/2، 338.
12. نفسه 159/2.
13. سيبويه إمام النحاة ص94، 102.
14. الكتاب (هارون) 205/2.
15. نفسه 214/2.
16. نفسه 236/2.
17. نفسه 374/2.
18. في بحثنا المعنون باسم:" حول كتاب سيبويه" والمنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في العدد المزدوج 21-22 الصادر في تموز- كانون الأول سنة 1973م أوردنا سبعة وأربعين شاهدا شعريا ادعى أصحاب المصنفات النحوية واللغوية التي وردت فيها أنها من أبيات الكتاب. ولما بحثنا عن هذه الشواهد في الكتاب الذي بين أيدينا لم نجد لها أثرا، فتأمل.
19. سيبويه إمام النحاة ص184.
20. نفسه ص156.
21. انظر مثالا له: الكتاب 80/1.
22. انظر مثالا له: (هارون) 636/3-637.
23. سيبويه إمام النحاة ص95، 102.
24. طبقات اللغويين والنحاة ص75 وخزانة الأدب 8/1، 178.
25. نزهة الألباء ص 143 وانباه الرواة 80/2 ووفيات الأعيان 485/2 وتاريخ بغداد 314/9.
26. بغية الوعاة 229/2.
27. انظر: سيبويه أمام النحاة ص121.
28. الكتاب (هارون)300/3.(بولاق) 52/2.
29. انظر: شرح المفصل 46/4 وخزانة الأدب42/3 ومعجم

شواهد النحو الشعرية، الشاهد رقم (2037).

30 - الكتاب (هارون) 2/68-69،(بولاق) 1/251.

31 - أخبار النحويين البصريين ص56.

32 - الكتاب (هارون) 16/3.

33 - نفسه 279/1.

34 - لسان العرب (رحل) 285/13.

35 - تاريخ الأدب العربي 136/2.

مصـــادر البحث ومراجعـــه

- أخبار النحويين البصريين لأبي سـعيد السـيرافي، تحقيـق: الدكتور محمد إبراهيم البنّا، دار الاعتصـام بالقـاهرة 1985م.
- انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة 1986م.
- بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة 1965م.
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. نقلـه إلى العربيـة : الدكتور عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف بالقـاهرة 1967م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، طبعة مصورة عن الطبعـة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.د.ت.
- سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصـف. ط2، مطبعة عالم الكتب بالقاهرة 1979م.
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة 1973م.
- الكتاب لسيبويه، مطبعة بولاق 1316-1318هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمـد هـارون، ط3، عالم الكتب، بيروت 1983م.
- لسان العرب لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعـة بـولاق 1300-1307هـ.
- معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حنا حداد، مطبعـة دار العلوم بالرياض 1984م.
- نزهة الألباء لابن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيـم، دار نهضة مصر بالقاهرة 1967م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الفكر، بيروت 1978م.

المثل الصريح وما يجري مجراه من الأشكال التعبيرية في كتب الأمثال القديمة عند العرب

-تتمة- (*)

د. سالم مرعي الهدروسي(**)

جمع علماء الأمثال كل ما وصلهم من جوامع الكلم، والأقوال السائرة في كتب الأمثال، حتى أخبار أيام العرب، وخرافات الخرز، صنيع حمزة الأصفهاني والميداني، فامتزجت الأمثال الصريحة مع الأقوال المأثورة، والحكم، والتراكيب الجاهزة، والعبارات التقليدية، والكنايات الإيحائية، والاستعارات التمثيلية البليغة، والأمثال التشبيهية، وأمثال التناهي والمبالغة، حيث توسعوا في مدلول المثل، كما يوضح الزمخشري (ت538هـ) في تحديده لمصطلح المثل حيث يوسعه ليشمل كل قول سائر، فيقول " سميت هذه الجملة من القول، المقتضبة من وصلها، أو المراسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول مثلاً" (95)، وأصبح المثل في اصطلاحهم كالعلاقة التي يعرف بها الشيء، وتعبر عن المعنى المراد التعبير عنه، بكلام وجيز مختصر، يفي بالغرض من أقصر السبل، فيكون قول العربي " حياك الله وبياك" تعبيراً للدعاء والتحية، وتكون هذه العبارة مثلاً بالمعنى الواسع، أي علامة على هذا الدعاء مثلما تعتبر"مواعيد عرقوب"علما لكل ما لا يصح من المواعيد، على حد تعبير الميداني في مقدمة مجمع الأمثال (96).

وبناء عليه فقد حوت مجاميع الأمثال عدداً من الأنماط المثلية، والأقوال السائرة، تختلف من الزاوية الفنية الدقيقة الخالصة عن مفهوم المثل الصريح، لأن علماء الأمثال قد وسَّعوا مدلول كلمة المثل بالاعتماد على الأصل اللغوي، ليشمل هذه " الأشباه " وهذه العلامات لمعانٍ بعينها، تطول العبارة عنها، فتختصر باستعمال هذا الشاهد أو ذاك، من كلام البلغاء وغيرهم، مما صار يُتَمثل به، لأنه محفوظ عند جمهور واسع، بسبب إصابة قائله في المعنى واللفظ، فصار اللاحقون يضمنونه كلامهم، سواء بنيّة الاحتجاج والاستدلال، كما في الشواهد اللغوية، أو بقصد الاختصار والبلاغة والتزيين

(*) نشر القسم الأول من البحث في العدد 45 من اللسان العربي.

(**) أستاذ بشعبة اللغة العربية بجامعة اليرموك (الأردن).

كما هو في الاستعمال الأدبي البليغ [97]. ومن الأقوال المثلية السائرة وما يجري مجراها في كتب الأمثال العربية القديمة ما يلي:

1- المثل الصريح:

وأول من أشار إلى هذا المصطلح الحسن اليوسي (ت1102هـ)[98]، وحدد زهلايم مفهومه، باعتباره قولا موجزا مكثفا، يعبر عن إحدى خبرات الحياة المتكررة، عبر الأجيال المختلفة، ممثلة لكل الحالات الأخرى المماثلة، ومصاغة بطريقة حسية مباشرة واضحة، تتلاءم وبساطة التفكير عند الشعوب البدائية، ذات الثقافة الشفاهية، وأسلوبها في التعبير والاحتجاج والتأثير [99].

ويحقق المثل الصريح بهذا المفهوم قدرا وافرا من التأثير في النفوس، لا تستطيع التعبيرات التجريدية تحقيقه. ويمتاز المثل إضافة إلى ذلك، بشيوعه وسيرورته من خلال جريانه على الألسنة مع سياقه وحديثه الأصلي أو بدونه. وبعض الأمثال التي تروى منفصلة عن سياقها، تكون واضحة لا تحتاج إلى تفسير أو إيضاح، لما تحويه من الأسماء، أو تتضمنه من الأحداث، وبعض الأمثال لا يمكن فهمه منبتا عن الأخبار أو الأحاديث التي تفسرها وتوضحها، مثل قولهم : مواعيد عرقوب[100]، يضرب في خلف الوعد، وبعضها يبقى غامضا رغم جهود العلماء في محاولة تفسيرها بالأخبار، والإيضاحات اللغوية، بغض النظر عن صحة هذه الأخبار، والإيضاحات اللغوية المصاحبة للأمثال في كتب الأمثال، إما لقلة دورانها، أو لغرابة لفظها، أو لجهل أصلها وموردها. ومن الأمثال التي خفي معناها وأشكل تفسيرها على العلماء بسبب ضياع أصولها، ما نوه به الميداني (ت518هـ) في تعليقه على المثل "تيسي جعار" فقال " قال الليث: إذا استكذبت العرب الرجل تقول : تيسي جعار" أي كذبت، و لم يعرف أصل هذه الكلمة" [101]، ومنها قولهم "إلا ده فلا ده" فقد أشكل تفسيره على علماء الأمثال واختلفوا فيه وعلق الأصمعي (ت216هـ) عليه بقوله"ولا يدرى ما أصله" [102].

وقد يأتي غموض المثل من غريب ألفاظه واحتمال تأويلها على أكثر من وجه وأمثلته في كتب الأمثال كثيرة منها قولهم "جاء بالطم والرم" فقد أورد العلماء في تفسيره ستة أقوال منها؛ قيل الطم: البحر، والرم: الثرى، وقيل الطم: الرطب، والرم: اليابس، وقيل الطم: ما حمله الماء، والرم: ما حملته الريح، ومعناه جاء بالكثير والقليل [103].

وغالبا ما ترتبط الأمثال بخبر أو حديث قصصي يفسر منشأها، وفي العادة فإن كتب الأمثال تورد المثل، ثم تردفه بقصته، غير أن كثيراً من الأمثال الأخرى ترد في ثنايا الخبر، أو في نهايته على لسان أحد شخصيات الحكاية [104].

ويمكن القول أن المثل قول موجز مكثف سائرمشهور، قيل في ظروف معينة، يستشهد به في حالة مماثلة، مصاغاً صياغة مادية، يجمع في مفهومه عناصر: المورد، والمضرب، والإيجاز، والسيرورة، والثبات، والغرابة. ومن الأمثلة على المثل الصريح:

1- "رَجَعَ بِخُفَي حُنَيْن"، يضرب عند اليأس من

الحاجة والعودة بالخيبة.

2- "الصيف ضيعت اللبن"، يضرب لمن يطلب الحاجة بعد فواتها.

3- "وافق شن طبقة" ، يضرب للمتوافقين.

4- "تسمع بالمُعَيْدَى خير من أن تراه"، يضرب لمن خيره خير من مرآه.

5- "عند جهينة الخبر اليقين"، يضرب في معرفة الشيء حقيقة.

6- "ما وراءك يا عصام " يضرب في الاستفهام عن الأمر العظيم.

7- "لأمر ما جدع قصير أنفه ، يضرب في الارتياب في أمر ما مهم.

8- "ما يوم حليمة بسر" ، يضرب للأمر المشهور.

9- "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك"، يضرب في عدم الوفاء بالوعد.

10-" انج سعد فقد هلك سُعَيد"، يضرب في الحث على إيثار السلامة والنجاة [105].

2- الحكمة:

الحكمة لغة معرفة الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها "حكيم"[106]، ويرى الشريف الجرجاني (ت816هـ) أن " الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء، على ما هي عليه في الوجود، بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي" [107]، وفي الحديث الشريف " إن من الشعر لحكمة":، أي أن فيه كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما، قيل أراد بها المواعظ والأمثال التي تنفع الناس. وحكم الشيء، وأحكمه، منعه من الفساد وأصلحه[108].

وما يهمنا من مفهوم الحكمة معناها من خلال كتب الأمثال القديمة، فهي أقوال وعظية إرشادية موجزة، تدعو إلى الصلاح ومكارم الأخلاق، وترشد إلى السبل القويمة في الحياة، تعبر عن خبرات الإنسان، مصاغة بطريقة ذهنية تجريدية بليغية، ذات وقع خاص على الأسماع[109].

فالعبارات الحكمية تجمع خلاصة تجربة إنسانية متكررة، تنحو في صياغتها ومضمونها منحى أخلاقياً وعظياً، يرمي إلى الإرشاد والإصلاح والتقويم السلوكي للإنسان. فهذه الأقوال الموجزة المتحصلة من تجارب الإنسان، لا تحتاج لنفهمها إلى تنزيلها في سياقها الذي وردت فيه أول مرة، إن وجد، ولا تحتاج إلى تحديد قائلها الأول إن عرف، إذ لا تغير نسبتها إلى قائل ما، من مدى تقبل الناس لها، واعتمادها في حياتهم، وإن حَرِصَ علماءُ الأمثال العرب على تحديد قائل أول لهذه الحكم، فنسبوها إلى حكمائهم من مشاهير الجاهلية أو الإسلام، ممن اشتهروا بالقدرة على التعبير التجريدي، أمثال لقمان الحكيم وأكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة الإيادي، وقيس بن عاصم، وعامر بن الظرب، والأحنف بن قيس وغيرهم. ويرى بعض الباحثين أن الحكم كالأمثال الصريحة التي يصعب معرفة قائلها الأول، وأن ما فعله علماء الأمثال بنسبتها لأشخاص معروفين قد كان في إطار حرص العرب على الرد على الشعوبيين، وإثبات الحكمة للعرب كما

هي عند الشعوب الأخرى. ويدل على ذلك الباب الذي أفرده ابن عبد ربه (ت328هـ) في كتاب العقد، حيث دمج فيه حكم أكثم بن صيفي وبزر جمهر الفارسي[110].

ومن السمات الأخرى التي تفرق المثل عن الحكمة غاية كل منهما، فالأمثال الصريحة غالبا ما تكون لها غاية احتجاجية استشهادية، وربما تبريرية في بعض الأحيان ، وكثيراً ما تكون هذه الغاية متوسلة بصياغة لا أخلاقية بذيئة كان يقبلها الذوق في زمانها، وبعضها ينبو عنه الذوق المهذب هذه الأيام، وأما غاية الحكمة فغالباً ما تكون وعظية إصلاحية مقيدة بثوابت ومبادئ أخلاقية محددة. وقد جاء في بعض الأمثال مدح للفضائل ومكارم الأخلاق، كالكرم والوفاء والشجاعة، وذم البخل والطمع والكذب، مثل قولهم "رجع بخفي حنين" و" سمّن كلبك يأكلك"، ويقترب هذا النوع من الأمثال في غايته من الحكم، وربما التبس بها، بيد أن السمات الأخرى تميزه عنها[111] .

وغالباً ما تعبر الحكم عن مبادئ أخلاقية عامة شاملة على قدر من الثبات ولكنها لا تحظى بالضرورة بإجماع كافة الناس عليها، فقد جاء في كتب الأمثال حكم متقاربة، يناقض بعضها البعض الآخر، ومع ذلك نتقبلها في معظم الأحيان دون تردد، لجمال صياغتها، وحسن وقعها في النفس، ومن ذلك قولهم في الحث على الإسراع لاغتنام الفرص "التقدم قبل التندم" وقولهم" رب ريثٍ يعقب فَوْتاً" ، ومضمون هاتين الحكمتين يتناقض مع قولهم في الحث على التأني والتريث" رب عجلة تَهب ريثاً " وقولهم " في التأني السلامة وفي العجلة الندامة"، ويبدو أن مرد هذا التضارب يعود إلى النزعة التبريرية الجدلية التي تعتمد موقفاً محدداً في لحظة ما، إذ من المستحيل توقع إيراد الحكمتين المتضاربتين معاً في الموقف الواحد نفسه، إضافة إلى ميل الحكم إلى معالجة الأخلاق الجزئية التي يكون اتفاق الناس عليها نسبيا أقل من إجماعهم على الأخلاق الكلية [112].

ويرى بعض الباحثين أن الحكمة في علاقتها مع المثل تحمل سمة المفارقة، فهي وإن كانت ضيقة الاستعمال، وذات أفق فكري محدود، ومحصورة المنشأ، فإنها أشمل بدلالتها من المثل الصريح، لأنها عامة في الأقوال والأفعال، أما المثل الصريح فخاص بالأقوال فحسب [113]. ويرى باحث آخر عكس ذلك، فيلاحظ " أن في المثل عمقاً خاصاً، لا تدركه الحكمة، مع أن كليهما من جوامع الكلم، إلا أن الحكمة تفيد معنى واحداً، بينما يفيد المثل معنيين، ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فهو ما يحمله من إشارة تاريخية إلى حادث معين كان سبب ظهوره، وأما الباطن فهو ما يفيد معناه من حكمة، وإرشاد، وتشبيه أو تصوير"[114].

ويزعم زلهايم من ناحية أخرى، أن الحكماء لم يفعلوا أكثر من أن أضفوا على الأمثال معنى مجرداً، وحوّروا مضامينها، باستعمال علامات فلسفية عامة، وأعادوا صياغتها بعبارات عذبة،ذات إيقاع جميل[115].

وذهب عفيف عبد الرحمن إلى أبعد من ذلك في

العلاقة التحويلية بين المثل والحكمة، ورأى أن المسافة التي تفصل بين الحكمة والمثل ليست بذات بال، فالمثل يصبح لوناً من ألوان الحكمة حين يضفي عليه الحكيم تجريداً، والحكمة تُضحي مثلا إذا تحقق لها شرط الذيوع والانتشار[116]. وحقيقة الأمر أن المثل الصريح لا يمكن أن يكون حكمة، أو تصبح الحكمة مثلا صريحاً، كما زعم زلهايم، وعفيف عبد الرحمن، لأن المثل فيما أوضحنا سابقاً إذا جُرد من سياقه القصصي وصياغته الحسية لا يعود مثلا، كما أنه من غير المتخيل أن تنزل الحكمة التجريدية، ذات الطابع الفردي الذاتي، إلى لحظة الصدفة الفطرية في الإحساس الشعبي الجمعي، فتكتسب ثوباً حسياً، على ألسنة أحد الناس بصورة المثل بغير قصد أو تعمّد، فهما مفترقان تماماً في مضربهما، وموردهما، وصياغتهما، وغاية كل منهما.

ومن الأمثلة على الحكم التي تضمنتها كتب الأمثال:

1-" إن الكذوب قد يصدق"
2-" جنة المرء داره "
3-" أول الحزم المشورة"
4-" لا يصلح رفيقا من لم يبتلع ريقا"
5-" الإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السوء"
6-" صدرك أوسع لسرك"
7-" ويل لعالم أمر من جاهلة"
8-" إذا عز أخوك فهن"
9-" زد غبا تزدد حبا"
10-" من مأمنه يؤتى الحذر" [117].

3 – العبارات المثلية:

ويتميز هذا النوع من الأقوال السائرة عن المثل الصريح، في أنه لا يقدم أخباراً محددة، عن طريق حالة معينة، أو يرتبط بها، غير أنه يصور بعض أحوال الحياة، أو جانبا من جوانب العلاقات الإنسانية المتكررة، وتصاغ مثل هذه الأقوال على هيئة جزء من جملة، وأحيانا على شكل عبارات كاملة قائمة بذاتها، ومثل هذه التعابير يثري الأدب، ويزيد من بلاغته، بما يحويه من البيان والبلاغة، وغالبا ما تكون تمثيلا، أو كناية إيحائية جرت على الألسن والأسماع، وأصبح استعمال الناس لها في بعض مواقف الحياة أوفى بالمقصود، وأنفذ إلى الأذهان[118]، ومن أمثلتها:

1- "أسمع جعجعة ولا أرى طحنا" ، يضرب لمن يعد ولا يفي.
2- " جاؤوا قضهم بقضيضهم"، أي جاؤوا جميعهم.
3- " فلان لا يعوي ولا ينبح"، يضرب للضعيف الذي لا يعتد به في خير أو شر.
4- " لا يضر الحوار ما وطئته أمه"، يضرب في شفقة الأم.
5- " إن البغاث بأرضنا يستنسر" ، يضرب للضعيف يصير قويا.
6- " مات حتف أنفه" ، يضرب لمن يموت على فراشه و لم يقتل.
7- " لا تدخل بين العصا ولحائها"، يضرب فيمن دخل بين المتخاصمين المتصافيين.
8- " هو يحطب في حبله " ، يضرب لمن يسعى في

منفعة نفسه.

9- " ألق حبله على غاربه"، يضرب لمن تكره معاشرته.

10-"لبست له جلد النمر" ، يضرب لمن يظهر العداوة للآخرين[119] .

ويمكن اعتبار العبارات الاشتراطية من هذا النوع من التعابير المثلية مثل قولهم:

1- " إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"، يضرب في ميل الناس إلى حيث المال.

2- " من استرعى الذئب ظلم" ، يضرب فيمن يتسبب في ظلم غيره.

3- " لو ترك القطا ليلا لنام" [120]، يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

4- عبارات التناهي والمبالغة .

وأول من أطلق عليها هذا المصطلح أبو هلال العسكري (ت بعد 395 هـ)، فقال: "وميزت ما أورده حمزة الأصفهاني من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة، وهي الأمثال على" أ فعل من كذا"[121])، وهي أقوال سائرة، جاءت على صيغة التفضيل"أفعل من"أو على صيغة المفعول المطلق المبين لنوع فعله " فعل فعل كذا" وقد جمع حمزة الأصفهاني (ت 351 هـ)في "الدرة الفاخرة"، ما يزيد على1200 مثل من هذا النوع على نمط صيغة التفضيل، وفي العادة يتم في هذه العبارات إكساب المشبه المضروب له المثل صفة ما،أو أكثر، من صفات المشبه به، الذي يلي صيغة التفضيل [122]، أو يصاغ في هيئة المصدر المبين لنوع فعله،فيكتسب المشبه هذا الوصف بالمبالغة، ويكون هذا الوصف في المشبه به شيئا محسوسا، أو مدركا متناهيا، ولا يسمح بالتصاعد في الصفة التي يختص بها المشبه به مطلقا ، وذلك بقصد المبالغة والغرابة في التعبير، وغالبا ما يكون المشبه به بعض الحيوانات أو النباتات أو الأشخاص الذين اشتهروا بصفة معينة، يراد إيضاحها أو إبرازها في التعبير[123]، ومن أمثلة هذا النوع من الأقوال السائرة :

1-"أظلم من حية" 2-"أبصر من غراب"

3-"أعدى من الشنفرى" 4-"أجود من حاتم"

5-"أنقى من مرآة الغريبة" 6-"أغدر من ذئب"

ومنها أيضا 7-"عاث فيهم عيث الذئاب"

8-"ضربه ضرب غرائب الإبل"

9-"أطرق إطراق الشجاع" 10-"زقه زق الحمامة فرخها"

11-"يروغ روغان الثعلب" 12-"يدب إلى الشر دبيب العقرب" [124]

ويلاحظ ورود بعض أمثلة هذا النوع من الأقوال مما يعرض أخبارا بعينها عن طريق حالة محددة، مما يجعل في سماها تداخلا مع مفهوم المثل الصريح، مثل قولهم "أبطش من دوسر" و"أغلى فداء من حاجب بن زرارة" و "أشأم من البسوس" و" أحلم من الأحنف" "وجزاه جزاء سنمار"[125].إلا أن صياغة الشكل اللغوي تميز هذه العبارات عن الأمثال الصريحة .

5 – العبارات التقليدية الجاهزة .

هي أقوال سائرة موجزة، يكررالناس استخدامها

في مواقف حياتهم المختلفة اليومية كعبارات التحيــــة، والأدعية، والمجاملات العامة، والتعجـــب، والتمـــني، والترجي، والسؤال والإغراء، والسخرية، والتـــهديد، وهلم جرا، يستخدمها الناس بصورة آلية مع تكـــرار دواعيها في المواقف المختلفة،حتى أصبحـــت إشـارة اصطلاحية متكررة علىألسنتهم في تلك المواقـــف، لا غنى لهم عنها، رغم آلية استخدامها العفوي [126]. فهذه الأقوال كالعلامات التي تعرف بها الأشياء، تعبر عـــن المعنى المراد بكلام وجيز واضح مختصر، يفي بـــالغرض من أقصر السبل، فشاع إيرادها في كتـــب الأمثـــال، لتضمنها بعض سمات المثل، كالإيجـــاز،والســـيرورة، والتكرار الممثل لموقف ورودها الأول، فأدخلها العلماء في مفهوم المعنى الواسع للمثل، لأنها كالعلم لما تـــدل عليه، وهي تستخدم بصورة آلية عفوية متكررة، وربمـا كانت أقل جمالا من الناحية الفنيـــة مـــن العبـــارات التصويرية،ومن أمثلتها :

1- " أطعمتك يـــد شـــبعت ثم جـــاعت، ولا أطعمتك يد جاعت ثم شبعت".

2-" أجن الله جباله"أي جبلته، دعـــوى عليـــه بالموت.

3-" لليدين و للفم"أي أسقطه الله عليهما .

4- "عسى غدا لغيرك".

5- "أفعله دهر الدهارير".

6- "لأكوينه كية المتلوم"يضرب للتهديد.

7-"لك العتبى و لا أعود" في الاعتذار.

8-"لاأم لك"و " لاأبا لك".

9-"بالرفاه و البنين" .

10-"لله دره" .

11-"على بدءالخير و اليمن" .

12-"بلغ الله بك أكلأ العمر".

13-" لاجعل الله فيه أمرة " اي بركة .

14-"لو بغير الماء غصصت"[127] لمن يؤخذ مـــن مأمنه.

6-الأقوال النادرة (النوادر):

الأقوال النادرة ضرب من جوامع الكلم تتفـــق في بعض سماتها مع الأمثال الصريحـــة و الحكـــم ، فـــهي موجزة صائبة المعنى ، تعبر عن تجربة، ونظر ثـــاقب في تدبير الأمور، واستكناه أسرارالحياة، وهـــي أشـــيع في كتب الأدب الموسوعي منها في كتب الأمثال،لأنهـــا لم تنل حظا وافرا كغيرها من الأقوال المثلية في الســـيرورة والشيوع، ومع ذلك فقد حشد العلماء قدرا منـــها في كتب الأمثال، ويظهر أن علماء الأمثال قـــد قـــاموا باستنباط معظمها من سياقات أدبية عامة لبعض البلغـاء والفصحاء، حتىتتخذ مثالا يحتذى بـــه في التـــأدب، وينشأعلى منواله في الأعمال اللغوية العالية كالخطابـــة والترسل، وأشهر من عني بها الثعالبي (ت 429 هـــ) في كتابه التمثيل والمحاضرة، وابن عبد ربه (ت 327هـــــ) في العقد، وابن المرزبان الكرخـــي(ت 345هـــــ) في المنتهى في الكمال، وابن قتيبة(ت 276هـــ) في عيـــون الأخبار،إضافة الى تناثرها في مجمع الأمثال وغيره، مـــن أمهات كتب الأمثال القديمة .

ويشير أبو هلال العسكري(ت بعد 395هـ) إلى أن هذه الأقوال النادرة في مبانيها ومضامينها، هي ضرب من الحكم غير الشائعة أو السائرة، فإذا سارت على الألسن والأسماع، أصبحت أمثالا، فيقول "أصل المثل من التماثل بين الشيئين في الكلام... ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير، فلا يكون مثلا"[128].

وربما يكون الفارابي (ت350هـ) أول من أطلق مصطلح النوادر على هذا النوع من الحكم، والأقوال المثلية غير السائرة على ألسنة العامة، فتبقى مقصورة على الخاصة، فهي حكمة الخواص، فقال : "النادرة:حكمة صحيحة تؤدي عما يؤدي عنه المثل، إلاأنها لم تشع في الجمهور، ولم يختزنها إلا الخواص، وليس بينها وبين المثل إلا الذيوع وضده"[129].

ومن أمثلتها:

قال خالد بن صفوان :"دع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية".

قال حكيم : "إياك وما يعتذر منه، فإنك لن تعتذر من خير أبدا".

من وصايا لقمان : "من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم".

وقال أكثم بن صيفي:"احذر الأمين ولا تأمن الخائن".

وقال أعرابي: لا أعرف أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه الأمل" [130]

7- العبارات التصويرية:

وهي أقوال سائرة جميلة، صيغت على هيئة تشبيه بليغ أو تمثيلي أو استعارة تمثيلية جميلة، ويمثل المشبه به في هذه العبارات دور المضروب به المثل، يتم من خلال هذه العبارة إيضاح صفة ما في المشبه أو توكيدها من خلال التصوير المجازي الممتع فيها، وهي في الغالب أجزاء من سياق عام، يتخذ من مشاهدات الإنسان وتجاربه اليومية في بيئته الخاصة مجالا لها، وهي غالبا ما تصاغ بطريقة حسية جميلة، غير أنها غير مرتبطة بقائل ما، أو بسياق إخباري محدد في نشأتها وورودها [١٣١]، ومن أمثلتها :

1-"سواسية كأسنان الحمار"

2-"كمستبضع التمرإلى هجر "

3-"تغافل كأنك واسطي"

4-"كالحادي وليس له بعير"

5-"كمجيرأم عامر "

6-كلام كالعسل وفعل كالأسل "

ومن العبارات الكنائية الموحية قولهم :

7-"بلغ السيل الزبى "

8-"ماله سبد ولا لبد "

9-"لقيته بين سمع الأرض وبصرها "

10-"لا ينتطح فيه عنزان" [132]

8- الصياغات الاسمية المثلية:

و يقصد بها بعض الأسماء أو التراكيب الاسمية المضافة السائرة بين الناس ، بعضها يضرب به المثل فتكون العلاقة بين مورده و مضربه علاقة الكناية على

الأغلب ، وأحيانا علاقة المماثلة و المشابهة ، كالمضافات التي تدخل في سياق الكلام كجزء منه ، فتثريه وتزيده حيوية وجمالا من خلال الدلالة الإيحائية، وهي كالمثل، ترتبط بمورد قصصي محدد وتشير إليه بإيجاز شديد، وقد أصبحت كإسم العلم في دلالتها على موردها ، فأوردتها كتب الأمثال على هيئة أسماء مضافة مفردة، في غير عبارات تامة، ومن أمثلتها:"غراب نواح" يضرب للرسول الذي لا يعود، أو لمن يبطئ عن ذي حاجة ولا ينجزها له.قال الجاحظ:"يقال في المثل فلان لا يرجع حتى يرجع غراب نوح" و "ذئب يوسف" يضرب لمن يرمي بذنب جناه غيره وهو بريء منه، "ومواعيد عرقوب" يضرب للكاذب الذي يخلف وعده، و"جزاء سنمار" يضرب لمن يجزى بالإحسان الإساءة، و"صحيفة المتلمس"يضرب لمن يسعى بنفسه إلى تلفها وحينها،و"عبيد العصا"يضرب للذليل الذي نفعه في ضره، وعزه في إهانته [133].

ويندرج في هذا الصنف من الأقوال الموجزة السائرة ما يعرف من الأسماء بالمكنى والمبنى والمثنى، ويقصد بالمكنى تلك الأسماء السائرة التي يستشهد بها عند تكرار دواعيها في دلالتها على مضرها وتتميز بنيتها الإضافية القائمة على إضافة كلمة (أب) أو(أم) إلى إسم آخر ذي دلالة مثلية كنائية موحية، لتدل على صفة معينة في البشر، أو الحيوانات، أو الأشياء، أو بعض المعنويات، كقولهم:" أبو الحارث "للأسد القوي الذي يشق الأرض بمخالبه، و"أبو جعدة" للذئب، وأبو زيد "للمتكبر، و"أم حباحب" للنار التي لا ينتفع بها،و"أم فروة" للنعجة، وأم الهنبر"أي الجحش- للأتان، و"أم الندامة " للعجلة [134].

وأما المبنى فهي الأسماء المبدوءة بلفظة ابن أو بنت، لتدل على صفات في الأشخاص، أو الحيوانات، أو الأشياء، أو المعاني، كقولهم"ابن جلا"لأول النهار، ثم ضرب للشخص المتعالم المشهور، و"ابن الأيام" للشخص الجلد المجرب، وابن خلاة" للشخص البريء من الشيء الذي يرمى به، و"ابن خلجان"للبحر، و"بنت الدهر" للمصيبة المباغتة [135].

وأما المثنى فيقصد بها الأسماء القائمة على صيغة المثنى التي تدل على شيئين مختلفين، كقولهم" الجديدان " لليل والنهار، و"الأسودان" للتمر والماء، و"القمران"للشمس والقمر، و"المشرقان "للمشرق والمغرب[136].

وقد عني عدد من علماء الأمثال في جمع طائفة كبيرة من هذه الأسماء المثلية، صنيع أبي هلال العسكري(ت 395هـ)، الذي حشد طائفة كبيرة منها في الباب الأول من جمهرته، تحت عنوان "ابن الأيام وما يجري في بابه"[137]، وأكثر من عني بها من علماء الأمثال حمزة الأصفهاني (ت 351هـ)، حيث جمع منها عددا كبيرا في كتابه " الدرة الفاخرة"، وميزها عن باقي الأمثال على وزن أفعل، التي كرس كتابه لها، بأن جمعها في باب واحد، حيث قال"الباب الثلاثون في نوادر من الكلام، جارية مجرى الأمثال، جعلتها تماما لأبواب الكتاب، وقسمتها على ثلاثة فصول، الفصل

الأول في المكنى، والفصل الثاني في المبنى، والفصل الثالث في المثنى، وعددها في هذا الباب خمسمائة كلمة وكسر"[138]، وكما ذكر السيوطي (ت 911هـ) طائفة منها في "المزهر"وأفرد لها بابا بعنوان "معرفة الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأخوة والأخوات،والأذواء والذوات" وقد عني عدد آخر من العلماء بهذه الأسماء ، وعالجوها في مؤلفاتهم، مثل ابن السكيت(224هـ)،وابن سيده(ت 458هـ) وغيرهم[139].

وربما لاحظ العرب في هذه الأسماء المثلية صفة ملازمة فيها فنسبوا الأشخاص، أوالأشياء ، أوالحيوانات، أو المعاني إليها على سبيل التعظيم، أو التمليح ، أوالسخرية، أوالتحقير،أوالتشاؤم ، أوالتفاؤل ، وغيرها من البواعث النفسية،أو الاجتماعية،أو الأخلاقية، وربما الدينية، فيلحظ باعث التعظيم والتهويل في قولهم "أم عبيد" للفلاة المهلكة المليئة بالأفاعي، فيضرب مثلا للوقوع بالمصيبة الداهية، فقالوا على سبيل المماثلة والمشابهة"وقعوا في أم عبيد تصارع حياتها"، ومنها"وقعوا في أم جندب"يضرب للقوم يقع الشر والظلم بينهم، وقولهم"بنت الجبل"للحية التي لا تجيب راقيها، ولا يشفى اللديغ من سمها. ومما ضربوه للسخرية والتحقير، وصفهم الشخص الذي يحتقرونه(بأبي جخادب) على سبيل النبز بالألقاب. ومما استخدموه لتحسين الصفات أو المعاني القبيحة أو المشؤومة طلبا للتفاؤل، قولهم"أبو عمرة" يضرب للفقر وسوء الحال، و"أم عامر"للضبع، وأبوحكيم "للذباب، وفي غير المكنى والمبنى قولهم" السليم" للملدوغ و " البصير" للأعمى[140].

وربما كانت هذه الأسماء المثلية من أساليب العرب التعبيرية التي أضيفت إلى الأساليب والأصناف المثلية، باعتبارها كلاما مأثورا سائرا يعبر عن طرائق تعبيرية كنائية مختلفة للتعبير العربي القديم، في حالات النداء والاستغاثة والدعاء والتعجب والإخبار والسؤال وغيرها، وقد بدا على كثير منها طابع الغرابة والندرة، فهي تعبيرات تجري مجرى الأمثال لاستحسانها وإيجازها وسيرورتها وكثرة دورانها على الألسنة، وتشبه في ذلك العبارات المثلية التي يستخدمها الناس في أحاديثهم اليومية، وأدعيتهم، وتحياتهم، بعضها يشتمل على تشبيه، وبعضها على كناية، وبعضها كلام عادي لايشتمل على هذا ولا ذاك [141].وقد وضح محمد بن علي الصبان(ت1206) الفرق بين الأمثال الصريحة والأنماط المثلية الأخرى التي تجري مجراها بقوله: "الفرق بينه وبين المثل، كما أفاده الدنوشري، أن المثل مستعمل في غير ما وضع له، للمشابهة بين ما وضع له وغيره، على سبيل الاستعارة التمثيلية، وما أجري مجراه مستعمل فيما وضع له، ولكن أشبه المثل في كثرة الاستعمال، و حسن الاختصار، فأعطي حكمه، في عدم التغيير"[142]، وربما هذا ما دفع علماء الأمثال الى إلحاقها في مصنفات الأمثال التي جمعوها.

9- الأمثال الشعرية:

حوت الأشعار العربية القديمة على أنواع مختلفة من الأقوال المثلية ،بما فيها الأمثال الصريحة،مثل شعر زهير

بن أبي سلمى، وشعر الصلتان العبدي، وعدي بن زيد العبادي، والأشعار المنسوبة للإمام علي ، والإمام الشافعي، إضافة إلى شعر أبي العتاهية ، والمتنبي، والمعري، ولا ندري هل قام بعض هؤلاء الشعراء بابتكار هذه المضامين المثلية من تجاربهم الذاتية، وتأملاتهم في الحياة، أما أنهم قاموا باستيحائها من الأقوال المثلية السائرة، وضموها لغايات بلاغية في أشعارهم، كما فعل الشعراء المتأخرون. وقد كثرت الأمثال في أشعار الوعظ والزهد، حتى أصبحت غرضا من أغراض الشعر عندهم[143].

وقد كره النقاد استكثار بعض الشعراء من الأمثال والحكم في أشعارهم، وقد ذم الجاحظ(ت 255هـ) كلا من صالح بن عبد القدوس وسابق البربري لكثرة الحكم والأمثال في أشعارهما. فقال " لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان متفرقا في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق، ولكن القصيدة إذا كانت أمثالا لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء ، لم يكن لذلك عنده موقع"[144]. وقد أيد ابن المعتز (ت 296هـ)الجاحظ بقوله في ذم كثرة الأمثال في الشعر، فقال في حديثه عن صالح بن عبد القدوس"لو أن صالحا نثر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب على مد ميدانه"[145].وعلل ابن رشيق (ت 456هـ) ذلك بقوله في ذم كثرة الأمثال " إنما هي نبذ تستحسن، ونكت تستطرف، مع القلة والندرة ، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة، فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة، كشعر صالح بن عبد القدوس،فقعد به عن أصحابه، وهو يقدمهم في الصناعة -إكثاره في ذلك"[146].

وغالبا ما كانت ترد الأقوال المثلية على صورة التشبيه الضمني، أو الاستعارة التمثيلية، أو العبارة التصويرية في أشعارهم. وقد عني بعض العلماء بإفراد مصنفات خاصة، لمثل هذه الأبيات الشعرية المثلية السائرة، كما فعل الصاحب بن عباد حيث قام بجمع أمثال المتنبي الشعرية، وسماها(أمثال المتنبي)، وعرفت الأبيات المثلية بالأبيات السائرة، وقد جمع بعضها عيينة بن المنهال في كتاب سماه (الأمثال السائرة)[147]، أما جامعو الأمثال فغالبا ما كانوا يجتزئون الشطر المثلي من البيت، ويهملون إيراد الشطرالآخر، مع إهمال قائلها في بعض الأحيان، لأن ذلك ليس من مقصدهم في جمع الأمثال في كتبهم، وأحيانا يجتزئون الحكمة أو المثل بإيقاعه ووزنه من البيت، وربما جاءت بعض الأمثال النثرية موزونة، فلا ندري فيما إذا وردت هكذا بداهة على لسان قائلها ، أم إنما أجزاء من أبيات شعرية أصلا،ومن هذه الأشعار المثلية السائرة:

1- لعلني مضلل كعامر.
2- من يشتري سيفي وهذا أثره.
3- ليومها تجري مهاة بالعتق.
4- كالثور يضرب لما عافت البقر.
5- أكذب النفس إذا حدثتها.
6- كل شيء أخطأ الأنف جلل.

7- كفضل ابن المخاض على الفصيل.

8- كل النداء إذا ناديت يخذلني

إلا ندائي إذا ناديت ياماليٍ[148]

10- الأقوال المأثورة:

حشد جامعو الأمثال أعدادا وفيرة من الأقوال السائرة، التي نسبت للصحابة والتابعين والخلفاء الأوائل، والزهاد،والصالحين، والأئمة،والقادة، وزعماء الفرق والمذاهب الفلسفية والدينية، وغيرهم من الدهاة، والبلغاء، والحلماء، ممن كان لهم مكانة دينية أو سياسية مرموقة في تراثنا القديم ، وتجمع هذه الأقوال بعض سمات الأقوال المثلية؛ كالإيجاز، والسيرورة، والبلاغة،وأغلبها ذو طابع حكمي، أو بلاغي تصويري،وليست من مفهوم المثل الصريح، وكثيرا ما سميت هذه الأقوال السائرة "الأثر"، وهي أقوال موجزة بليغة صائبة ذات مسحة تأملية حكمية أحيانا،أو ذات طابع تصويري جميل أحيانا أخرى[149] ، ويعد الاهتمام بها في التراث امتدادا للعناية بأقوال الرسول(صلى الله عليه وسلم) ، ولذا ليس غريبا أن تجمع معها في كتب الأمثال والأدب طائفة أخرى من أقوال الأنبياء، وعبارات مثلية من الكتب المقدسة الأخرى، وأقوال الفلاسفة. وأكثر من نسبت إليه مثل هذه الأقوال، لقمان الحكيم، والإمام علي رضي الله عنه، وسيدنا سليمان، والسيد المسيح عليهما السلام، كما رويت طائفة وفيرة من هذه الأقوال للخلفاء الأوائل؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية بن أبي سفيان،وعمر بن عبد العزيز، ولبعض الزهاد والصالحين؛ مثل عامر بن عبد القيس، وأبي ذر، والحسن البصري، والشافعي، والإمام جعفر الصادق وغيرهم[150]، ومن أمثلة هذا النوع التي ألحقها علماء الأمثال في مصنفاتهم :

قال أبو بكر- رضي الله عنه-"لاطامة إلا وفوقها طامة "وقال: "ليست مع العزاء مصيبة، وقال: "احرص على الموت توهب لك الحياة".

ومن كلام عمر- رضي الله عنه - "من كتم سره كان الخيار في يده"، وقال: "لا تؤخر عمل يومك لغدك"، وقال :"رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي".

ومن كلام عثمان - رضي الله عنه-"ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن"، وقال: "يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك".

ومن كلام علي- رضي الله عنه- "رأي الشيخ خير من مشهد الغلام"، وقال:"الناس من خوف الذل في ذل"، وقال: "من صارع الحق صرعه".

ومن كلام ابن عباس - رضي الله عنه-"الحرمان خير من الامتنان "، وقال: اسمح يسمح لك".ونسب إلى معاوية "أفلت وانحص الذنب". ونسب إلى عمرو بن العاص "إذا حككت قرحة أدميتها".

ونسب للحسن البصري "مارأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت،وغفلتهم عنه"[151].

ونلحظ كثيرا من هذه الأقوال المثلية قد حشدت بغزارة شديدة في أدب الوصايا منذ العصر الجاهلي، ومعظم ما وصلنا من هذه الوصايا عبارة عن أكداس من الأقوال المثلية المختلفة، قام علماء الأمثال بتوزيعها على أبواب كتبهم، كما فعلوا في وصايا أكثم بن

صيفي وغيره، بينما قام مصنفو كتب الأدب الموسوعية بضم بعضها إلى بعض على غير ترابط، مما يدفع إلى السمة الأساسية لوصايا العصر الجاهلي وخطبه، هي الاعتقاد بأن حشد الأقوال المثلية الموجزة على غير ترابط فيها، كما نلحظ في سجع الكهان، والوصايا المختلفة.

11- أمثال الحديث الشريف :

يمكننا القول إن معظم ما وصلنا من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) الصحيحة، يندرج في جوامع الكلم، ذات الألفاظ الموجزة، والمعاني الغزيرة. وقد سارت هذه الأحاديث على ألسنة المسلمين لمكانتها في التشريع والتراث عندهم، فهم يحتاجونها في كل شؤون حياتهم، وأحكام دينهم. إضافة إلى هذه الميزة فقد جرت على ألسنة الناس كثير من أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) الموجزة البليغة، أو أجزاء من تعبيراته، بسبب طبيعة صياغتها التصويرية العذبة، أو بسبب طبيعتها التجريدية التأملية الحكمية المتقنة، وشقت طريقها الى الأقوال المثلية السائرة، فأدرجها بعض علماء الأمثال في كتبهم، لإعجابهم ببلاغتها وسيرورتها ، أو للتبرك بها، وإجلال قدرها. وجل هذه الأقوال المثلية النبوية من أنواع المثل غير الصريح ، لعدم ارتباطها بمورد محدد، أو سياق إخباري قصصي يفسرها، وهي غالبا من الأقوال السائرة الواضحة كالحكم، والعبارات التقليدية، والعبارات الجاهزة، والنوادر، والعبارات التصويرية، وقد عني بأمثال النبي (صلى الله عليه وسلم) نفر من العلماء جمعوها في مصنفات خاصة بها[152]، إضافة إلى ورودها في كتب الأمثال المختلفة .

وقد قسم العلماء أمثال النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى قسمين ، المثل القياسي المفصل، والمثل السائر الموجز[153].

أما النوع فقد عني بدراسته الباحثون الذين بحثوا في بلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويشمل هذا النوع تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي ضمنها (صلى الله عليه وسلم)صورا بلاغية تمثيلية جميلة، تضمنت في الغالب ألفاظ المماثلة لتدل على التشبيهات المركبة، أ و الاستعارات التمثيلية المفصلة، ومن أمثلتها قوله(صلى الله عليه وسلم)"مثل المؤمن كالخامة من الزرع ، تفيئها الريح مرة ها هنا ومرة ها هنا،ومثل الكافر كالأرزة، لا تزال حتى يكون إنجعافها مرة واحدةً "، ومنها قوله أيضا "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، طعمها طيب، وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، خبيث طعمها، خبيث ريحها"[154]. وهذه الأمثال جاءت على نسق الأمثال القرآنية القياسية.

وأما النوع الثاني فهو المثل السائر الموجز، فيشمل تلك العبارات البليغة الموجزة الجامعة التي سارت عنه (صلى الله عليه وسلم) ،وتناقلتها الألسن، فأصبحت أقوالا سائرة مثلية ،يستشهد بها الناس، وهي كثيرة،

فقد روي أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:"حفظت عن النبي(صلى الله عليه وسلم) ألف مثل"، ومن هذه الأقوال السائرة ما كان معروفا قبل النبي(صلى الله عليه وسلم) إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) استشهد به فتناقله الناس عن لسانه، وبالطريقة التي استشهد به فيها. ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم)"كل الصيد في جوف الفرا"، أو بتطوير معناها بما يتناسب والفضائل الإسلامية مثل قوله"أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" وهي قليلة فيما أثر عنه[155].

وأكثر ما سار عنه من الأمثال مما أتى به(صلى الله عليه وسلم) ،من معين بلاغته وفصاحته، و لم تسمع من العرب قبله، كقوله(صلى الله عليه وسلم)"مات حتف أنفه"،وقوله "هدنة على دخن" و"إن من البيان لسحرا"و"إن المنبت لا أرضا قطع ،ولا ظهر أبقى"و"إياكم وخضراء الدمن "و""الناس كإبل مئة،لا تجد فيها راحلة "و"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"،و"رفقا بالقوارير"،و المستشار مؤتمن"و "الحياء من الإيمان"،و "لا ينفع حذر من قدر" و"اعقل وتوكل"،و"الحرب خدعة"، و " قد حمي الوطيس"[156].

وغالبا ما توظف هذه الأمثال في أدب الوعظ الإصطلاحي للاحتجاج والتأثير.وربما أدرجت في خلال القصص أو الخطب كعناصر استشهاد ومدعمة للتعبير من الناحيتين المنطقية والجمالية.

12- أمثال القران الكريم :

حوى النص القرآني الكريم الكثير من العبارات التصويرية، والحكم التجريدية ، والكنايات الموحية،والتشبيهات المركبة،والاستعارات التمثيلية، وغيرها من الأشكال التعبيرية التي أطلق عليها اسم الأمثال القرآنية. وقد كان لهذه الأنماط المثلية في القرآن شأن عظيم في بلاغة القرآن، وإعجازه، وجمالياته، حيث ساعدت في إبراز المعقول في صورة المحسوس، وكشف الحقائق، وتقريب المعاني البعيدة من الفهم، وتثبيت المعاني في الذهن، وصياغتها في عبارات سهلة موجزة، وسهلت سبيل الألفاظ والتأسي ، فكانت بعض سبل القرآن لعظة الناس وهدايتهم [157].

وقد زخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والمطولة، وتتميز أمثال القرآن عن الأمثال الأدبية العادية بأنها مرسلة من الله على غير مورد،أو حدث ترتبط به. وقد تعرض علماء الدراسات القرآنية لها بالدرس والعناية،وصنفوا فيها العديد من المؤلفات المستقلة، أو تعرضوا لها ضمن مؤلفاتهم الأدبية أو الدينية في أبواب خاصة بها.وقد صنف علماء الدراسات القرانية أمثال القران[158] ، في الأنواع التالية:

1-الأمثال الموجزة السائرة،وتدعى أيضا الأمثال المرسلة، وهي آيات أو أجزاء منها، تضمنت قيما دينية معينة، أو مبادئ خلقية سامية، لم تكن أمثالا في وقت نزولها، وإنما اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وانتشار آياته بين الناس، وهذه الآيات أو العبارات القرآنية لا تشمل نصوصها لفظ التشبيه أوالتمثيل، ولسيرورتها بين المسلمين والعرب، صح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه أصلا من معنى أو تصوير، فتناقلتها

الألسن والكتابات [159]، ومن أمثلتها قوله تعالى: (لـن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، و(الآن حصحص الحق) ،و(أليس الصبح بقريب) ، و(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ، و(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ،و(قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) ،و(لا يستوي الخبيث والطيب) ،و(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) ، (كل نفس بما كسبت رهينة)[160].

2-الأمثال القياسية المصرحة، وتدعى المفصلة أيضا، ويقصد بها تلك الآيات التي تضمنت سردا وصفيا أو قصصيا مطولا،وتضمنت لفظة (المثل) أو ما ينوب عنها من أدوات التشبيه، لتوضيح معنى ما عن طريق التشبيه المركب،أو الاستعارة التمثيلية،وقد يسميها علماء البلاغة (التمثيل)[161].

ومن أمثلتها التي تتضمن سردا وصفيا قوله تعالى:(الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح،المصباح في زجاجة،الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم) [162].

ومن أمثلة السرد القصصي قوله تعالى: (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية.إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين ، فكذبوهما، فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون. قالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء، إن أنتم إلا تكذبون. قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا البلاغ المبين) [163].

وهذا النوع من الأمثال القرآنية يتضمن صورا تشبيهية مركبة، تبرز مقاصدها الخفية، ومعانيها المضمرة بوسائل تعبيرية بليغة، في غاية الجمال والوضوح، تبعث في النفس الإنسانية البهجة وتثير فيها رهبة العظمة، وتمدها بإرشادها إلى الخير،وتكشف لها عن أسرار الخلق وعظمة الخالق عز وجل.

3-الأمثال الكامنة،ويقصد بها تلك الآيات أو العبارات القرآنية التي يصرح القرآن بأنها أمثال،و لم تسر في الناس سيرورة الأمثال الموجزة المرسلة، وإنما هي أمثال في نظر العلماءلاشتمالها على معان قريبة الشبه أو الصلة بأمثال عربية سائرة، فهي عندهم أمثال بمعانيها لا بألفاظها، ومن هنا سميت أمثالا كامنة[164]. ومن ذلك أنهم يرون أن المثل " خير الأمور أوساطها"[165] يكمن معناه في القرآن في أربعة مواضع هي : قوله تعالى: (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) ، وقوله تعالى:(والذين إذ أنفقوا لم يسرفوا،و لم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما)، وقوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك، ولاتخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا) ، وقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك،ولا تبسطها كل البسط)[166].

وقد أورد السيوطي ثلاثة عشر مثلا من هذا النوع نقلا عن الماوردي[167] ، وقد احتج بعض الباحثين بأن اشتمال بعض هذه الآيات على معان قريبة الشبه من معاني بعض الأمثال السائرة لا تكفي لاعتبارها أمثالا، لأنها لم تستوف خصائص الأمثال السائرة المعروفة[168].

ويجدر التنبيه إلى أننا من النادر جدا أن نجد مثلا

قرآنيا في كتب الأمثال المعروفة وإنما أفردت بمصنفات خاصة بها كما أسلفنا، أو في أبواب مخصصة لها في كتب الأدب الموسوعية.

وفذلكة القول أن الأمثال قد نالت عناية فائقة من الباحثين القدماء والمحدثين،فقد تناولوا مصطلح المثل فأصلوه من الناحية اللغوية، وتتبعوا تطور دلالته من النواحي الأدبية، والبلاغية،والتفسيرية القرآنية، فحددوا أهم سمات الجنس الأدبي الذي يدل عليه هذا المصطلح، وحصروها في الإيجاز، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه،والكناية،وانبثاقها عن مورد معين، ويقصدون به الحادثة التي أرسل فيها المثل،وأن يتكرر استخدامها في مضرب يشبه حالة مورده، واشترطوا سيرورته بين الناس، وتناقله على الحكاية دون تغيير،واتسامه بالغرابة والندرة.

ويلحظ قيام علماء الأمثال في التراث العربي القديم بحشد كل ما له علاقة بجوامع الكلم والتعبير الموجز السائر في مصنفات الأمثال، ووسموه بما يجرى مجرى المثل،فجاءت مصنفاتهم المثلية جامعة لأصناف عديدة من العبارات الموجزة البليغة السائرة النادرة، مما يوحي بتوسعهم في فهم دلالة مصطلح المثل الأدبي السائر، بحيث شمل عندهم كافة أصناف جوامع الكلم الموجز السائر من المنثور والمنظوم.

الهوامش

96) الميداني: مجمع الأمثال 1/333-237.

97) انظر ابن الأثير: المثل السائر 1/61، وأحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 114-115.

98) انظر الحسن اليوسي : زهر الأكم 1/58.

99) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 27، وعز الدين إسماعيل: المكونات الأولى للثقافة العربية70، 80، -83.

100) الميداني : مجمع الأمثال 2/311.

101) الميداني: مجمع الأمثال 1/140.

102) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 1/49، واللسان (دهده).

103) أبوهلال العسكري : جمهرة الأمثال 1/315، والميداني مجمع الأمثال 1/161.

104) See Heinrichs :The hand of the North wind ,p.7,Sellheim: Manthal, in E12,Vol.VI, 816>

105) الميداني: مجمع الأمثال 1/296،2/68،2/359، 1/129، 3/2، 2/262، 2/196، 2/272، 2/145، 2/339.

106) ابن منظور: اللسان (حكم).

107) الشريف الجرجاني : التعريفات 54.

108) ابن منظور: اللسان (حكم).

109) أحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 129، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 32، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 48.

110) ابن عبد ربه: العقد 3/76، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 32.

111) الميداني: مجمع الأمثال 1/296، 1/333، وانظر أحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 133.

112) الميداني: مجمع الأمثال 1/136، 1/302، 1/294، وأحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 130.

113) انظر الحسن اليوسي:زهر الأكم 1/29.

114) ممدوح حقي: المثل المقارن 21.

115) زلهايم : الأمثال العربية القديمة 32.

116) عفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة 30.

117) الميداني:مجمع الأمثال 1/294، 1/211، 1/52، 2/242،2/79،1/396،2/370،1/22،1/322،2/310

118) انظر زلهايم : الأمثال العربية القديمة 30، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 46.

119) الميداني: مجمع الأمثال 1/160، 1/161، 2/286، 2/320،1/10،2/266،2/231،2/398،2/210،2/180.

120) الميداني مجمع الأمثال 1/66، 1/446، 2/174.

121) انظر أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 1/6.

122) انظر حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 1/56، يجعل عددها1800 مثل مع المولدة، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل ص ص 43-51.

123) انظر حمزة الأصفهاني:الدرة الفاخرة 1/59-61، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل ص ص 50-84.

124) الميداني:مجمع الأمثال 1/445، 1/115، 2/46، 1/182،2/353،2/67،2/353،2/39،1/419،1/431،1/324.

125) الميداني:مجمع الأمثال 1/118 ، 2/66 ، 1/374 ، 1/219 ، 1/159

126) زلهايم : الأمثال العربية القديمة 35، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 47.

127) الميداني : مجمع الأمثال 1/431، 1/169، 2/27، 2/38

229/2، 189/2، 203/2، 242/2، 100/1، 191/2، 2/32،
110/1، 243/2، 186/2.

128) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 7/1.

129) الفارابي: ديوان الأدب 74/1.

130) ابن عبد ربه: العقد 153/3، 152.

131) قطامش: الأمثال العربية 253-279، زلهايم: الأمثال العربية القديمة 27-31.

132) الميداني : مجمع الأمثال 329/1، 153/2، 145/1، 142/2، 133/2، 144/2، 91/1، 270/2، 183/2، 225/2.

133) الثعالبي: ثمار القلوب 40، 46، 131، والميداني: مجمع الأمثال 159/1، 399/1، 311/2، 19/1.

134) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، والسيوطي: المزهر 506/1-524، وانظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 105-107. وقطامش : الأمثال العربية 23.

135) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، وابن سيده: المخصص 169/13-223، والميداني: مجمع الأمثال 22/1، 31/1، والسيوطي : المزهر 506/1-524، وقطامش : الأمثال العربية 24.

136) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، وابن سيده: المخصص 129/13-223، والسيوطي: المزهر 506/1-524، وقطامش: الأمثال العربية 24.

137) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال 25/1-48.

138) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552.

139) ابن السكيت: إصلاح المنطق 294، وابن سيده: المخصص 169/13-223، وانظر قطامش: الأمثال العربية 24-25، وعبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 105- 106.

140) حمزة الأصفهاني : الدرة الفاخرة 471/2- 552، والسيوطي: المزهر 506/1 - 524، والميداني: مجمع الأمثال 2-370- 371. وانظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 106- 107.

141) انظر عبد المجيد عابدين : الأمثال في النثر العربي القديم 106-107، وقطامش: الأمثال لعربية 22-23.

142) الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني 26/2.

143) انظر محمد عبد السلام: موقف النقاد القدامى من شعر الحكمة والزهد 90- 93.

144) الجاحظ: البيان والتبيين 206/1.

145) ابن المعتز: البديع 1-2.

146) ابن رشيق: العمدة 99/1، و108.

147) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 39-40.

148) الميداني: مجمع الأمثال 197/2، 206/2، 307/2، 142/2، 139/2، 136/2، 141/2.

149) 137ب) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 40، وقطامش: الأمثال العربية 129-174.

150) ابن عبد ربه: العقد 140/3-157، والميداني: مجمع الأمثال 448/2-461 .

151) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 28، 30، وأبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال 413/2، 159/1، 144/1، والميداني : مجمع الأمثال 450/2-457، 338/1.

152) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 37-38، وقطامش: الأمثال العربية 164-168، ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن 24-27.

153) انظر الثعالبي : التمثيل والمحاضرة 22-28، وقطماش: الأمثال العربية 157-164

154) الميداني: مجمع الأمثال 277/2، وقطامش: الأمثال العربية 162.

155) الميداني: مجمع الأمثال 136/2، 334/2، وابن عبد ربه: العقد 64/3.

156) ابن عبد ربه: العقد 63/3-66، والميداني 448/2-450،

والرافعي: تاريخ آداب العرب 2/332-350. وعز الدين السيد: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية 177-186. والنويري: نهاية الأرب 3/2.

157) انظر بكر الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن 230، وزلهايم:الأمثال العربية القديمة 36.

158) انظر ابن قيم الجوزية: أمثال القرآن 23-27، وقطامش: الأمثال العربية 149- 156، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 36-37.

159) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 136.

160) الآيات على التوالي: آل عمران 92، ويوسف 51،وهود 81،وفاطر 43،والبقرة 216، ويوسف 41، والمائدة 100، والحشر 14، والمدثر 38.

161) انظر قطامش: الأمثال العربية 135-147.

162) النور 35.

163) يس 13-28.

164) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 134، وقطامش: الأمثال العربية 134.

165) الميداني مجمع الأمثال 1/243، والزمخشري: المستقصى 2/77.

166) الآيات على التوالي : البقرة 68، والفرقان 67، والإسراء 110، 29.

167) انظر السيوطي: الإتقان 4/41-43.

168) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 136. وبكر الشيخ أمين التعبير الفني في القرآن 231

المراجـع

1- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير(ت 637هـ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م .

2- الأزهري، ابو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت 370هـ) تهذيب اللغة، تح عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964-1967م.

3- إسماعيل ، عز الدين. المكونات الأولى للثقافة العربية، مطبعة الأديب، بغداد 1972م.

4-ابن أبي الأصبع، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد(ت 654هـ). بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة ، القاهرة،1957م.

5- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت 351هـ). الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح عبد المجيد قطامش، دار المعارف ، مصر، 1971م.

6-الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 216هـ). الأضداد، نشر أو غست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م.

7- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت 403هـ). إعجاز القرآن، تح أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1977م.

8-أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت 1095هـ) . الكليات، تح عدنان درويش ورفيقه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982م.

9-البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ). فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح إحسان عباس وعبد المجيد قطامش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

10-بياني، جاكلين. "المثل جنسا أدبيا" بحث منشور ضمن أعمال ندوة" مشكلة الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم"، منشورات كلية الأدب، منوبة/تونس، سلسلة الندوات، مجلد 10،سنة 1994، ص ص 275-299.

11- البيضاوي، عبد الله بن عمر(ت 685هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.

12-التفتازاني، مسعود بن عمر الهروي(ت 793هـ). المطول في شرح تلخيص القزويني، مطبعة أحمد كامل، استانبول، 1330هـ.

13-التهانوي، محمد علي بن علي الفاروقي (ت بعد 1157هـ). كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، 1862م.

14- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). التمثيل والمحاضرة، تح عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، 1961م.

15- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1965م.

16- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ). البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968م.

17-الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ). أسرار البلاغة، تح هلموت ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1954م.

18-الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت 816هـ). التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت د.ت.

19-الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت 398هـ). تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.

20- ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي (ت 837هـ). خزانة الأدب، المطبعة الخيرية، مصر، 1886م.

21-الحذيري، أحمد "التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة عند العرب"، بحث منشور في: حوليات الجامعة التونسية ، العدد 31، سنة 1990م،ص ص 109- 134.

22- حسين،طه. في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1927م.

23-حقي ، ممدوح. المثل المقارن بين العربية والإنجليزية، دار النجاح،بيروت،1973م.-

24-أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت754هـ).البحرالمحيط، مطبعةالسعادة القاهرة، 1328هـ

25- الخولي، أمين. الأمثال في القرآن الكريم، محاضرات ألقاها على طلبة الدراسات العليا في جامعة القاهرة ، (مخطوط).

26-الرازي،فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ). مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1995م.

27- الرازي،فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ، 1317هـ .

28- الراغب الأصفهاني،الحسين بن محمد(ت 502هـ).المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1961م.

29- الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953م.

30-ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق(456هـ). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1972م.

31- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م.

32- زلهايم، رودلف. الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، 1982م.

33- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ). المستقصى في الأمثال، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، أباد الهند، 1962م.

34- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، 1977م.

35- أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي 982هـ).إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،(تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.

36- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت 244هـ). إصلاح المنطق ، تح أحمد محمد شاكر ورفيقه ، دارالمعارف، القاهرة، 1956م.

37- السيد، عز الدين. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1972م.

38- ابن سيده، أبو الحسن علي إسماعيل (ت 458هـ). المخصص، المطبعة الأميرية، بولاق ، القاهرة، 1316هـ.

39- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). الإتقان في علوم القرآن ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967م.

40- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم .مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1964م.

41- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1958م.

42- الشيخ أمين ، بكر. التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت ، 1979م.

43- الصبان ، محمد بن علي (ت 1206). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المطبعة الشرقية.

44- الصغير ، محمد حسين. الصورة الفنية في المثل القرآني ، دار الهادي، بيروت ، 1992م.

45- أبو صوفة، محمد. الأمثال العربية، ومصادرها في التراث، مكتبة الأقصى ، عمان ، د.ت.

46- ضيف، شوقي. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف، مصر ، 1965 م.

47- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ).التبيان في تفسير القرآن،تح أحمد القصير، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف، 1957م.

48- عابدين ، عبد المجيد. الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الأداب السامية الأخرى ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1956 م.

49- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت 328هـ). العقد الفريد ، تح أحمد أمين وأخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1952م.

50- عبد الرحمن، عفيف." الأمثال العربية القديمة"، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد العاشر، المجلد الثالث ، ربيع 1983، ص ص 11-61.

51- عبد الرحمن ، عفيف. " الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل"، بحث منشور في: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، المجلد السادس، العدد 21، شتاء 1986م، ص ص 41-86.

52- عبد السلام ، محمد. "موقف النقاد القدامى من شعر الحكمة والزهد"، بحث منشور في حوليات الجامعة التونسية ، العدد 15، سنة 1977م، ص ص 83-94.

53- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ). كتاب

الأمثال ، تح عبد المجيد قطامش، دار المـــأمون للـــتراث، بيروت، 1980م.

54-أبو عبيدة، معمر بن المثنى(ت 210هـــ). مجاز القرآن، تـــح محمد فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة، القاهرة، 1955م.

55- العسكري، أبو هـــلال الحســـن بـــن عبـــد الله(ت 395هـــ).جمهرة الأمثال، تح محمد أبو الفضـــل إبراهيـــم ورفيقه، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1964م.

56- العلوي، يحيى بن حمزة(ت 749هـــ). الطـــراز المتضمـــن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطـــف، القاهرة، 1914م.

57- أبو علي، محمد توفيق. الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، 1988م.

58- فاخوري، حنا. الحكم والأمثال، دار المعارف، القـــاهرة، 1980م.

59-الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت 350هـــــ). ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشـــؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974- 1976م.

60- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فـــارس (ت 395هـــــ). معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار إحيـــاء الكتب العربية، القاهرة، 1366هـــ/1949م.

61- الفراء،أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 204هـــ). معـــاني القرآن، تح أحمد نجاتي ورفيقـــه، دار الكتـــب المصريـــة، القاهرة، 1955م.

62- الفياض، محمد جابر. الأمثال في القرآن الكـــريم. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م .

63- الفيروز أبادي، محمد، بن يعقوب (ت 817هـــ). القاموس المحيط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1952م.

64- القاضي، منير. المثل في القرآن الكريم، بحث منشور المجمـــع العلمي العراقي، ج7،سنة1960 م،ص ص 3-35.

65- القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن سعد الديـــن (ت 739هـــ). التلخيص في علوم البلاغة، تح عبـــد الرحمـــن البرقوقي، للطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932م.

66-القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن سعد الديـــن (ت 739هـــ)، الايضاح في علوم البلاغة، تح جماعة من علمـــاء الأزهر، الأزهر، القاهرة، د.ت.

67- القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـــ). صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة، 1963م.

68- قطامش، عبد المجيد. الأمثال العربيـــة، دار الفكـــر، دمشق، 1988م.

69- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمـــد بـــن أبي أيـــوب(ت 751هـــ). أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح عبد الرحمـــن الوكيل، القاهرة، 1969م.

70- ابن قيم الجوزية، محمد أبو عبد الله محمد بـــن أبي أيـــوب (751هـــ). الأمثال في القرآن الكريم، تح سعيد الخطيـــب، دار المعرفة، بيروت، 1983م.

71- ابن قيم الجوزية، بن أبي أيوب (ت 751هـــــ). كتـــاب الفوائد،مطبعة السعادة، القاهرة، 1327هـــ/1909م.

72- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيـــد (ت 285هـــــ). المقتضب، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلـــس الأعلـــى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـــ /1966م.

73- ابن المعتز، عبد الله بن المعتز (ت 296هـــ). كتاب البديـــع، تح أغناطيوس كراتشقوفســـكي، دار المســـيرة، بـــيروت، 1982م.

74- مطلوب، أحمد. معجم النقـــد العـــربي القـــديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

75- ابن المقفع، عبد الله (ت 143هـــ). الأدب الصغير (ضمن آثار ابن المقفع)، منشورات دار الحياة، بـــيروت، 1978م.

76- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت 711هـــ). لسان العـــرب،

دار صادر ، بيروت، 1970م.

77- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت 518هـ). مجمع الأمثال، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1959م.

78- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 385هـ).الفهرست، تح رضا تجدد المازنداني ، د.ن، طهران 1971م.

79- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ).نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954م.

80- الهدروسي، سالم. المثل ومفهومه عند اللغويين في التراث العربي، (بحث مقبول للنشر في مجلة اللسان العربي).

81- ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم. البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1967م.

82-ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ). معجم الأدباء مطبعة دار المأمون، القاهرة، د.ت.

83-اليوسي، الحسن(ت 1102هـ). زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح حجي والأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء 1981م.

84-Eissfeldt, Otto. Der Maschal in Alten Testament, Beihefte zur Z.A.T.W.,XXIV Giessen, 1913.

85- leischer, Kleine Schriften, Leipzig, Leipzig, 1885.

86- Heinrichs,W. The hand of the north wind, Wiesbaden, 1977.

87 - Hulme, Edward. Proveb Lore, London, 1902.

88 - Sellheim, Rudolf. Manthal, in E12., New Edition, Leiden, 1960, Vol.VI, pp.815-828.

قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها

(رأي في التجربة الجزائرية)

د. صالح بلعيد(*)

الواقع اللغوي في الجزائر

إنّ الوضع اللغوي في الجزائر يتّسم بالتعدّد اللغوي ممّا خلق وجود لغات كثيرة، وهي:

1 - لغة المنشأ (عربية دارجة أو أمازيغية) وفي الدارجة والأمازيغية تأديات مختلفة وكثيرة، تختلف من منطقة لأخرى.

2 - العربية الفصيحة (لغة المدرسة).

3 - الفرنسية (لغة المدرسة).

4 - الهجين اللغوي الذي يسمع في التجمّعات السكانية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام لغات أربع، ولكل منها نصيبه في المجتمع من الاستعمال. وإنّ لغة المنشأ (الأم) عادة لغة شفاهية، وهي المتمكّنة أكثر في المجتمع، واللغتان (العربية الفصيحة والفرنسية) مكتوبتان، وليس لهما نصيب معتبر في الاستعمال. ومن هنا نجد الفرد الجزائري، المتعلم وغير المتعلم في الغالب، ذا لسان مزدوج، بسبب الاستعمال الدائم للغة على حساب لغة أخرى، وربما لعامل توفّر لغة ما على أدوات تعبيرية دقيقة، أو على مصطلحات دقيقة تساعد الفرد في تخصصه. وهذا ما خلق ما يسمى بالازدواجية اللغوية Bilinguisme، ويمكن أن نطلق عليه ما يسمى بـ Diglossie لعامل الاحتكاك اللغوي بين لغتين أو أكثر؛ وذلك عندما يوظف فرد ما أو جماعة معيّنة لسانين مختلفين في آن واحد؛ حيث يمزج بينهما بفعل الاقتراض والتحوّل اللذين يستغلهما في قالب لغة من لغة ما دون شعور منه، بل إنّ تأثير لسان لغة ما يظهر جلياً، وعلى حساب لغة أخرى. ويسمي البعض هذه الظاهرة بالثنائية اللغوية: وهو استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من درجات الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة ولأي هدف من الأهداف.

تعميم استعمال اللغة العربية

يعني إعطاء العربية منزلتها وتعميمها كلغة وطنية وقومية تضطلع بمهمة التعبير عن كل المضامين المتداولة في المجتمع، واسترجاع الشخصية الوطنية التي تقوم على اللغة الوطنية، باستئصال رواسب الاستعمار

(*) معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تيزي وزو - الجزائر

الثقافي وهذا هو الشعار الذي رفع منذ السبعينات، مع أن اللغة الوطنية في الجزائر هي اللغة العربية، التي رسختها الدساتير منذ الثورة التحريرية. واللغة العربية كما نعرف لغة أكبر حضارة ساعدت على تطور ملكات الإنسان الجزائري، بأن أخرجته من قهر الرومان والبيزنطيين، ولغة الدين الإسلامي الذي يدين به المجتمع الجزائري. والجزائر تنتمي إلى الأمة العربية التي تمتد من المحيط إلى الخليج، وهذا الانتماء كان بالفعل التاريخي الذي يعود إلى دخول الإسلام أقطار المغرب العربي في عهد أجدادنا الأمازيغ الذين قبلوا الدين ولغة الدين، على الرغم من التحرشات التي حدثت في بداية دخول العرب هذه الأقطار.

ونعرف أن العربية في أعلى مستوى بما تملكه من استراتيجية عالمية بين اللغات؛ حيث إنها شرفت العصر الأموي والعباسي بما قدمته للحضارة في شتى الفنون، كما أنها لغة راقية تستند إلى حضارة عريقة كالفارسية والتركية، واستطاعت أن تدفن كثيرا من اللغات القديمة التي طال بها الزمن، وهذا كله نظرا للخصوصيات اللغوية التي هيأتها وتهيئها لتكون لها مكانة هامة. وفي العصر الحاضر لها مكانتها عالميا كلغة من اللغات العالمية، ولها الريادة في المعسكر الإسلامي والذي يستعمل كثير من ناطقيه العربية، كما أن لها علاقات متينة مع الثقافة الإسبانية التي تشكل رقعة كبيرة في عدد الناطقين بها؛ وهذه الثقافة لها روابط تأثر بالثقافة العربية. ومع كل هذا، فقد قصر مجالها في ميدان العلوم الإنسانية في العصر الحاضر، ومن ذلك نجد أبناءها يعيشون انهزاما نفسيا أمام الزحف اللغوي الداهم؛ فتراهم يستسلمون للغات الأجنبية، فتكونت لذلك جبهة تنادي بإبقاء العربية لغة دين، لتبقى بعيدة عن العلم. كما نشأ تيار يعاديها وينادي بإبقاء اللغة الفرنسية على أساس أنها المكسب الذي لا يتسامح فيه. وهكذا منحوا الازدهار للفرنسية بتجميد العربية، عكس ما يحدث في جميع الأمم حيث اللغة الوطنية هي كل شيء، وهي اللغة المقدسة من قبل الجميع، وهذا كله بسبب العجز والتقصير في تنمية اللغة العربية.

ومع هذا فنحن لا نبكي الحاضر، ولا نمجد الماضي، ولكنه ليس في وسع أمة أن تعيش عيشة محترمة وتصون كرامتها ما لم تضطلع بالعلم، اعتمادا على لغتها في المقام الأول. ومن هنا تسعى كل الأمم إلى استعمال لغاتها القومية من أجل التواصل الحقيقي بين المعلم والمتعلم؛ حيث دلت الدراسات التربوية على أن أصلح لغة للتعليم هي اللغة التي يفكر بها الطالب كلما كان ذلك ممكنا، كي لا يفكر بلغة ويعبر بلغة أخرى، وتكمن الضرورة كذلك في سهولة الاتصال بين المعلم وطلابه، وتوفير جو النقاش العلمي الخالي من الحرج والتكلف الذي تسببه الترجمة أحيانا.

ومهما قلت في هذه النقطة، فإن نقصا فظيعا يشين موضوعي، لكني رغبت في أن أطرق موضوع التعريب، بعد رفع التجميد عن قانون تعميم استعمال اللغة الوطنية، ذلك التجميد الذي وافق عليه المجلس الاستشاري ذات يوم. ومن هنا سوف أستغل الظرف

الذي يجب أن ننتقل فيه من القول إلى الفعل في هذه المسألة، في الوقت الذي نسعى إلى وضع سياسة وطنية للغة العربية تأخذ بموجبها دورها الطبيعي في التعبير عن مختلف وجوه النشاط والحياة وفي خدمة التنمية الوطنية، خاصة أنّ ملف السياسة التربوية مطروح للنقاش، وأنّ سياسة اللغات قد حددها المجلس الأعلى للتربية "أنها اللغات التي تستفيد منها العربية والتي تقدم لنا الحلول العاجلة في ميدان التكنولوجيا والمصطلح، وهي التي تعملنا ولا نعملها". ومن هنا أطرح وجهة رأيي هذه من باب الغيرة على هذه اللغة؛ غيرة علمية وموضوعية، يكون فيها للحجّة المقام الأول، كما أستهدف بهذا العمل إيجاد آليات التعريب والتحكّم فيه عبر المراحل كي لا يكون التعريب شكلياً أو شعاراً أو على مستوى الحالة المدنية وعمل المحاكم.

وقبل معالجة الداء كان عليّ تشخيصه، وتقديم العناصر اللازمة لإمكانات المخرج وهي نصف الحلّ لا الحلّ كله، وهناك متعلقات (مشتقات) بالتعريب لا يمكن البث فيها حالياً، بل تتطلبّ دراسات جدّ صارمة من قبل المختصين، وأنّى لي أن أفتي فيها، بل أعتبرها من المحظورات في الظرف الراهن أمام النقص الكبير الذي تشهده اللغة العربية في بعض المجالات العلمية، ومن هنا أرى ضرورة التعرّض لبعض معوقات التعريب، وما هي الحلول الممكن تقديمها.

اللغة عامة هي أضخم عملية حضارية، تصلح للتواصل والوجود، والحضارة، في جزء من تعريفها، هي اللغة، واللغة مهما كانت تحتاج دائماً إلى تطوير وتجديد المعارف وملاحقة العصر، وعظمة الدولة في قوة لغتها، ومن هنا فإن في هذه اللغة التي هي قدرنا والتي تحمل كياننا وتجارب أهلنا وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم، وتوجد في وضع أمني غير سليم لا يساعدها على التطوّر لملاحقة الحضارة واحتوائها، فهي في حالة حرب نتيجة الحملة التيئيسية لتثبيط الهمم وإقناعها بعدم إمكانية تقدم شعوبها، والاستخفاف بالتعريب واعتباره خطوات إلى الوراء، نتيجة التقاعس في عدم العمل على تطوير اللغة العربية. قد يكون هذا فيه نوع من الصواب إذا أدركنا أنّ العربية تعاني مجموعة من العوائق، والتي أجملها الأستاذ شكري فيصل[1] فيما يلي:

1- "معرفة اللغة العربية عن طريق تجديد البحث اللغوي، وإتاحة الفرصة لمخالطة الدراسات اللغوية الحديثة والإفادة من معطياتها ووسائلها العملية.

2- حماية العربية: الصراع الداخلي بين العاميات والفصحى (ظاهرة التفتت اللغوي).

3- نشر العربية: ويحصرها في:

- تعليم العرب للعرب
- تعليم العربية لغير العرب من الشعوب الإسلامية التي تستخدم الحرف العربي، والتي لا تستخدمه والشعوب الأجنبية.
- التعليم الجامعي واللغة العربية (المصطلح العلمي).

4- بعض الوسائل: ويركز على:

- الطباعة العربية.

- المعجم العربي.

- وسائل الإعلام واللغة العربية".

وأرى أن الأستاذ شكري فيصل لم يهوّل من الأمر، فأين تكمن النقائص في اللغة العربية التي تحمل الخصائص اللغوية مثلها مثل اللغات الأخرى؟ ألا تتمتع ببنيات لسانية وقابلية كبيرة للتعبير عن المعلوف والفنون واللغة وسيلة تعبير فقط، والذي يتكلّم لغة فهو في واقع الأمر يفكر بها، ولا ندري هل يكون التفكير بالعربية قاصراً عن التفكير بلغة ثانية؟ ومع كل هذا فإنّ العربية عندنا تعاني مجموعة من النقائص، وسميتها المعوقات، وتتمثل عندي في الآتي:

معوقات تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر:

1- المنظور الرسمي إلى مسألة التعريب: إذا كانت السياسة التربوية في الجزائر تخطط لإنماء الفرنسية، فإن التعريب يأخذ أشكالاً تختلف باختلاف السياقات الوطنية، ويتنوّع فحواه تبعاً لعلاقة كل حكومة بمدى مشروعية حكمها، فكل حكومة تنظر إليه على أنّه التجذّر الثقافي الذي يجب أن لا يعلو عليه أحد. لكن بعض المواقف تبرهن على وجود حذر كبير تجاه المسألة، ومن هنا يطرح التعريب بصيغ ملتوية، فهو حقل الصراع المغلق، فنجد البورجوازية التقنوقراطية لا تهتم به، بل تعاديه، وتنظر إليه على أنه تهديد بانتزاع وظائفها وتسليمها للمعربين، مع أنّهم يقرون في قرارة أنفسهم بأنّه الوجه المكمل للاستقلال السياسي والاقتصادي. وفي ذات الوقت نجد المسؤولين السياسيين المعربين يطرحونه من زوايا استعادة الوجه الحقيقي للوطنية، فيطرحونه بصيغ تحمل معاداة الطرف الثاني. ومن هنا حدث عندنا في الجزائر هذا الشرخ الكبير بين المثقفين، فئة تنعت نفسها بالوطنية؛ وهي هذه الفئة التي تسعى إلى التعريب وتنادي به (المعربون)، وفئة تتماطل فيه، وهي الفئة غير المعربة (المفرنسون). وتعيش الفئتان في عزلةٍ عن بعضهما، بل وصل الصدام أحياناً إلى العنف كما حدث في بعض الجامعات في أواخر السبعينيات، ومن هنا حدث التذبذب في هذه المسألة بدءاً من الثمانينيات.

2- التعريب بين القبول الإيديولوجي والرفض الموضوعي: تبنت السلطة منذ الاستقلال خطابين مختلفين، تجاه هذه المسألة، خطابا رسميا دستوريا يقرّ بترسيم وتعميم اللغة العربية، وخطابا فعليا يهمش هذه اللغة ويجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية بلا ترسيم. وأمام تذبذب الخطاب الرسمي نشأ الخطاب الإيديولوجي المعارض للغة العربية، بل رفض كل ما هو عربي، ورفض الإسلام والبحث في الأصول الأولى للهويّة. وهذا ما فتح المجال لبقاء الفرنسية، كما سمح للهجات بأن تنال بعضاً من الاهتمام. وينادي هذا التيّار المتمكن في الإعلام والإدارة بالتعدّد اللغوي الرسمي، كما يعمل به في بعض البلاد العربية وغير العربية، أو العودة إلى الأصالة اللغوية؛ وهي

إحياء اللغة الأمازيغية وتعميمها. ويتخذ ذلك ذريعة؛ فيرى أنّ المشكلة اللغوية تكمن في العائق اللغوي؛ حيث إنّه يجب الفصل في هذا الأمر، بل نسمع من يقول: لو أنّ المدرسة الأساسية كانت بغير اللسان العربي لما نزل مستواها إلى هذا الدرك!.

إنّ هذا العائق هو الأساس في المسألة اللغوية، وبرفع اللبس عنه يمكن أن نتحكم في المعوقات الآنية؛ حيث إنّ الإيمان بلغة ما، هو بداية العمل من أجل رقيها، وعدمه يعني العمل على الجمود واللاحركة. ومن هنا فإنّ مسألة اللغة الفرنسية مبثوث فيها حيث إنّها لغة دخيلة على المجتمع الجزائري، بل لغة العدو بالأمس. كان علينا أن نستردّ الهويّة الوطنية باستعمال اللغة العربية التي حُسم في شأنها منذ الثورة التحريرية. ولكن الفرنسية لغة المكسب، ولها رصيد بشري في مجتمعنا، ولغة علمية عالمية لها من الرصيد العلمي ما يضاهي اللغات الراقية، أضف إلى هذا أنّها اللغة التي تتقنها الأطر الجزائرية والتي تسعى بكل الوسائل لبقائها. ومع كل هذا: هل يمكن أن تكون اللغة الفرنسية بديلاً عن اللغة العربية؟.

يجب أن نقرّ أنّ اللغة الفرنسية هي لغة متمكنة في الجزائريين منذ السبعينيات أكثر مما كانت عليه الأحوال بعد الاستقلال؛ حيث تشهد انتشاراً واسعاً كل يوم؛ انتشاراً شفهياً بالخصوص حتى بين من لا يعرف القراءة والكتابة، كما يجب أن نضع في الاعتبار أنّ الفرنسية في بلادنا لها نصيب معتبر عند الخاصة، بلهَ العامة التي ترى فيها لغة العلم والتقدم.

ومع كل ما قلناه، فإنّه لا يمكن أن تكون الفرنسية في الجزائر بديلاً عن العربية، لعامل واحد يدركه الخبراء وهو أنّ اللغة، بالإضافة إلى أنّها أداة للتواصل، فهي حقل للتعبير عن الهويّة، بل هي الأم التي تنقل الخصائص الأساسية للمجتمع. ويدرك الجزائريون المثقفون بالفرنسية أنّ الفرنسية لا يمكن أن تنال حظاً في المجتمع الذي هو معرّب منذ أمد، كما يدركون أن أمر انتشار العربية أمر محتوم، ولكنّهم يحتجون بعدم علمية هذه اللغة. وهذه نقطة هامة تطرح في كل المحافل العلمية بل وتطرح بجرأة وتحمل معها الدعوة إلى الاندماج في الثقافة الغربية لأنّها ثقافة أعلى. ويحتج المعربون أنّ العربية لغة متخلفة علمياً عن الفرنسية لكنّ هذه الأخيرة ليست لغة علمية راقية مثل اللغات الراقية، وليس لها علم نيّر كما هو الحال في الإنجليزية أو الألمانية أو اليابانية أو الروسية، أضف إلى هذا أنّ استيراد النموذج الفرنسي، منذ الاستقلال إلى الآن، لم يخرجنا من التخلف، و لم نشاهد الدول التي عملت بغير لغاتها أنّها خرجت من التخلف بتاتاً، كما أنّ حصر النموذج الغربي في الفرنسية نظرة ضيّقة، ينادي بها الفرانكفونيون وبعض الذين تابعوا دراساتهم في فرنسا بعد الاستقلال، وتجد منهم من ينادي بالفئوية والتمايز، ومنهم اليائسون من عدم إمكانية تقدّم شعوبهم ونهضتها، الذين يتبرأون أحياناً من الانتماء إلى ذويهم، بل إنّ معاداة العربية نجدها عندهم فقط، ولا نسمعها عند الناطقين بالإنجليزية أو متعلميها من

الجزائريين، مع أنّ الإنجليزية أقوى منها علماً وتوسعاً، ولا نسمعها عند الذين درسوا في كنـدا فالقضية تكمن إذن في:

(أ) عدم تخلي الأطر المفرنسة عن هذه اللغة، وخاصة الأطر الفرانكفونية: وفي هذه النقطة كان يجب أن يعرف كل جزائري أن اللغة ليست ظاهرة محايدة، ولن يمتلك الشعب لغة متطورة تتفاعل بحيوية إلا في إطار سياسي يكون الانحياز للشعب خصيصة لازمة، أي أن اللغة الوطنية ضرورة مهما كان موقع لغة المكسب، وخاصة عندما تكون اللغة الأجنبية لغة الأطر فقط، فنجد الحاجز اللغوي بين الشعب ومسؤوليه، فلا يحصل التناغم اللغوي بين الحاكم والمحكوم، كما نجد النزاعات النخبوية أو السلطوية. وهنا علينا فقط أن نفرق بين تعريب السياسة وتسييس التعريب، فإذا حصل أن وقع التعريب سياسيا فذلك هو الفشل المسبق. نعم أن يحصل ارتباط التعريب بالسياسة فهذا شيء طبيعي، ولكن الأمر يتصل بعلاقة جدلية دينامية تكون بموجبها للأحداث السياسية أبعاد لسانية تتصل بالتعريب اللساني أو الثقافي ويكون للتعريب من حيث هو مشروع تخالطه أبعاد سياسية كالامتدادات الأيديولوجية المعارضة أو التي لا تعترف إلا برأيها، فهذا هو العودة إلى الوراء.

ففي البداية لا بد من عدم تسييس العربية وتعميمها تعميما علميا يحمل الإقناع الذي يجعل كل الناس يعملون في اتجاه التعميم، إذن لا بد من الاقتناع الإجماعي من قبل الأطر والفئات المتعلمة بالفرنسية، وأن يسمو بالابتعاد عن الانفعالات الشخصية ومؤثرات الانفعال لتبقى القضية وموضوعها في حيز الموضوعية العلمية. أضف إلى هذا تحريك تلك القناعة عند البعض الذي يرى أن الحياة الأوربية الفرنسية كفيلة بالرقي في سلم التمدن، وأن النهج على منوالها هو الذي يسمو بالإنسان إلى مقام الحضارة. ومن هنا نسعى إلى أن يكون التعريب خارج الشعارات، ويطرح في إطار التحديث والإبداع، ويكون سلوكا يوميا وإبداعيا حضاريا، عكس ما نراه اليوم، حيث لا يظهر إلا في افتتاح الجلسات والبسملة. كما نسعى إلى أن نكون خارج: (فكرة المغلوب مولع بلغة الغالب). فقضية الإيمان بهذه اللغة هي الأساس، بل هي بداية العمل من أجل تطويرها.

(ب) – الأطر المعوبة: التعريب عند الكثير منهم متجذر في أعماقهم، لدرجة أنه يشكل حقل الصراعات الطبقية والتوترات الإيديولوجية مع غير المعربين في الوقت الذي يمثل عند البعض رهانا للوصول إلى السلطة، وتعد سياسة التعريب عموما بمثابة إجراء للانتقاء الاجتماعي من شأنه أن يلعب ضد الفئات المحرومة[2]. ومن هنا نجد البعض منهم يستخدم القوة التقليدية للغة العربية في علاقتها بالإسلام، ويحاول خلق رموز للوحدة الوطنية بتوظيف العربية، وبعضهم يوظف الحديث النبوي الشريف (ليست العروبة من النسب، بل من اللسان) كما يريدون.

باختصار فإن المعربين منذ الاستقلال لا حول لهم ولا قوة، أغلب تكوينهم أدبي لا يسمح لهم باعتلاء المراكز التقنية العالية التي تقع في المجال الفرانكفوني.

ومهما يكن، فإن نصف الحل يكمن في نظري في معرفة معنى التعريب الذي كان يجب أن يحصل، وهو: أن يتم تلقين ونقل العلوم للمتلقي بلغة عربية سليمة؛ هذه اللغة تراعي التطور العلمي والتقني والاجتماعي والاقتصادي، في نفس الوقت يجب تهذيب خطاب التعريب؛ حيث إن التعريب لا يعني الإقصاء، ولا يعني إخراج الإطار غير المعرب إلى التقاعد وإلى التهميش، وكذلك لا يعني إلغاء اللغات الأجنبية؛ هذه اللغات التي يجب أن يهتم بها أكثر من السابق، فهي ضرورة عصرية، شرط ألا تكون في وضعية مزاحمة للغة الوطنية، ولا تنقل المتلقي خارج محيطه اللغوي، أو تدفعه إلى الاغتراب عن هويته. وخطتنا تكون بالتحديد الفعلي في اللغة الفرنسية لنظل على اتصال بالإنتاج العالمي، وإجبار المعرب على إتقان لغة أجنبية واحدة ضرورة لازمة. وهذا كله ضمن استراتيجية عملية وعلمية تنقل اللغة العربية من وظيفتها الاجتماعية إلى وظيفتها العلمية. إذن من اللازم أن يدرك الأطر أن العربية أمر لا بد منه عليهم أن يؤمنوا به قولا وعملا، ويستعدوا للمساهمة في عملية التعريب؛ حيث يتم تعريبهم تدريجيا (مرحليا) والاستفادة من خبراتهم ولغتهم في هذا الميدان، بل ترقيتهم حسب درجة توظيفهم للغة العربية، وتحديد مهلة زمنية يتم فيها انتقالهم من العمل بالفرنسية إلى العربية وتحميلهم المهام المنوطة بهم كاملة. وأدرك مسبقا أن كثيرا من أطرنا لا يحملون العداوة للغة العربية، ولا يزورون عنها، وعذرهم أنهم لا يدركون الحجم العلمي الذي تملكه اللغة العربية والزاد الوفير الذي تتوفر عليه، وهذا كله بسبب عدم الاطلاع على المستجدات التي تمس هذه اللغة، بل إن وسائل الإعلام الغربية زادت من استفحال هذه الظاهرة، حتى أصبحنا لا نرى إلا نقصا فيها، أضف إلى هذا أن الاطلاع على ما تدره لغة واحدة هو النقص بعينه؛ فبعض اللغات تهتم بالجهة التي تناسبها فقط حيث تنظر بعين واحدة.

وفي هذه النقطة، لا مانع من الاطلاع على تجارب الدول العربية التي سبقتنا، نستأنس بما قدمته، وبالخطوات التي قطعتها، وبالخطة التي اعتمدتها[3]، ولدينا نماذج كثيرة.

(جـ) طرح بديل اللغة الأمازيغية: الأمازيغية في بعض المناطق الجزائرية، هي اللغة الأم، والعربية هي اللغة الثانية (لغة المدرسة فقط). كلنا يعرف أن في الجزائر هويات متعددة متعايشة، وكل هوية تقوم على لغة، أو نمط لغوي، لكنها لا تتوفر على الأعراق اللغوية الآتية من الفوارق العرقية، وقد حصل التعريب العرقي منذ القدم، وما يطرح في الوقت الراهن من مسألة الأمازيغية، ليس العرق اللغوي وإنما الاعتراف بهذه اللغة على أنها تشكل جماعات لسانية في مختلف مناطق الوطن وتريد أن يكون لها وجود

فكري بوساطة هذه اللغة التي تخضع لهيمنة اللغة العربية. ومهما يكن، فإن الذي نسعى إلى إبرازه من خلال هذا الفصل هو: هل يمكن أن تكون الأمازيغية، بمختلف لهجاتها، بديلا عن اللغة العربية في الجزائر، أو تكون بديلا عن اللغة العربية والفرنسية معا، وتحتل ما كانت تحتله اللغتان في كل المجالات؟.

في الجزائر لا توجد بشكل رسمي لغات قومية، بل لهجات عربية ولغات (لهجات) أمازيغية. ونعرف أن القضية تحمل أبعاد الهوية الاجتماعية التي فصل فيها منذ دخول الإسلام هذا الوطن، بل إن القضية في بعض أبعادها تحمل التوجه نحو الإقليمية الضيقة؛ لأنها تطرح في بعض المناطق التي تشكل أطلسا لغويا معينا. ومهما يكن من أمر، فهل يمكن أن تكون الأمازيغية البديل للغة العربية؟. نعرف مسبقا أنه يستحيل أن تكون كذلك، ولا يمكن أن ترقى أية لهجة أخرى من اللهجات إلى مقام اللغة العربية الأدبي؛ لأن قضية اللهجات تطرح ملازمة للأمازيغية والذين يطرحون القضية يعودون بنا إلى موضة الأربعينيات فكأننا نعيش زمنا ولى، وليتهم يدركون أن الوقت تغير، وأن المعطيات جديدة. ومن هنا لا يمكننا طرح البديل في الأمر، لأننا نعرف أن اتخاذ الأمازيغية لغة بديلا للعربية أو لهجة من لهجاتها هي العودة إلى الوراء عدة أجيال بل يمكن أن تخدم العربية الفصحى اللهجات والأمازيغية، إلا أن المقام يسمح لنا بأن يكون هناك تسامح لغوي من قبل اللغة المهيمنة تجاه اللهجات واللغات الإقليمية والتي هي شق من العربية بل تعتبر من الروافد لها. ومسألة القمع اللغوي توجد في كل البلدان، بل من سنن تعايش اللغات في كل بقاع العالم، كما أن اللهجات لا تحول دون استخدام الفصحى، وهذا ليس من الركائز الأساسية العاملة على فعالية المنظومة التربوية، إلا أنه يساعد على ضعف الاهتمام باللغة الوطنية ويخلق نوعا من الاحتكاك اللغوي الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى عدم التفريق بين النظام اللغوي الفصيح والدارج. ونعرف مسبقا أن العالم العربي يعاني من مشكلة اللغة الدارجة المستفحلة ولكنها تعتبر أحد مستويات اللغة الفصحى، وقد وجدت هذه اللهجات حتى في عصر الذين وضعوا قواعد هذه اللغة، و لم يشتكوا منها، لأنها تصلح لبعض المقامات، كمقام الأنس، والفصيحة تصلح لمقام الأدب ... فاللغة العربية بما تملكه من تلو ن وسعة أوسع من أن تحد.

د) — **طرح بديل اللغة الانجليزية:** على أساس أن الفرنسية كانت، في المنظومة التربوية، اللغة الأجنبية الأولى إلى غاية الثمانينيات، وبعد تعميم المدرسة الأساسية أصبحت اللغة الثانية بعد الإنجليزية. الواقع يقول إن التمدرس أثبت انحسار الفرنسية عندنا، وخاصة في المدرسة الأساسية، فأصبحت اللغة الأجنبية الثانية بعد الإنجليزية، ولكن الفرنسية لغة الإدارة والاقتصاد والمعاملات، ولغة الاتصال اليومية حتى بين بعض المعربين. وهنا يكمن الخلل حيث إن الفرنسية تحارب عن طريق لغة علمية أرقى منها،

وهذا يعني في المنظور العام إقصاء متعلم الفرنسية. وهل يمكن أن تكون الإنجليزية في الجزائر بديلا عن الفرنسية؟ وهل نملك الرصيد المعرفي والإداري في الإنجليزية مثلما نملكه في الفرنسية؟. يتبادر إلى الأذهان أن هذا الفعل يقصد منه تهميش الفرنسية، دون إيجاد البديل في اللغة الأجنبية التي نسعى إلى أن تكون الأولى. صحيح أن اللغة الإنجليزية لغة علمية عالمية أولى بل هي أرقى اللغات، لكن نتساءل ما حظها في الجزائر؟ هل أجريت دراسات حول عدد المدرسين الذين يملكون الزاد العلمي فيها؟. يبدو لي أن اتخاذ مثل هذا الموقف الذي صدر عن غير دراسة، بل عن موقف عدائي لا غير، قد يخلق الانشطار والخوف أمام عربية تعاني من الغربة والرفض والتشويه، والعزلة، وانحسار الفرنسية في الواقع والتي لها امتداد واقعي في مجالات العمل، وتفضيل الإنجليزية عن الفرنسية، أو وضعها في مقام أول ونحن لها غير مدركين. وأرى أن المواقف العلمية هي التي يجب أن تسود في المرحلة الانتقالية، وهذا كي لا يحصل الإلغاء ولا يحصل العنف أيا كان وأن تكون الإنجليزية بديلا عن الفرنسية في هذا الظرف يصعب النجاح فيه، ورأينا أن استيراد اللغة لا يرتقي بالوطن ولا بالمواطن.

3- **التعريب الجزئي**: يعني تعريب مواد معينة دون غيرها من المواد (تعريب عمودي)، وهذا في إطار التعريب الشامل الذي يأتي في مراحل لاحقة، هذا التعريب الذي حصل بالفعل ثم حصل التراجع عنه، ولحقه الخلط مع التعريب الأفقي؛ والذي هو تعريب مرحلي. أضف إلى هذا الشكل القطاعي الذي اقتصر على ميدان التربية والتعليم (التعليم الأساسي) ويستثنى التكوين المهني والتعليم العالي، وكذا تعريب الحالة المدنية في البلديات والمحاكم. و لم تكن العربية لغة عمل الإدارة كافة والاقتصاد والإعلام وكل مؤسسات المجتمع. وتدل كثير من الدراسات والتجارب التي قامت بها بعض البلدان العربية (سوريا والعراق)، على أن التعريب الاجتماعي يتطلب تضافر جهود كل مؤسسات الدولة من أجل نجاح الفعل التعليمي "وفيما يتعلق بالتعريب الاجتماعي فإنه يتطلب استخدام اللغة العربية في جميع نواحي ومستويات الحياة العربية اليومية، كما يستلزم استبعاد دور اللغات الأجنبية كوسيلة للارتقاء الاجتماعي، أو كمؤشر للتمييز بين طبقة اجتماعية وأخرى، ويتلازم هذا المفهوم الاجتماعي للتعريب مع التعريب الحضاري، والذي بدوره يستهدف التفتح العربي الفكري على مقومات الحضارة العالمية الحديثة من ناحية، وتحرير الإرادة العربية من التخلف التكنولوجي والتبعية الثقافية والاقتصادية الأجنبية من ناحية أخرى. ولعله من المفيد الإشارة هنا إلى التجربة اليابانية حيث استطاعت اليابان أن تصبح دولة عظمى من النواحي التكنولوجية والفنية والحضارية في فترة زمنية قياسية، أصبحت تنافس دول أوربا وأمريكا من حيث إحداث التفاعل والانصهار بين حضارتها الوطنية الأصيلة، وبين مختلف المعارف العالمية الحديثة

التي تمكن الشعب الياباني من استيعابها وجعلها جزءا من مقومات الحضارة اليابانية، وفي الوقت نفسه ظل هذا الشعب حريصا على تراثه الاجتماعي المتميز وتمسك بهويته اليابانية"(4).

ولقد عد تلقين مادة المصطلح في الجامعة الجزائرية من التعريب الجزئي؛ حيث كانت هذه المادة عادة تسند إلى أساتذة جدد متخرجين بشهادة ليسانس أدب عربي أو حقوق. مساق يأخذ فيه الأستاذ كل حريته في الحضور، وفي نوع المادة التي يقدمها وكيف يقدمها: غياب المنهج، غياب المقرر، غياب المتابعة، غياب التقويم. والآن كيف يمكن أن نقول إن مادة المصطلح تلقن بالعربية، والإدارة كان يهمها تقديم علامة لا تقصي الطالب لأنها العلامة التي توحي أن الطالب تعلم مادة باللغة الوطنية فقط. وبعد سنة 1988م أوقف تدريس هذا المساق، والذي في الحقيقة لا يقدم شيئا ولا يؤخره في التحصيل الجامعي. سردت هذا المثال لبيان فضل التعريب العمودي الذي يجب أن لا نكرره في تجاربنا اللاحقة، بحيث يكون التعريب بشكله المرحلي الثابت الذي يراعي كل خصوصيات اللغة، مع وجود المواد الأخرى مرحليا، على أن تترك بعض المساقات بالفرنسية فهي ضرورة لازمة مهما كان نوع التعريب؛ لأن التعريب الذي نقصده لا يعني إلغاء كل مواد اللغات الأجنبية، بل أن يكون هناك مساقان أحدهما علمي، والآخر أدبي يعملان على تنمية اللغة العلمية والأدبية لدى المتلقين بصرف النظر عن الاختصاص.

ويصاحب هذا قضية القرارات والتراجع عنها، ومسألة المتابعة الجدية، وما أسفرت عنه مختلف المؤتمرات التعريبية التي لو طبقنا بعض قراراتها وتوصياتها لكنا قد سايرنا الحدث في بعده العام. ومن هنا فإن الأمر يكمن في أن القرار يجب أن يتابع ويقوم بعد ذلك، ويعمل على تكييفه حسب المعطيات الموجودة. ومن هنا يمكن الاستئناس بالمنجزات السابقة، ونذكر منها خلاصات الأيام الدراسية وحلقات التعريب وملتقيات التعريب، وما قدمته الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، ويمكنني أن أقدم المحاور الكبرى التي قامت عليها هذه الاجتهادات:

- التعريب في سياقه الحديث والعلمي.

-- مخططات لتعريب العلوم والتكنولوجيا والطب.

--- آفاق التعريب المرحلي.

ولدينا حاليا بعض الشواهد العلمية حول إمكانية التعريب فيكفي أن نأخذ العبرة من تعريب العلوم الإنسانية سنة 1980م، وكيف تحول الأساتذة من التدريس باللغة الفرنسية إلى التدريس بالعربية. دون أن ننسى منجزات التعريب على مستوى المدرسة العليا للأساتذة وجامعة باب الزوار وسطيف وباتنة، وبعض المراكز الجامعية في كل من تبسة وبسكرة وورقلة وأم البواقي.

ضعف المستوى في النظام التربوي

على الرغم من أن العربية مست كل مراحل التعليم العام، فإن مستوى النظام التربوي يعتبر ضعيفا. فما هي أسباب هذا الضعف؟. ترى الأوساط التربوية أن الضعف استفحل بعد تطبيق التعريب في المدرسة الأساسية فقط، ففي النظام القديم أيام العمل بالثنائية اللغوية والتعريب المرحلي الذي كان يمس بعض المراحل فقط، كان مستوى الطالب مقبولا في أغلب الأحيان.

لا شك في أن ضعف المستوى ملاحظ في وقتنا الحالي، وتعلق أسبابه على المدرسة الأساسية التي عربت نهائيا. وفي ظل غياب المعطيات الدالة على ذلك، يبقى أن نقول هل المعطيات العلمية والمادية التي يجب أن تقدم لهذه المدرسة كانت كافية مثل الإطار الكفء، والإمكانات. وأكتفي بالنقطتين لأنهما لب المشكلة. الإطار الكفء موجود ولكنه يحتاج دائما إلى تربص وإلى إطلاعه على المستجدات العصرية كما أن هذا الإطار يحتاج إلى الإمكانات المادية والتي بواسطتها يستطيع أن يقوم بواجباته التربوية أمام النقص الفظيع في كل شيء، إذ كيف يستطيع أن يبلغ المردود اللازم أمام عدد من التلاميذ يفوق الأربعين، غياب الدراسات المتعلقة بالنمو الديمغرافي (الانفجار الطلابي) والتطور العمراني، بما فيها الهياكل المدرسية، والحجم المرهق، وحرية المبادرة المنعدمة لدى المدرس نظرا للمحاور التي يجب الالتزام بها، وكثافة البرامج دون الحديث عن الظروف الصعبة التي يعيشها المربي، وخاصة في الريف، وهي من العوامل التي تساعده على تأدية واجباته أو تعيقه، ولا ننسى أن المدرسة الأساسية مهما كانت محاسنها فهي لا تحمل الكمال في أهدافها وبرامجها، وتحتاج إلى تكييف دائم مع المعطيات الراهنة. وهنا يتخوف الكثيرون من هذه الظاهرة، فيرون أن المدرسة الأساسية أصابها الضعف، فهل يمكن أن يكون التعريب هو المنقذ من ضعف المستوى؟. الواقع يقول إن ضعف المستوى له عوامله الكثيرة، وما يتعلق بالمدرسة الأساسية هو جزء من العملية التي مست كل القطاعات إلا أن الحديث تركز على المدرسة الأساسية، لأنها العمود الأساس في العملية التعليمية. الشق الأول من الإجابة عن هذا السؤال يكمن فيما ذكرناه آنفا، وينحصر في ضعف إمكانات المدرسة الأساسية، وأما الشق الثاني، فإنه لا يرجع إلى عملية التعريب بقدر ما يرجع إلى سيرورة الفعل التربوي ككل، والمحيط والعمل على ترقية اللغة العربية. والحقيقة أن عدم فعالية التوجيه التربوي له ضلع كبير في هذه المسألة، ويحتاج إلى معالجة حاسمة كما وكيفا، بل إن الأمر يجب أن يطرح في هذه النقطة من زاوية إيجاد المسارب الأخرى للمدارس، فليس من الضروري أن يتمدرس كل واحد رغم أنفه. فكان من الأحرى فتح مراكز أخرى للتأهيل، كما كان من الضروري أن يعد الطالب إعدادا مهنيا يتماشى مع الحاجات القائمة والمنتظرة للمجتمع

الجزائري، وكذلك إكساب الطالب المعلومات والمهارات والخبرات العلمية التي تؤهله لمستوى العامل الماهر، مما يجعل منه مواطنا نافعا قادرا على التطور بمستواه والنمو بمهارته، ولن ينجح التعريب إذا لم يربط بالحرفية، وبحاجات التنمية وسوق العمل. إن ما تهدف إليه العملية التربوية في مختلف المراحل هو مواجهة مشكلات وتطلعات المجتمع كما أنه حان الوقت أن نستهدف النوع لا الكم.

ويصاحب هذه النقطة قضية المتابعة ومواصلة التحديث في المنظومة التربوية وأذكر فيما أذكر أن استبيانات تصل المؤسسات من أجل معالجة أخطاء التعليم ونقائصه، مؤتمرات تقام، ندوات علمية، قرارات تقويمية... ونجد ذوي الرأي تارة لا يستشارون كما نجد أن ما نص عليه من إصلاح لا يعمل به، بل إن شخص الوزير هو الذي ترتبط به المنظومة التربوية، فقدوم الوزير يأتي معه بمبضع الجراحة لتجريبه في المجتمع الجزائري، وهكذا دواليك، فمتى تستقيم الأمور وتكون لنا سياسة تربوية لا تتغير بتغير الوزير، ويكون الوزير هو المنفذ فقط.

5- نقص المؤسسات الفاعلة في ميدان العمل على تطوير اللغة العربية: ويصحب هذا عدم الإفادة من علوم الآخرين ثم دخول سوق الصناعة، مثلما يجري العمل في كثير من اللغات التي لم تدخل سوق المنافسة بعد. وفي هذا المجال نجد بعض المؤسسات أو اللجان التي تجتهد في وضع المصطلحات بدافع وطني وقومي، لا بدافع الحاجة العلمية، وهذا ما لا يخدم العربية أبدا. تقام ملتقيات وندوات ومحاضرات وتخرج بتوصيات تخص ترقية اللغة العربية فلا تجد متنفسها إلا في الأدراج. فمن يقوم على خدمة اللغة؟. خدمة اللغة تقوم على ترقيتها في المقام الأول من قبل ذويها، كل في موقعه. وتكمن القضية كذلك في مسار التعريب كلما تنصب لجنة أو مؤسسة ما لا تتابع في أعمالها ولا تهتم بالأمور التي أحدثت من أجلها، ومن هنا نجد مؤسسات عاجزة عن النهوض بمهامها تجاه تطوير اللغة العربية، فنرجع العجز أو نلصقه باللغة العربية. هذا على المستوى المحلي أو العربي، وأريد أن يعرف القارئ أن الدول العربية مجتمعة لا تملك من المؤسسات ما تملكه إسرائيل من مراكز البحث لترقية اللغة العبرية، أضف إلى ذلك أن المؤسسات الموجودة ناقصة التفعيل، فتحتاج إلى تحريك فعالياتها، وخاصة مؤسسات الترجمة وبنوك المصطلحات. وفي الجزائر أنشئت مراكز تكثيف اللغات؛ وقد وضعت أصلا لتعليم العربية للأجانب، ولكنها في الواقع تستغل لتدريس اللغات الحية فقط، والعربية لا مكان لها في برامجها، وهناك بعض المراكز تقدم بعض الاجتهادات في مجال ترقية اللغة العربية إلا أن نقص الدعم المادي يحول دون تحقيق المطلوب أمام الصمت التام عما يجري فيها من ركود أو نشاط. وفي هذا السياق يمكنني الاستشهاد بالأعمال الإجرائية التي يقوم بها مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية في عملية التعريب، فبمبادرة منه قدم المركز خطة في تهيئة الظروف العلمية والعملية لعملية

التعريب الشامل للإدارة والاقتصاد، برنامج الإنجازات لمدة 18 شهرا، وسوف أنقل الخطة أو المشروع من الأوراق التي قدمها للجهات المعنية كوثيقة عمل.

يمكن لمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية أن يقوم بدور هام ليضمن النجاح الكامل لهذه العملية وذلك بإنجاز الوسائل اللغوية اللازمة من جهة، والإعداد (على شكل هرمي) للأطر الذين سيوكل إليهم عملية رفع المستوى اللغوي لمختلف العاملين في الإدارة والاقتصاد.

1- إنجاز الوسائل اللغوية:

- إنجاز قاموس موحد إداري واقتصادي، فرنسي/عربي.

-- إنجاز نماذج من رسائل للمراسلة الإدارية والاقتصادية.

--- إنجاز نماذج من التقارير الإدارية والمالية.

2- تنظيم دورات تدريبية لرفع مستوى العاملين في الإدارة والاقتصاد:

يتكفل المركز بالإشراف العلمي على إجراء هذه الدورات وذلك:

- بتكوين فريق من الاختصاصيين (لحاملي الليسانس فما فوقها) في ميدان تعليم العربية للكبار.

-- بإعداد كراسة من الإرشادات لفائدة المنشطين.

أما الاختصاصيون، فيعينون على إثر مسابقة وطنية (إطاران اثنان لكل ولاية)، وتدوم الفترة التكوينية تسعة أشهر، ويمنح المترشح الناجح دبلوم الدراسات العليا المعمقة في تعليم العربية للمثقفين. وتكون مهمتهم الإشراف على نفس التكوين الذي تلقوه لمجموعات من الأساتذة الذين يساهمون في تنشيط الدورات التدريبية كل في ولايته.

3- المراقبة التقويمية الشاملة للنوعية فيما يخص المستوى اللغوي: أما التخطيط والتنظيم للدورات التدريبية المحلية فيتكفل به كل قطاع، ويمكن أن تقوم بالمتابعة الهيئة العليا للتعريب التي نرجو أن تنشأ في كل ولاية.

وأمام هذه الإنجازات، لا نرى ذلك التشجيع الذي يجب أن تحظى به، بل إن الأعمال تودع في الأرشيف. وهنا نعلم أن أمثال هذه المؤسسات وجدت لتأدية رسالة اجتماعية فكان من الأحرى أن نقر بالدراسات العلمية التي تقدمها مثلما يحدث عند غيرنا.

6- الفجوة بين النظري والتطبيقي: حيث يدخل في هذا عدم التعمق في العمل بالنفعية العلمية التي تستغل في كثير من البلدان، وخاصة الآسيوية منها، فتعمل هذه البلدان على الاقتباس من كثير من اللغات المضامين التي تخدم لغتها، ثم تعمل على تطويرها على أن تخدم لغتها بعد ذلك. القضية تطرح على مستوى العلوم التطبيقية في المقام الأول؛ حيث يتم استيراد نظرية من النظريات تحت تأثير الإعجاب، ثم نحاول إرغام العربية على قبول خواص تلك اللغة في كل خصائصها، أو نحاول تطبيقها في الواقع الجزائري ومن هنا نجد النتائج تأتي معاكسة للواقع،

لأن المصنع أو النظرية جاءت ضمن لغة معينة وثقافة خاصة فلا يمكن أن تطبق حرفيا على واقع وأرضية مخالفة. والحل موجود لو أمعنا النظر -كما قلت سابقا- على أن نعمل بالنفعية في كل شيء، فنكون برغماتيين انطلاقا من أن علم اللغة العام يحصل علم اللغة التطبيقي ونستفيد من مناهجه كثيرا في تعليم اللغات ومنها اللغة العربية على سبيل الاستفادة في العملية التعريبية، ونفس الشيء يمكن العمل به في إطار استيراد مصنع، فليس من الضروري ان نقوم بنفس المتطلبات التي يتطلبها في محيطه، فنعمل على تكييفه ضمن أرضيتنا الخاصة. ويصاحب هذا العمل أهل التخطيط الذين لا يراعون الدراسات الاجتماعية للمجتمع الجزائري فيحاولون أن يضعوه في قفص يجرون عليه مختلف التجارب، بل نجد تارة أن المخطط من جنسية وثقافة أجنبية، فينقل نمط المعيشة الموجود في بلده والثقافة التي درس بها ويسلط جوانبها على مجتمعنا، فنجد فجوة كبيرة بين التنظير والتطبيق على كافة المستويات. وهنا من السهولة بمكان فإنه عندما تتلازم الدراسات الاجتماعية والعلمية وتراعى الخصوصيات لا يكون إلا النجاح في كل خطة تنتهج، شرط أن يراد منها التقويم لاحقا.

7- **قلة المراجع بالعربية:** من البديهيات أن المعارف تلقن عن طريق الكتب والعربية في مجال العلوم ناقصة في مراجعها، وهذا بسبب عدم العمل على تجسيد المعارف العلمية في اللغة العربية حيث يقع الاتكال على الترجمة التي لا تستند في كثير من مظاهرها إلى الدقة والتوحيد، ومن هنا نجد عربية تعتمد على الإنجليزية وهي عربية المشرق، وعربية المغرب العربي تعتمد على الفرنسية، دون الحديث عن نوع الترجمة التي تكاد لا تتفق على مصطلح مع تعدد المؤسسات العاملة على وضع المصطلحات وتعدد المجامع. ولكن أي مجامع وأية مؤسسات في ظل غياب التنسيق الذي أريد منه أن يكون الموحد اللغوي. العملية معقدة في هذه النقطة لأنها تتطلب الجهد العربي لتجسيد الصورة الحقيقية للفعل العلمي في هذا المجال، ولكن هذا لا يعني أن العربية فقيرة جدا في هذا المجال، بل يمكن الاستعانة بما تم تعريبه في المؤسسات العربية مثل المجامع والجامعات العربية ومكتب تنسيق التعريب، هذا في المرحلة الأولى، على أن تؤخذ الأعمال التي وقع عليها الإجماع كمصادر، ثم يحصل الاجتهاد من قبل اللجان التي توكل لها مهمة الترجمة والتأليف والنشر.

وفي هذه النقطة لا يجوز أن نتخوف من عملية التعريب، فالنقص كائن، لكن المنجزات التي حصلت عليها الوزارات المعنية في مجال الاستعداد للتعريب من قبل مجمع اللغة العربي الأردني والمجمع السوري ومكتب تنسيق التعريب وغيرها من المؤسسات العربية، أضف إليها الاجتهادات العلمية التي قدمتها اللجان الوطنية التي لها إسهامات معتبرة في الميدان، والرسائل الجامعية التي قدمت في هذا الشأن لهي كافية في المنطلق على أن يتواصل الجهد بعد ذلك، بواسطة الدعم والتشجيع كل في موقعه.

8- **عدم تجسيد الترجمة:** الترجمة فعل حضاري في كل حضارة قامت، فالعربية انتقلت من القول إلى حركية الفعل بفعل الترجمة أيام هارون الرشيد، وخصصت لملاحقة المستجدات العصرية في المقام الأول، ثم لحصول المثاقفة في الشكل الذي يجب أن يكون نقل المعارف إلى العربية آنذاك، ثم تمحور حول تحاور العربية مع الثقافات الأخرى، وتلاقحها معها لتنمو وتصبح قادرة على الإسهام في الثقافة التي كانت لها الصدارة آنذاك. وهكذا كانت في البداية من الأعمال الثقافية الأساسية في تبادل الفكر، وتفاعل الثقافة ونمو العلم، والتي هي ضرورة قصوى واجتماعية، حيث كانت تعريبا للمعارف لا تعجيما إلا في المرحلة الثانية بعدما تم التحكم في الآليات العلمية آنذاك، حيث أصبحت تعجيما، وكانت على مراحل، انطلاقا من أن الترجمة إلى العربية ومنها مصدر في عملية التواصل الإنساني، وضرورة حضارية.

الترجمة والتعريب متلازمان ويتطلبان نمو اللغة بشكل متطور لتواكب ركب الحضارة، وبناء نهضة وتحقيق البعد الوطني والإنساني وهنا يجب التفريق بين الترجمة: والتي هي نقل من لغة أجنبية إلى ما يقابل النص أو المصطلح العلمي باللغة العربية والتعريب، وهو محاولة نقل الكلمات أو المصطلحات العلمية من لغة أجنبية إلى اللغة العربية مع تحويرها نطقا لتلائم النطق العربي. والمقام لا يعني أن نفصل بينهما، فكلاهما يعملان على ترقية اللغة العربية. ففي هذه النقطة يكمن الحل في أن تقدم المساعدات المادية للخبراء المتخصصين في الميدان تحت هيكل علمي يشرف على الترجمة بالاستعانة بأحدث ما توصلت إليه الترجمة من التجهيزات الإلكترونية لتفادي التأخير الذي تسببه العملية.

ولا بد للترجمة من تجسيد الخطة القومية التي تخضع للأهداف والأسس والوسائل والمراحل وطرق التنفيذ، وهذه لا يستطيع بلد واحد أن يقوم بها، ويستحسن، في هذا، الاستئناس بما قدمته سوريا في هذا المجال(5) حيث تحاول تطبيق الخطط القومية التي تعدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والتي توصي بها في كثير من لقاءاتها وتتمثل هذه الخطط في الآتي:

1- إغناء الفكر العربي، وإخصابه بروائع التراث العلمي.

2- إرساء نهضة علمية بنقل العلوم المختلفة والتكنولوجيا الحديثة.

3- نقل الدراسات العميقة في شتى فروع المعرفة لتعزيز البحث العلمي.

4- المساعدة على تعريب التعليم بشتى مراحله وأنواعه في جميع البلدان العربية.

5- تعريف المواطن العربي بقضايا العصر ومشكلاته.

6- تعريف العالم بنتاج الفكر العربي قديمه وحديثه.

7- تطوير اللغة العربية بحيث تصبح قادرة على

التعبير عن متطلبات الثقافة الحديثة.

وهذا كله لا يتحقق إلا بزيادة الدعم المعنوي والمادي لمؤسسات الترجمة، وإحداث مؤسسات حكومية للترجمة والنشر، وإصدار التشريعات اللازمة لتنظيم حركة الترجمة والرقي بها وحماية حقوق المترجمين وتحديد واجباتهم. وهذا في الحقيقة يكفينا شر التضارب والارتجالية التي نلمسها في عملية الترجمة، والتي ينتج عنها تارة عدم استثمار ما يعده المترجمون للمستهلكين.

وإن تجاربنا في هذا الميدان لكثيرة بالقدر الذي كنا نتحدث عن التعريب نجد الترجمة ملازمة له على أنه رافد أساس لها، وذلك هو الصحيح، فالمراحل التي قطعناها في هذا المجال يجب أن تستغل؛ حيث كرست لدينا معطيات علمية لا بأس بها، وهي التي توضح لنا خط الرجعة عن خط التواصل، والتي تبين لنا كثيرا من الحقائق التي سايرناها في هذه العملية و لم نعتمد اللازم في ذلك. ورغم ذلك يمكن القول إن تجارب النهضة، وعلى مدى مراحل تاريخية، قد كرست لدينا من المعطيات ما يكفي لاستنتاج حقائق، نرى في ضوئها أن مسألة الترجمة هي مظهر هام من مظاهر النهضة والتكوين الثقافي المستقل والمتفتح معا. ويؤدي هذا إلى استنتاج الحقائق الثلاث:

"- الحقيقة الأولى، صحة الواقعة التاريخية التي أثبتت أن الدخول الفاعل أو المتفاعل في تجربة نهضة عربية، لا يتوقف على الترجمة وحدها، بل يعتمد بالدرجة الأولى على كون أهل اللغة العربية أنفسهم من المشاركين عمليا في صناعة الحضارة.

- والحقيقة الثانية نجاعة المقولة السوسيولوجية القائلة بأنه يكاد يكون من المتعذر استيعاب المعارف علمية، أو أدبية، استيعابا حقيقيا تكوينيا ما لم تكن اللغة القومية المعبرة عن روح الأمة هي الأداة الموصلة لمضمون هذه المعارف إلى عقله ووجدانه.

- والحقيقة الثالثة وجاهة التصور الأنتروبولوجي الذي يرى أن الترجمة لا بد أن تعنى بالانطلاق من احتياجات مجتمعنا العربي ووعيه بأن مشروع ثقافته رهن بمادة التقويم المستمر، والاستيعاب الواعي الحر لإبداع الثقافات الأخرى"(6).

9- **تعريب أساتذة الجامعة:** نقصد في هذه النقطة تعريب أساتذة اللغات الحية الأجنبية والمواد العلمية غير المعربة، مع أننا نقر في ذات الوقت أنه لم يبق أستاذ جزائري شاب لا يعرف العربية معرفة بسيطة؛ حيث تدلنا الإحصائيات الوزارية أن نسبة 94% من المعيدين والأساتذة المساعدين من خريجي الجامعة الجزائرية، قد تلقوا، في المراحل ما قبل الجامعة، تعليمهم بالعربية بشكل أو بآخر، وهؤلاء الأساتذة لا يحتاجون إلى المرحلة التلقينية للغة، بل هم في حاجة إلى تحسين مستواهم فقط كي يتأهلوا للتدريس باللغة العربية. وأما الأساتذة والأساتذة المحاضرون فنسبتهم قليلة وهم كبار السن الذين لم يتعلموا اللغة العربية لظروف معينة، وهؤلاء يحتاجون إلى وضع خاص.

وفي هذه النقطة يجب أن نعلم أن منطلقنا يكون

إكساب هؤلاء الأساتذة المهارة اللغوية، وهو حدث لغوي عظيم، يجب أن يتحول في اللاحق من الزمان إلى الإبداع في المادة التي يعلمونها. ومن هنا يكون التركيز على المهارات اللغوية وعلى تقويم اللسان. وعلوم اللسان الوظيفية التي يلم بها هي: النحو واللغة والبيان والأدب[7] ولا يعني هذا أن نطلع الأستاذ على فقه هذه المواد سلفا، بل نعمل على استنهاض رصيده المعرفي في هذا المجال؛ لأن المواد المذكورة هي الأصل الأول للاتصال، ثم تأتي اللغة العلمية المعتمدة على المصطلحات، فتعابيره تكون بتوظيف علوم اللسان هاته وهي التي تكسبه المهارة اللغوية بالصنعة ثم تصبح طبعا. وهكذا يمكن أن نبلغ الأستاذ الأساليب المبتكرة لتذليل الصعوبات اللغوية التي يعايشها في حياته العملية أولا لتحقيق فائدة معينة في مجال عمله أو تخصصه. ويكون ذلك عن طريق تسطير برامج تطبيقية مناسبة لعمل كل مدرس؛ حيث يكون التقليل من النظري المجرد وزيادة الاعتماد على الأنشطة المختلفة، باستعمال المشاغل اللغوية والتعليم الذاتي والتعليم المبرمج لأننا في عصر يحتم علينا أن نسلك كل الطرق المفيدة في تعليم لغتنا؛ حيث نجرب كل الأساليب ولا نقتصر على الطرق المألوفة، وهذا كله باعتماد مبدأ: تعلم كيف تتعلم. وتدخل في هذا المجال عملية التقويم، فمن الأفضل ألا تأخذ شكل الامتحانات التقليدية التي يغلب عليها طابع الضغط والسرعة والتقدير المباشر.

وما يمكن أن أقترحه في هذه النقطة هو العمل أو المشروع الذي قدمه أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح، مدير مركز ترقية اللغة العربية ببوزريعة، للوزارة والذي أرى أنه يسد الثغرة، بل هو كفيل بأن يعطي النتائج العلمية المقبولة، ويعتمد فيه الآتي:

(أ) - دور المركز في تهيئة الظروف العلمية والعملية لعملية تعريب التعليم والبحث العلمي، برنامج الإنجازات لمدة أربع سنوات: كما سبق أن اقترحناه في تعريب الإدارة والاقتصاد، فإن المركز سيساهم في تهيئة الظروف لتعريب التعليم العالي بإنجاز بعض الوسائل اللغوية الأساسية من جهة، ومن جهة أخرى بالإشراف العلمي على تعريب الأساتذة.

أ- الوسائل اللغوية:

1- إنجاز معجم أساسي للغة العربية لأساتذة التعليم العالي (أدنى عدد من المفردات العربية الشائعة التي لابد منها للفهم والإفهام).

2- النظر في كل المعاجم العربية والمصطلحات العلمية والتقنية المتوفرة الآن عبر العالم، وخاصة المعاجم الموحدة التي نشرها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وتصحيحها واختيار المفردات الأكثر شيوعا في الأوساط العلمية العربية.

3- حصر كل الكتب العلمية العربية المترجمة وغير المترجمة وخاصة المقررة في التعليم العالي ونفس الحصر بالنسبة للدوريات العلمية المتخصصة ثم اصطفاء أحسنها وأكثرها رواجا بالاستعانة بلجان متخصصة من الأساتذة والباحثين.

ب- التعريب المنتظم لأساتذة التعليم العالي:

يتكفل المركز بالإشراف العلمي على عملية تعريب الأساتذة وذلك:

1- بتكوين فريق من الاختصاصيين في ميدان تعليم العربية للجامعيين (لحاملي الليسانس فما فوقها).

2- بإتمام الطريقة التعليمية السمعية البصرية الخاصة التي أخرجها المركز.

3- بإجراء تعليم تجريبي لاختيار الطريقة المذكورة وتصحيحها وإثرائها عند الاقتضاء على عيّنة من الأساتذة المتطوعين.

أما الاختصاصيون فيختارون أيضاً من بين الناجحين لمسابقة وطنية (إطاران أو ثلاثة لكل جامعة) وتدوم الدراسة تسعة أشهر يمنح على إثرها دبلوم الدراسات العليا المعمقة في تعليم العربية للجامعيين (ينضمون إلى الفريق السابق الذكر). وسيقومون هم بدورهم بتكوين العدد الكافي من الأطر لتعريب الأساتذة في مؤسساتهم.

ت- المراقبة التقويمية الشاملة لتعريب التعليم العالي: تقوم كل مؤسسة علمية بتنظيم عملية التعريب لأساتذتها وتنشأ فيها لجنة عليا للمتابعة.

(ب) - دور المركز في تدعيم التعريب من حيث النوعية بالبحوث العلمية والتقنية: إنّ تعميم التعريب على جميع القطاعات في بلادنا، في أجل معيّن، يحتاج إلى أن يدعم دعماً علمياً بإجراء البحوث العلمية والتقنية المنتظمة، وقد شرع المركز في إنجاز عدة مشاريع منذ إنشائه مثل الطريقة التعليمية المشار إليها والمشروع الدولي الذي يشرف عليه ألا وهو الذخيرة اللغوية العربية وغير ذلك. فالمطلوب من السلطات المعنية أن تضمن لهذه المشاريع النجاح التام بالتعزيز المالي والبشري وغير ذلك.

1- المشروع الوطني الخاص باللغة الوطنية: عرضت وزارة التعليم العالي (مديرية تنسيق البحث العلمي) على المركز أن يشرف على مشروع بحث وطني خاص باللغة العربية في إطار إنجاز المشاريع الوطنية ذات الأولوية يُشارك في إنجازه باحثون جزائريون، فأعدّ المركز بالاستعانة بمجموعة من الاختصاصيين المحاور والموضوعات البحثية، وتمّ ذلك في ماي 1996م، وكان من المفروض أن يجتمع الباحثون في ندوة تجمع كل المشاريع في العلوم الإنسانية وذلك في شهر سبتمبر أو أكتوبر 1996م، و لم يتم ذلك إلى الآن. ونرجو أن يواصل تنفيذ المشروع بإجراء النداء للمجموعة العلمية الخاص بمشروع اللغة العربية في أقرب الآجال إذ سيساهم فيه عدد كبير من الباحثين عبر التراب الوطني لإنجاز المحاور العلمية الخطيرة بالنسبة للتعريب ونوعيته.

(جـ) أهم المشاريع التي يقوم بإنجازها المركز حالياً وكلها مفيدة لعملية التعريب:

1- بحوث نظرية وميدانية ترمي إلى إنجاز طريقة ناجعة لتعليم العربية للكبار وخاصة المثقفين.

2- بحوث نظرية وميدانية ترمي إلى مضاعفة مردود طريقة تعليم اللغة العربية في التعليم الأساسي

والتعليم العالي.

3- بحوث مخبرية ترمي إلى تعريب الأجهزة الإلكترونية: العلاج الآلي للأصوات العربية (التركيب الصناعي للكلام واستكشافه الآلي).

4- بحوث في المعلوميات (الحاسوبيات) ترمي إلى العلاج الآلي للغة العربية والصياغة الرياضية المنطقية للحدود والأنماط النحوية والصرفية من جهة والتوثيق الآلي بالعربية من جهة أخرى.

5- بحوث في حوسبة الذخيرة للغة العربية.

6- بحوث معجمية بالاعتماد على الذخيرة اللغوية.

7- بحوث لغوية طبية ترمي إلى إنجاز طريقة ناجعة لمعالجة المصابين بالحبسة وغيرها من أمراض الكلام، وغير ذلك من البرامج.

إنشاء دبلوم الدراسات العليا المعمقة في تعليم العربية للجامعيين من الآن وفتحه في كل سنة بكيفية آلية:

1- فتح الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي في كل سنة من دون تقديم طلب.

***** تدعيم الأعمال السابقة الذكر بالتعاون العلمي مع الخارج:

1- التعاون مع المؤسسات العلمية العربية للاستفادة من تجاربها:

- مواصلة التعاون مع مركز البحوث العلمية السوري.

- مواصلة التعاون مع المجامع العربية.

- إقامة تعاون مع بعض الجامعات العربية لإجراء دورات تدريبية للأساتذة الجزائريين بالاعتماد على مخطط دقيق تحت إشراف المركز ومتابعته، وبعد الاتفاق مع هذه المؤسسات على برنامج مفصل ونقترح أن يكون أحد الاختصاصيين في المركز موكلاً بالمتابعة في عين المكان حتى لا يترك المتدربون بدون مرشد ولا متابعة.

- استئناف العمل المشترك مع مؤسسات المغرب العربي في ميدان التعريب.

2- التعاون مع المؤسسات العلمية الأوربية والكندية:

- تنظيم دورات تدريبية للاختصاصيين الجزائريين في الجامعات الفرنسية والبريطانية والكندية (في مراكز المصطلحات العالمية في الكيبيك وغيرها) لتجديد معلوماتهم واكتساب التقنيات الجديدة في ميدان تعليم اللغات والمصطلحات والحوسبة.

- تنظيم تعليم تجريبي لمدة قصيرة للغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية للمقارنة العلمية بين الطرائق التعليمية مع إشراف العلماء الأوربيين وذلك في الجزائر وفي الخارج بالتداول.

ونلفت أنظار المسؤولين الأفاضل إلى أن التعاون مع الخارج هو من أشد الضرورات ومن أكثر الوسائل نفعا، إذ لا يمكن أن يجري أي عمل علمي بدون أي اتصال مع الخارج؛ وعمليات التعريب هي أحوج العمليات القومية إلى هذا التعاون كما لا يخفى ذلك على أحد.

وفي مشروع آخر يقترح الصيغة الإجرائية لرسكلة (إعادة تكوين) أساتذة العلوم والتكنولوجية والباحثين في إطار التهيئة الطبيعية للمساهمة في العملية التعريبية؛ حيث يركز مشروعه المقدم لوزارة التعليم العالي في يناير 1997م على المستلزمات الأساس في إعداد المكوِّنين والكوَّنين ضمن نسق عام، وخطة تدوم لغاية العام 2000م.

والهدف من هذه "الرسكلة" هو تهيئة أساتذة العلوم والتكنولوجية، بالعمل على إكسابهم القدر اللغوي الذي يستطيعون بواسطته تبليغ دروسهم باللغة العربية. ويقوم هذا المشروع على العناصر التالية:

1- ضرورة قيام هذا المشروع على خطة مبنية على نظرية علمية أثبتت النجاعة في التطبيق.

2- ضرورة قيام العملية على التحكّم في آليات اللغة إلى جانب التحكّم في المصطلح العلمي المتداول في الاختصاص.

3- ضرورة التجنيد التام لكل المرافق الحيوية المساعدة والمكمّلة لعملية التعريب.

وهذه الضرورات الثلاث تتضمن الآتي:

- تدعيمها بأحدث النظريات اللغوية.

- تدعيمها بالنظرة اللسانية التي تراعي خصوصيات اللغة العربية.

-إعداد كامل وكاف في التأطير ومستلزماته.

ويقوم هذا المشروع الذي سينفذ على مرحلتين؛ مرحلة قصيرة المدى تبدأ من يناير 1998م إلى 15يوليو من عام 2000م. وفي المشروع مجموعة من الشروط الواجب توفيرها تفادياً لكل فشل يطرأ على هذه العملية. وأهم شرط يركز عليه المشروع مسألة **الانغماس اللغوي** الذي يجب أن يتوفر لكي يتمّ التحصيل اللغوي خاصة أنه هو الأساس.

10- **المصطلح**: مشكلة المصطلح مطروحة في كل لغات العالم، حتى في الإنجليزية التي تهيمن على علم المصطلح، دون الحديث عن الفرنسية التي هي مرجعيتنا في كل شيء، تفد إليها عشرات المصطلحات الأجنبية كُل يوم، فتقيم من أجلها ندوات علمية لتحارب المصطلح الدخيل. ويطرح عندنا المصطلح كلما يطرح التعريب، ولكي تكون للمصطلح وظيفة اجتماعية وفنية لابدّ أن يتّم في إطار التعريب؛ لأنّ مفهوم التعريب يشمل المصطلح والترجمة معاً، كما يطرح دائماً في مجال النقص المصطلحي في إعطاء التسميات العلمية للمسميات الجديدة. وعلى العموم فإنّ العربية تعاني من نقص فظيع في المصطلح نظراً لعدم استنبات العلم بها، وتوطين الثقافة، ولكن لا يتنافى التعريب في البداية مع استخدام المصطلح الأجنبي، دون الشعور بأي مركب نقص، بل يكون رائدنا الأساس الحفاظ على روح اللغة وأساليبها الخاصة، فكل الدول النامية عملت بمبدإ الأخذ من اللغات المتطورة في أول أمرها، إلى أن تطورت لغاتها فأصبحت تشارك في ميدان تجسيد المصطلحات. ومع كل هذا فإنّ العربية تملك رصيداً لغوياً معتبراً تستطيع به أن تقف أمام اللغات الحية،

وذلك بالعودة إلى استكناه تراثها الزخم الذي يحمل الكثير من المصطلحات التي عفى عليها الزمن، أو التي لم تستعمل بعد، وهي في رصيد اللغة فهناك جهود بذلت، ونجاحات تمت، لكن مازالت هناك ثغرات يجب أن تُسدّ ونواقص يجب تداركها. ومن طبيعة العمل المصطلحي أنّ العمل فيه متواصل مادام العلم متّصل التطور، وثمّة مصطلحات يثبتها الاستعمال، وهناك مصطلحات تندثر، وأخرى ينفر منها، وهكذا.

ونعرف أنّ المصطلح العلمي أسهل معنى وترجمة من المصطلح الأجنبي أو النقدي والذي هو نقل ما يقال بلغة ما إلى لغة أخرى مع الميل إلى معادلة معنى هذا القول أو ذاك. وفي هذا المقام لا يمكن أن نتحجّج بعدم وجود المصطلح أو صعوبته إلا بالعمل على استخدام المصطلح العربي، وعند ذلك يمكن تدارك النقص الذي سيظهر بلا شك في العربية، فالاستخدام هو الذي يرسخ المصطلح والعادات اللغوية. وفي بلادنا لا نجد ذلك الانغماس اللغوي في المحيط اللغوي المعرب الذي يساعد على استعمال المصطلح العربي والذي نستحيي من استعماله تارة.

إنّ المشكلة لا تكمن في إيجاد المصطلحات في العربية بقدر ما تكمن في المنهجية المعتمدة لإيجاد تلك المصطلحات، فإذا وقع الإجماع على منهجية مضبوطة يتلافى من خلالها تضارب قواعد وضع المصطلح، عند ذلك يأتي المصطلح الموحد، كما يجب أن نعلم أنّ المصطلحات العلمية هي الرافد الأساس للمعاجم والنهوض بالعربية على وجه العموم، وعملية التعريب تقوم على إيجاد المصطلحات العربية التي تعطي الشكل العام للغة، وتحافظ على روحها وأساليبها الخاصة. وليس من الضروري أن نتبجح في وضعها، شرط أن تحافظ على قواعد اللغة وتتخذ لأدنى علاقة بالمعنى، ويكون الاهتمام بالمعنى في المقام الأول. وقد قدمت أمثال هذه القواعد في كثير من ملتقيات التعريب ومع ذلك بقيت الفوضى في وضع المصطلح قائمة. ويمكن تلخيص أهم القواعد العامة التي تراعى في وضع المصطلحات في الآتي:

1- يتّخذ المصطلح لأدنى علاقة بالمعنى.
2- يراعى في وضع المصطلح الاهتمام بالمعنى قبل اللفظ.
3- لا يختار المصطلح من بين ألفاظ ذات دلالات شائعة معروفة.
4- لا يصطلح بلفظ واحد لتأدية معان علمية مختلفة.
5- لا يصطلح بالألفاظ مختلفة المعنى العلمي الواحد.
6- يفضل المصطلح العربي على المعرب.
7- يتجنّب نافر الألفاظ وغريبها.
8- يتجنّب النحت ما أمكن ذلك[8].

وفي المقابل نرى ضرورة استكمال الجهد المبذول عندما تتشكل كل العوامل التي تؤدي إلى صنع المصطلح، فالمطلوب الآن استكمال الجهد المبذول وتنسيقه، بيد أنّه لابدّ من:

"1- أن تستكمل المعاجم العامة الثنائية اللغة، ونتوسع فيها، ونتابع العمل لوضع المعاجم المتخصصة الثنائية أو الثلاثية اللغات لتشمل جميع العلوم والتقنيات التقليدية والمستحدثة، لسدّ الحاجة في كل مستوى تعليمي أو بحثي.

2- أن تدرس المصطلحات المختلف بشأنها بين جامعة وجامعة، أو بين قطر وقطر بغية توحيد المصطلح في الاستعمال ابتغاء للتنسيق والتوحيد.

3- أن يتحول مبدأ الالتزام بما تقره مؤتمرات التعريب العربية إلى إلزام يحقق وحدة المصطلح"[9].

وأمام هذه المجموعة من المعوقات التي حاولنا تشخيصها وتقديم بعض الحلول يجب أن نقر أنّ اللغة العربية تحفّها صعوبات وهي التي تقف دون تطويرها، وتتمثل هذه النقائص في صلب اللغة أحياناً، وهي قليلة، ومع ذلك فإنّ الصعوبات التي تحفّ بها يمكن تفاديها بعملية التطوير، وقد أجمل الأستاذ تمام حسان هذه الصعوبات في الآتي:

"1- صعوبة القواعد وتطويرها

2- بناء المعجم وتطويره

3- الأسلوب وتطويره

4- المصطلح وتطويره

5- التعليم وتطويره

6- جهود التطوير وتنسيقها

7- تنسيق جهود التطوير

8- نظام الكتابة وتطويرها

9- تطوير الكتابة

10- تخلف وسائل النشر وتطويرها

11- تطوير النشر"[10].

فماذا نستنتج إذا: نرى أن النقص يستولي على أجزاء هامة من اللغة، ولكن هذا يعد من طبيعة اللغات، والتطور من طبيعة اللغات كذلك، وسنة اللغات أن تنمو نحو الأفضل، وهذا هو التطور الذي نقصده، ولا نقصد التغيير. والتطور المقصود من خلال كلامنا هو ذلك العمل القومي الذي ترفده المؤسسات العلمية والثقافية، والذي يقوم عليه العلميون العرب وغير العرب الذين يمكنهم إفادتنا في تطوير لغتنا، أو تلك الاجتهادات الفردية التي تزكى من قبل هذه المؤسسات. والمؤسسات يجب أن توجد بكثرة ولا يعني أن ذلك مدعاة إلى الفوضى أو التضارب بل أن يكون التنسيق بينها، ويكون هدفها جميعا العمل من أجل التطوير اللغوي في العربية.

وكان علي أن أقف عند نقطة أسأل فيها نفسي: أين يكمن المشكل في كل تلك الحيثيات أو المعوقات، فأرى أنه لا يوجد في اللغة في حد ذاتها، لأن العربية لغة حية. ولكي تبقى العربية لغة حية كان علينا أن نسرد بعض المظاهر التي يجب أن تحملها اللغة، وهي:

1- **الوضوح**: وأعني به السهولة التي لا تحمل الإبهام أو التكرار، وتكون في ذات الوقت لغة الشعر والإبداع، ولغة العلم والتقانة؛ حيث تعبر عن كل المفاهيم بمصطلحات صحيحة دقيقة خالية من التأويل، اللهم لغرض بلاغي، وهذا تتوفر عليه العربية

بشكل جد مقبول.

2- **سلامة البنيان اللغوي:** كل لغة تحمل بنية ودلالة وتركيبا، هذا الثلاثي المنسجم الذي تحمله اللغة العربية يحمل على كثير من التأويل في بعض الأحيان.

3- **التعادلية في اللغة:** المعنى يكون موافقا للمبنى، والمبنى جزء من المعنى فلا يفهم أحدهما دون الآخر؛ هذه التعادلية الدقيقة هي ما يسمى بالمنطق اللغوي والذي تجسده اللغة في التفريق بين المعنى العلمي أو الأدبي والمعنى المجازي، وبين صورة الكلمة (الشكل) ودلالتها المتغيرة في مختلف الأنماط والسياقات الكلامية.

4- **اللغة يجب أن تحمل الرموز والمختصرات والمعادلات الرياضية والرسومات البيانية:** وهذه هي لغة المستقبل التي هي لغة الاتصال في هذه الجزيرة التي تتأثر بفعل التراكم التقني على المعمورة. اللغة العربية لا تتوفر على الرموز والمختصرات، اللهم بعض المختصرات الموروثة والتي بليت بفعل الاستعمال والاجتحاج، كما لا تعتمد لغة الرياضيات اللهم بعض الموروث من سالف الزمان.

5- **صفة العلم:** وتكمن في الدقة واستعمال لغة الرياضيات، وتوظيف المصطلحات التي تدرها عليها الحضارة في كل مجالات العلم. ومشكلتنا في العربية، من خلال هذا الموقع، هي أن صفة العلم توفرت عليها العربية حتى في عصر الضعف عند الغربيين حيث كانت مقصد طلاب العلم في كل من بجاية وتلمسان، ولكن في عصرنا هذا نرى أنها تعيش بياتا طويلا، وليس فصليا؛ حيث دام هذا البيات ممددا. وصفة العلم تكمن في الأسلوب العلمي الذي يحتاج إلى اختيار دقيق للكلمات واستعمال موفق للجمل بتحديد المعاني واستعمال الكلمات بوضوح بحيث يقل المجاز.

6- **تحريك نمط الكتابة:** هذا الشكل الجميل الذي تكتب به العربية جيد، لكنه يحتاج من الخبراء والمختصين أن يطوروه بالشكل الذي لا يحمل التأويل والإبهام، فنعمل على إبقاء هذا الخط بتطوير يراعي تفادي وضع الحركات على الحروف؛ حيث يقرأ النص دون خطإ من قبل كل من يستطيع تفكيك رموز الحروف العربية.

7- **الاتكاء على أحدث نظريات التلقي:** من المشاكل التي تعانيها اللغة العربية حاليا محتوى اللغة التي تقدم بها، والطريقة المتبعة، فقضية محتوى اللغة يمكن التغلب عليها باعتماد المنهج العلمي الذي يراعي خصوصية المادة ومتلقيها، فمن هنا يكون المنهج من أهم الأشياء التي يجب أن يعطى لها الفعل التحسيسي، والذي يكون مزودا بالنظريات العلمية، وخاصة نظريات التبليغ اللغوي، أو ما يسمى بديداكتيكا التبليغ. وهذا المجال يهتم به علم اللسان وصناعة تعليم اللغات. لكي تبلغ العربية بسهولة ويسر وبأقل جهد ووقت، كان عليها أن تتكئ على القوانين التي أثبتها علم اللسان وخاصة ما يتعلق بالتحليل اللغوي وعلم تكوين المكونين في مجال

التلقين الذي يجب أن يستهدف:

- أسبقية التبليغ التعليمي، والترسيخ، وخلق العادات السليمة.
- استئناس المتعلم بما يتناوله من المعطيات الجديدة.
- حفظه للصيغ الجامدة التي يكثر دورانها.
- تزويده بما يحتاج إليه في المستقبل من جوامع الكلم.

ويأتي تشخيص النقائص عقب كل عملية تعليمية يقوم بها المؤطرون مع الأساتذة الذين سوف يؤطرون لتأدية مهمة التعريب، ثم تنتقل العملية إلى الأساتذة الذين سوف ينقلون مواد اختصاصهم بالعربية للطلاب. وهذا من السهولة بمكان إذا روعي: التخطيط الدقيق، واختيار الكيفيات الناجعة للعرض والترسيخ.

وأمام كل هذا أرى أن أعرج على بعض القضايا التي لها صلة بالتعريب، قبل الخاتمة، وهي:

1- هل يمكن أن تكون العربية لغة علمية والاقتصاد العربي متدهور؟. وإذا اعتمدنا هذا الأمر نجد أن العالم تسيطر عليه ثلاث لغات فقط، الإنجليزية والألمانية واليابانية، وبقية اللغات تقتبس من الثلاث، فهل يمكن أن نقول إن اللغات الأخرى لا يمكنها أن تفرض نفسها في ظل هذه القوى الثلاث.؟ الواقع أن اللغات تكمل بعضها وتحتاج إلى غيرها، وما تقدمت الإنجليزية دون الألمانية، وهكذا.

2- هل يمكن أن نأخذ المرجعية في عملية التعريب من البلدان العربية؟. نعرف أن الدول العربية في مجال التعريب توزعت على تكتلات ثلاثة وهي: بعض دول المغرب العربية تعمل بنظام الازدواجية اللغوية، ومرجعيتها اللغة الفرنسية، دول الخليج ومصر تعمل بالتعريب الجزئي ومرجعيتها الإنجليزية، دول لها باع طويل في التعريب مثل سوريا والعراق والأردن... نعم يجب أن نستفيد من تجارب الدول العربية في الإنجازات التي قدمت، ونعمل على تقويمها، ونستفيد مما يتوفر عليه بنك المصطلحات في مكتب تنسيق التعريب في مجال المصطلحات الموحدة، ونعمل على التنسيق بين الدول العربية. أما أخذ دولة من الدول مرجعية في التعريب أو استقدام الأساتذة لغرض التعريب فهذا لا يفيد. ينبغي أن نستفيد منها تحت إشراف خبير جزائري يتابع الخطة التي نضعها هنا وتطبق هناك فقط، ونستفيد من المحيط الثقافي، فلا يوجد محيط ثقافي معرب في المشرق أو في المغرب، بل هناك غربة لغوية عندما نسمع تلك اللهجات، والفصحى يندر أن نسمعها حتى في المدرجات.

ولكي لا نقع في الخطأ أرى: أن ننطلق في البداية على أساس أن تكون لنا الريادة في هذا المجال، فلا ننظر إلى منجزات هذه الدول أنها النهاية فنعمل على استيرادها ونعمل بها وكفى. هذا منطق العاجز، ومنطق بعض المعربين عندنا، وكنت شاهدت حماسهم في الأيام الدراسية ذات الطابع البيداغوجي والعلمي في نادي الصنوبر ديسمبر 1990م، وعندما بدأت مناقشة ملف التعريب، الذي أجل بفعل فاعل

إلى ما قبل اليوم الأخير من نهاية تلك الأيام، ونوقش ليلا، فلم يحضر أولئك الذين كانوا يتحمسون لملف التعريب، وغاب أكثر أعضاء جمعية الدفاع عن اللغة العربية، وعندما قرئ التقرير الختامي استنكر المعربون الغائبون تهميش قضية التعريب. وفي الحقيقة أن بعض المعربين يدافعون عن الصواب بغباوة وبعض المفرنسين يدافعون عن الخطإ بذكاء، وهنا يكمن الفرق. بعض المعربين أراهم لا يخوضون الصعاب ويركنون للقول فقط، ومن المفارقات أن نراهم يشترون جريدة بالفرنسية ولا يشترون الجريدة المعربة، ألا يعني هذا تقزيم اللغة العربية وتشجيع الحرف الفرنسي من قبل المعربين وهم أولى بتشجيع الحرف العربي في المقام الأول. وقد أعذرهم إذا كان ذلك بسبب المحتوى الذي تقدمه الجريدة المفرنسة، بل ذلك مما يدفعني إلى العمل على تطوير ونقد ما تقدمه الجريدة العربية. إذن القضية لا تعني أننا لا نستأنس بما قدمته الدول العربية، بل من الأحرى أن ندرسه ونخضعه للنقد، ضمن العمل القومي الذي يجب أن نتكل فيه على الإطار المؤمن بالتعريب أولا.

1- هل يمكن أن تقف العربية موقف الند للند أمام اللغات الراقية والحية؟.

1- اللغة الحية -كما رأينا- مصطلح غربي يرسخ بقاء لغة الغربيين على أنها الأفضل والحقيقة أن كل لغة يتم التواصل بها في المنظور اللساني لغة حية. مصطلح اللغة الحية جاءنا من أوربا عندما أطلقوا على لغاتهم العصرية اللغات الحية، لغات موظفة أي أنها ليست من اللغات الميتة، وهي اللاتينية أو الإغريقية. فالعربية حية منذ العصر الجاهلي، ودليل حيويتها استمرارها ورقيها، ومن هنا يمكن أن نطرح السؤال من شق آخر، وهو: هل يمكن أن تكون العربية لغة عصرية؟. ليس من الصعوبة بمكان إذا توفر الآتي:

1- الوصول إلى الحلول الإبداعية في قضايا اللغة، وإدخال الإبداع في تعليمنا وتطوير العقل المبدع لدى طلابنا يعود بصورة رئيسية إلى المعلم، وتوجيه هذا المعلم يعود إلى السياسة التربوية للبلاد، فما موقع السياسة التربوية العربية من السياسات التربوية العالمية؟. إن موقع سياسة تربيتنا من السياسات العالمية تبرزه الفجوة الكبيرة الموجودة بيننا وبين البلدان المصنعة. فتحتاج المنظومة التربوية إلى تفعيل علمي تنقل المتلقي من وضع السكون إلى وضع العمل، ومن طور الاستهلاك إلى طور الإنتاج. وكذلك بين العلم والعمل عندنا هوة عميقة، وهذا كله لغياب سياسة تربوية تحدد المتغيرات والثوابت، وتنهي مرحلة النقل والتقليد. المشكلة إذن تكمن في النظام التعليمي الذي يجب أن يتغير، وتجري عليه دراسات تقويمية، وننظر إلى التطوير على أنه ضروري في العملية التربوية، فيجب أن يخضع لمعايير علمية، ويشارك فيه المختصون والآباء والدولة، وهذا ما يجب أن تقوم به المجالس العليا للتربية والمجالس العلمية والثقافية والمجالس القومية والمؤسسات العاملة على ترقية المنظومة التربوية في الوطن العربي بل إن نصيب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نصيب وافر.

2- التحكم في التقانة (لغة الفنون والمهن) وصناعة المعدات والآلات ودراسة المواد التي تصنع بها. معرفة كيفية الصنع. ولمعرفة كيفية الصنع لا بد أن نمر عن طريق التركيب والاقتطاع من خبرات الآخرين. وإدخال التلمذة الصناعية في مدارسنا وإلحاق بعضها بالمصانع والورشات، على أن يكون العمل فيها بالعربية دون غيرها من اللغات.

3 - تعاظم قدرة الدول العربية على التحكم في توجيه مسارات التطور بما يخدم أغراضها. وهذا لا يكون إلا بالعمل على تحصيل الحيز العلمي والتراثي في الخريطة العالمية، ويكون بإثبات وجود عن طريق العمل في الفعل الحضاري الراهن، بإيجاد الموسوعات العلمية وما يلحق بها من الإنجازات العالمية.

2- كيف يمكن تبليغ العربية لغير العرب؟.

قد يؤدي بنا هذا السؤال إلى طرح العمل القومي في هذه النقطة، والعمل القومي تقوم به الدول العربية في إطار ترقية اللغة العربية داخليا؛ حيث تقوم به المؤسسات والأفراد، وخارجيا تهتم به سفارات الدول العربية على غرار ما تفعله الدول الأخرى في تبليغ لغاتها لغير الناطقين بها، فتجند لها كل الإمكانات المادية والبشرية من أجل توسيع رقعة الناطقين بلغتها.

3 - كيف يمكن أن تكون العربية في المناطق التي تحمل الخصوصية اللغوية؟.

إن هذه الظاهرة ليست متفشية في الجزائر، باعتبار أن التعريب مس كل أقطار الوطن، ولا توجد أعراق لغوية، بل توجد مناطق جغرافية لها تميز لغوي، ونتيجة شساعة أرضنا توجد الطبيعة الجغرافية المختلفة التي تستدعي التعامل اللغوي الخاص في بعض الأنماط التعبيرية فقط. وأمام هذا التنوع اللغوي يكون بلدنا ميدانا فسيحا للبحث اللغوي، فكان من الأحرى الاعتراف بخصوصيات كل منطقة شرط لا غنى عنه لإقامة تبادل ثقافي غني، بل إن الخصوصيات يجب أن تراعى في المنظومة التربوية؛ حيث يكون ذلك حافزا للقيام بالدراسات العلمية من الوصف الكامل للواقع الجزائري اللغوي من عربية فصحى ودارجة وبربرية وفرنسية وصفا علميا موضوعيا دونما تحيز للغة دون أخرى، وصف لما يجري استعماله في الواقع في تلك اللهجات أو اللغات البربرية أو اللغة الفرنسية وتحليلها لسانيا، ودراسة القواسم المشتركة وقضايا التأثير والتأثر. ويحصل كل هذا بأبحاث تطبيقية تتمثل في وضع المعلومات والنتائج المحصل عليها أثناء القيام بالوصف، وتقديم كراسات تخص العربية ولهجاتها والبربرية والفرنسية؛ للوصول إلى دراسة مظاهر الازدواجية والاحتكاكات اللغوية. وهذا العمل يدخل في تأصيل اللغة العربية؛ حيث تكون مواجهة مشكلاتها بالتشخيص وتقديم الحلول إثر ذلك كما يساعدها ذلك على تنمية اللغة العربية الموظفة عفويا في كل اللهجات أو في غيرها. وتقوم هذه الدراسات كذلك لبيان مستوى العربية الفصيح ومستواها المستعمل الشائع، فيمكن اتخاذ القواسم المشتركة قوميا للرفع من مستوى بعض من الدارج، وهكذا

يكون التعريب في هذا المجال وسيلة اجتماعية تمكننا من الاتكاء على القديم الفصيح للوصول إلى الفصيح الحديث، ونخرج بها من المتحفية التي تعيشها في الكتب ويلتجأ إليها في المناسبات. والتعريب لا يتعارض في هذه النقطة مع دراسة اللهجات؛ لأنّه انفتاح على كل اللغات، بل إنّ العاميات أو اللغات المحلية واقع يستعمل بل له نصيب أكثر من العربية فلماذا نتهرب من الواقع ونغمض أعيننا عن واقع كان عن لغة يوظفها المختصون في أكثر أوقاهم وهم ينادون بالتعريب، ولماذا تترك هذه اللغات أو اللهجات للمستشرقين يبلغونها لنا حسب مناهجهم وأغراضهم، بل قد تصل إلينا مشوهة، وتخلق حساسيات في القطر الواحد. ويصاحب هذا تلك الأبحاث في الواقع السوسيو اجتماعي؛ حيث تراعى الفروق الاجتماعية والثقافية بين المناطق وذلك ما يعطي الزركشة التاريخية والعلمية للوطن الواحد، وجماله وتوحده في تلك الفسيفساء المتكاملة. ولا يجب أن تكون العقدة من أمثال تلك الدراسات، وبقدر ما يكون منع البحث فيها بقدر ما تحصل الخلافات الجهوية.

4- كيف يحصل التعريب اللساني والثقافي والاجتماعي؟.

هنا لا بدّ من وضع استراتيجية للدفاع عن ثقافتنا بمنطق وعمل، وتحدد في هذه الاستراتيجية أهداف مضبوطة ومحدّدة، يكون فيها برنامج لترقية اللغة العربية؛ لأنّ المشكلة التي تعانيها أساساً اللغة العربية ليست في تعميمها فقط، وإنما في نوعية ما تقدمه هذه اللغة في العصر الحاضر. وهذه الاستراتيجية تأتي عن طريق الإعلام والاتصال، وهنا تبرز المعرفة كعنصر أساسي في وجود الإعلام الثقافي في حد ذاته.

ومن هنا يلزم تضافر الآتي:

1- إصدار القرارات الضرورية التي تقوم االعملية التعريبية، والنظر إلى الهدف من القرار لا إلى إجراءات القرار. والعمل بمبدإ الصرامة والمتابعة، بمبدإ العقاب. وعملية التعريب يشرف عليها الجزائريون المعربون دون غيرهم.

2- التعريب يكون مرحليا لا جزئيا؛ حيث يتمّ فيه تحديد مخطط سنوي لمراحل التعريب وتطبيقاته، وتحديد استراتيجية واضحة المعالم، ويكون مشروعاً طويلاً تحكمه خطط صارمة، ويقوم على أرضية صلبة وبتضافر كل الجهود.

3- التقويم عقب كل خطوة للحدّ من الأخطاء التي لا شك أنها ستنجم عن هذه العملية. كما أنّ التقويم نسبي، فيحتاج إلى تحريك كلما دعت الحاجة.

4- التركيز على وسائل الإعلام لتلعب دور الموجه لعملية التعريب، ولكي يحقق الإعلام وظائفه لابدّ من وجود سياسة ثقافية موحدة تقوم على استراتيجية واضحة وملائمة ومنصهرة في إطار التنمية الشاملة التي تقود إلى التقدم؛ حيث تصاحبها خطط التنمية كبعد أساسي خاصة في هذا الظرف الذي برزت فيه التحديات على المستوى الإعلامي

والثقافي، ومن هنا كان من الضروري تجنيد وسائل الإعلام لخدمة قضايا التعريب، وبواسطته تستوعب مكتسبات الحضارة الغربية للدفاع عن الذات الثقافية وفي هذه النقطة كذلك نحتاج إلى إنجاز الطرائق البيداغوجية لتعليم العربية، ووضع البرامج باللغة العربية في كل وسائل الإعلام، على أن تكون وسائل الإعلام السند الأساس في كل عملية تخطوها العملية التعريبية. إن نشر العربية وتعليمها داخليا وخارجيا هو عمل متصل بالمسؤولية العامة، وجعلها في مقام لغة المتلقي أو أكثر في كل من: برامجها، مناهجها، وسائلها.

5- الجامعة المسائية، ومراكز تكثيف اللغات.

وأقترح في هذه النقطة أن تحول الجامعة المسائية ومراكز تكثيف اللغات إلى مراكز تعميم استعمال اللغة الوطنية، فقد أثبتت الجامعة المسائية فشلها أخيرا في نوعية المردود العلمي الذي تقدمه، عكس السنوات الأربع الأولى التي كانت تتماشى نوعا ما مع المتطلبات العلمية. ففي دراسة أجريتها عام 1994م في مركز تيزي وزو، تبين لي العجب؛ حيث وجدت أن الراسبين والملفوظين من الثانويات، يقضون مدة أقل بكثير مما كانت عليه الجامعة العادية، دون النظر في المحتوى والتوقيت والمنهاج ونوعية الأساتذة... جامعة ليلية تعطي شهادات علمية دون مردود علمي مقبول، بل شهادات من أجل الترقية في المنصب لا في العلم، وخاصة لما تحولت إلى التكوين قصير المدى.

وأما مراكز تكثيف اللغات فهي مراكز لا وجود فعلي لها في كثير من الجامعات ولا وظيفة علمية يؤديها بالشكل العلمي المقبول. وفي هذه النقطة يمكن لمركز تعميم استعمال اللغة العربية أن يباشر مهامه على مستوى الجامعات دون مصاريف مكلفة، بل تكييف تلك الإمكانات وتسخر لخدمة اللغة العربية.

وأخيرا، ليس الذي قلته هو الكلام النهائي، فأمامنا الطريق طويل، ونأمل أن يتواصل الجهد ويتصل البناء، فنحن في زمن التجمعات الإقليمية، فعلى الدول العربية أن تتجمع وتعمل من أجل تطوير لغتها من منطلق حضاري إنساني، بوضع سياسة قومية على أعلى مستوى في الداخل والخارج، لتعميم استعمال العربية؛ سياسة لغوية صحيحة تدعمها القرارات الرسمية، دون تأجيل يذكر أمام التأخر المسجل على الساحة العالمية؛ فالقطار لا ينتظر، وذلك قبل أن تصبح العربية لغة هامشية، تذكر في المناسبات الدينية فقط، وتترك الحرية كاملة في الأبحاث العلمية أن تكون بأية لغة كانت؛ حيث إن البحث لا تحده الحدود ولا تقبره اللغة، رغم أن اللغة صنوه وجوهره، لكن الأهم في كل هذا أنه متى وقع الاهتمام بالترجمة لا شك أن الفائدة تكون. وكذلك الإعلام الآلي الذي يجب أن يبقى باللغة الأجنبية في الظروف الحالية لعاملين اثنين هما:

* عامل لغة الإعلام الذي يعتمد لغة علمية عالمية، هي لغة الآلة، وهي لغة برمجة لم تدخلها العربية بالشكل الذي تستطيع فرض نفسها، والفريق العربي الذي يعمل الآن في شركة الميكروسفت يترجم

المناطيق Logiciels والبرامج من الإنجليزية فقط، وحتى هذه الترجمة ناقصة جدا، فكثير من الأيقونات نجدها فارغة، و لم يستطع هذا الفريق ملء تلك الخانة بما يتلاءم وطبيعة الأيقونة، ونفس الشيء في اللغة الفرنسية التي تترجم من الإنجليزية، لكن نجد الحدة أقل من العربية، لأن الفرنسية تتوفر على المعطيات العلمية الدقيقة التي أوجدتها بنوك المصطلحات (شبكات، أنماط، هياكل، أشكال، نماذج).

** اللغة الإنجليزية هي المهيمنة على هذا الميدان بواسطة الإشارات والمختصرات وأنماط لوغاريتيمة لا يمكن تحقيقها في اللغة العربية حاليا، ولا يعني ذلك أن التفكير في هذا الأمر من الصعوبة بمكان، بل أعرف مسبقا أن مجرد البحث في الموضوع سيؤدي إلى ترجمة أنماط اللغة الإنجليزية ومحاولة إخضاع العربية لها، لا تكييف تلك الأنماط على العربية، فنكون قد خسرنا الجهد.

وهناك مسألة جديرة بالإثارة في هذا المجال؛ حيث تعرضنا لمسألة الإعلام الآلي ونعرف أن من لم يمتلك أدواته فهو أمي العصر، واللغة التي لم تدخل مرحلة المساهمة فيه لغة متخلفة. واللغات التي لها الفعل الحضاري في هذا المجال هي اللغات التي تملك بنوكا من المعطيات؛ والتي بواسطتها تسهل كل أمور البحث اللغوي والمعجمي والتصنيفي... فهل اللغة العربية حاليا تتوفر على بنوك المصطلحات التي تسهل لها عملية المساهمة في الإنجازات المستقبلية؛ حيث تثري بنوك المعطيات العالمية ويكون لها إسهام فعلي!.

نعرف أن البنوك البسيطة التي تملكها اللغة العربية قليلة، يوجد في سوريا بنك، وفي المغرب بنكلن، وفي الجزائر بنك واحد. وهي بنوك معطيات، وأنا على علم بما تقدمه؛ إنها بنوك لم تنل المعلومات العصرية فيها حظا يذكر، بل إن ما يوجد فيها مشوش وناقص لغياب المناطيق المعربة الخاصة باللغة العربية، فهي تعمل بالمناطيق التي أوجدت للغة الإنجليزية. فهل يمكن أن يكون لنا إسهام فعلي في هذا الميدان الذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة، حيث الآلاف من المعلومات تسجل في قرص صغير؛ وتستطيع استرجاع ما فيه والحصول على آلاف المعلومات في أقل من لمح البصر. هذا هو ميدان الاستثمار الذي يجب التركيز عليه في اللاحق من أعمالنا، كي لا يكون لنا تخلف أكثر مما نعيشه، ولا يعني هذا أن نكون مثل الدول المتقدمة في هذا المجال، بل نسعى إلى أن يكون لنا وجود باستغلال هذه التكنولوجية وتكييفها مع خصائص لغتنا، ولا مانع من أن نقتبس أنماطا أو أفكارا أو خططا ونكيفها حسب لغتنا وظروفنا، وهذا ما يعمل به في كثير من اللغات التي تعتبر حية من المنظور العرقي.

فيا له من نقص فظيع ونحن لا نشاهد العربية في الأنترنت الدولي وفي الهواتف والاتصالات الخاصة، وفي الميادين التكنولوجية، وهي لا تتطلب إلا قضية التعريب في مبدإ الأمر. يتعجب الإنسان من اللغة العربية التي لها مجد أثيل وليس لها من يقوم على تغيير وضعها، وتدفعه الغيرة لأن يعمل من أجل رقيها دون

هوادة. وهذا لب الحديث في هذا العصر، فإذا أردت أن يكون لك وجود فاثبته بلغتك، والعالم لا يستمع لمن يتكلم لغة غيره. بل إن العالم الآن يعتمد لغة الإشارات والإعلام الآلي وهي اللغة العالمية العلمية (لغة الآلة) ولا وجود لعالم يبقى متخلفا عن هذا. فالحاجة جد ماسة إلى إدخال العربية في المعلوميات، وتصنيف التراث والمصطلحات القديمة والحديثة وتخزين الجذاذات باستغلال أنظمة الإعلام الآلي المتطورة، ونعرف أن الطريق طويل لكنه غير مستحيل، طريق لا بد أن يعبر بمساهمة الجميع وتضافر جهود الكل، جهود الذين يريدون بناء مستقبلهم على أسس ثقافة أسلافهم بكيفية تضمن الهوية الثقافية التي لا تقدر بثمن، للمرور إلى المعاصرة. ومن هنا يجب على المؤسسات التي بدأت في مشاريعها إتمام أعمالها؛ حيث ننتظر من الفرق العاملة في معهد الأبحاث السوري ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب ومكتب تنسيق التعريب والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس أن تذلل الصعوبات في هذا المجال، ليتم الانتقال من المعطيات الأوربية إلى المعطيات العربية.

وأختم كلامي عن هذا الموضوع بالرجوع الأستاذ شحادة الخوري الذي يستصرخ المعنيين ويقول: أين نحن العرب من:

1- "ازدياد الاهتمام بالبحث العلمي في الجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة وزيادة الإنفاق عليه بوصفه استثمارا ممتازا.

2- التوسع في التخصص العلمي والثقافي والتشعب فيه، واختفاء الأعمال القائمة على الجهد العضلي والأعمال غير المتخصصة، وازدياد التوسع في أعمال التأهيل والتدريب بصورهما المختلفة.

3- التوسع في الأتمتة واستخدام الإنسان الآلي مما يقلل من ساعات العمل البشري وازدياد ساعات الفراغ، وحصول بطالة في أعماله وفي أعمال أخرى مع تبدلات واسعة في العلاقات الإنسانية"(11)

الهوامش

1) شكري فيصل "قضايا اللغة العربية المعاصرة" المجلة العربية للدراسات اللغوية. الخرطوم: معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المجلد الثاني، العدد الأول، أغسطس 1983، ص9-36.

2) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، جلبير غرانغيوم، ترجمة: محمد أسليم. المملكة المغربية: مكناس، الفارابي للنشر، 1995م ص82.

3) يستعرض الأستاذ: أحمد نوفل في مقال له عنوانه "من تجارب التعريب في بعض الجامعات العربية" تجربة التعريب في الجامعة السورية، فيقول: مر التعريب على المراحل التالية:

– مرحلة التدريس باللغة الإنجليزية بوجود أساتذة أجانب.

-- مرحلة التدريس باللغة الأجنبية بوجود أساتذة عرب.

--- مرحلة التعريب الشامل.

---- وضع مشاريع التخرج قبل التعريب وبعده.

ويخلص تعقيبا على هذه الحملة التعريبية: لقد جرى تطبيق التعريب على الرغم من عدم وجود توافر الكتاب وعدم وجود معجم موحد للمصطلحات العلمية ونجحنا. واعتمدنا على الذات وعلى جهود أعضاء هيئة التدريس والطلاب معا وحققنا أفضل النتائج، استنتجنا أن التعريب يعود بالفائدة العلمية على الطلاب فهو يرفع من مستواهم العلمي ويغنيهم في المعرفة والاطلاع ويجعلهم أكثر تفاؤلا بالمستقبل ويزيد من ثقتهم بأنفسهم. إن التعريب قرار وطني تقتضيه مصلحة الأمة ومستقبلها لأنه يعمل على استلام زمام المبادرة والتخلص من التبعية الثقافية وعلى الجهات السياسية الحرص على تنفيذ التعريب في الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ودعمه ماديا ومعنويا عن طريق صرف المكافآت لأعضاء هيئة التدريس ومنح ترقيات للمبدعين. ليس التعريب معناه الاستغناء عن اللغة الأجنبية، بل يجب أن يرافق التعريب تدريس اللغة الإنجليزية مادة ليبقى الطالب على اتصال بالآخرين ويعرف ما يدور حوله، وما هو الجديد على الساحة العلمية العالمية. ع/مجلة التعريب سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، العدد 6، كانون الأول (ديسمبر) 1993.

4) نجاة عبد العزيز المطوع "آفاق الترجمة والتعريب" مجلة عالم الفكر — العراق: المجلد التاسع عشر، العدد 4 / يناير-مارس 1989، ص8.

5) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية للترجمة. تونس 1985.

6) محمد حافظ دياب "الترجمة وأسئلة النهضة العربية"، مجلة الوحدة. المغرب: المجلس القومي للثقافة العربية، السنة السادسة، العدد 61-62، أكتوبر / نوفمبر 1987، ص42.

7) محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون. القاهرة: عالم الكتب 1979، ص121.

8) جميل الملائكة "جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث". مجلة همزة الوصل. الجزائر: وزارة التربية الوطنية 1975م، العدد 6 (عدد خاص) تغطية أعمال مؤتمر التعريب 12-20 كانون الأول (ديسمبر) 1973، ص200.

9) شحادة الخوري "اللغة العربية والتقدم العلمي والثقافي في الوطن العربي" مجلة التعريب. سوريا: المركز العرب للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، العدد الأول آذار (مارس) 1991، ص38.

10) حمادة ابراهيم، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها. القاهرة: دار الفكر العربي 1987م، ص13.

11) شحادة الخوري "اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني في الوطن العربي" مجلة التعريب. سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، العدد الأول، آذار (مارس) 1991، ص32.

حول كتاب: "النشاط المعجمي بالأندلس"

(للدكتور يوسف عيد)

د. عبد العلي الودغيري(*)





صدر عن دار الجيل ببيروت كتاب عجيب غريب عنوانه: **"النشاط المعجمي بالأندلس"** وموضوع على غلافه أنه من **"تأليف د.يوسف عيد"**.

وكان أحد الإخوان المهتمين، وهو الأستاذ عبد العزيز الساوري قد أخبرني بوجوده في إحدى مكتبات الرباط، فأسرعت إلى اقتنائه برغبة أن أجد فيه معلومات جديدة أو إضافات إلى ما سبق لي أن تناولته في كتابي: **"المعجم العربي بالأندلس"** الذي كان في أساسه بحثا مطولا نشر أول الأمر في مجلة (عالم الفكر) الكويتية ضمن العدد الخاص بحضارة

(*) مدير الجامعة الإسلامية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالنيجر